بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الآداب

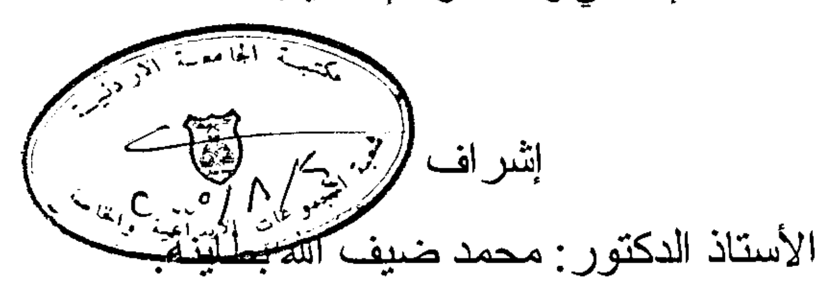
قسم التاريخ

الحياة العلمية في نجد والحجاز حتى عصر الخلفاء الراشدين

أعداد

يحيى عبد السلام متعب حراحشة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.



إشراف

الأستاذ الدكتور: محمد ضيف الله بطاينة

التخصص: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

الحياة العلمية في نجد والحجاز حتى عصر الخلفاء الراشدين

إعداد

يحيى عبد السلام متعب حراحشة

ماجستير تاريخ إسلامي – جامعة اليرموك ٢٠٠٠م.

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في جامعة اليرموك، أربد – الأردن.

وافق عليها

أ.د محمد ضيف الله بطاينة
جامعة اليرموك ---------------------------مشرفا ورئيسا.

أ. د عبد العزيز الدوري.
الجامعة الأردنية ---------------------------- عضواً.

أ. د صالح موسى درادكة.
جامعة اليرموك ---------------------------- عضواً.

د. سليمان عبد خرابشة.
جامة اليرموك ---------------------------- عضواً.

د. عبد الله منسي العمري.
جامعة اليرموك ---------------------------- عضواً.

تاريخ تقديم الأطروحة: ٢٣/ ١٢ / ٢٠٠٤م.

الإهداء

إلى والدي العزيز

إلى والدتي الغالية

إلى أخوتي الأحبة

إلى أصدقائي وزملائي وإلى كل من ساهم في هذه الرسالة

شكر وتقدير

كل الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور محمد ضيف الله البطاينة الذي رعاني طوال دراستي في مرحلة الماجستير والدكتوراه، والذي ما قصر في تقديم كل العون والمساعدة لي، واقدر له ما بذله من جهد معي، وما تحمله لأجلي وعدم تخليه عني في كل الظروف والأحوال. كما أشكر زميلي الدكتور صوان طلب الشرفات الذي سار معي بإخلاص طوال السنوات الأربع الفائتة، كما اشكر زملائي وأصدقائي الذين ساهموا في التدقيق اللغوي.

الباحث

يحيى عبد السلام حراحشة

الاختصارات

ص: صفحة.

جـ: جزء.

ع: عدد.

هـ: هجري.

م: ميلادي.

د. ت: دون تاريخ.

د. م: دون مكان طبع.

مادة: المادة التي حوت المعلومة في المعجم سواء كان من معاجم اللغة أو معجم البلدان.

المحتويات

الموضوع رقم الصفحة

ملخص الدراسة

أعداد: يحيى عبد السلام متعب حراحشة.

أشراف: الأستاذ الدكتور محمد ضيف الله البطاينة.

الحياة العلمية في نجد والحجاز حتى عصر الخلفاء الراشدين

هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة المعارف العقلية والنقلية عند عرب نجد والحجاز من قبل الإسلام وحتى عصر الراشدين، والتعرف على أنواعها، وبيان مدى مساهمة العرب في هذه المعارف والعلوم، وأساليبهم في استقصائها، وبيان مدى مساهمتها في تطوير حياتهم.

وقد جاءت الدراسة في بابين واحتوت على أحدى عشرة فصلا، قسمت على بابين، كان الباب الأول في العلوم النقلية: وتناولت فيه لهجات العرب قبل الإسلام، والعربية الفصحى وأثر القرآن في تطورها، والكتابة والحفظ والتسجيل ومدى إلمام عرب نجد والحجاز بها، والدراسة والتدريس وتحدثت فيه عن الدارسة والمدرسين، والشعر وعلومه، وعلم الخطابة والقصص، وعلم الأنساب.

والباب الثاني في العلوم العقلية: في مجال الجغرافيا وتناولت فيه استنباط المياه ومعرفة سطح الأرض، والصناعة والتعدين ومدى استفادة عرب نجد والحجازمن ثروات بلادهم، وعلم الفلك وأثره في التقويم وتحديد الاتجاهات ومعرفة أحوال الطقس، وعلوم الهندسة والحساب وكيف بنوا بيوتهم وحصونهم وباقي المرافق في ديارهم، وعلم الطب والبيطرة وتحدث عن علاج الإنسان والحيوان، وعلم النقود والموازيين والمكاييل.

المقدمة

تعد فترة تاريخ العرب قبل الإسلام من أقل الفترات دراسة، ويعود ذلك إلى عدة أسباب لعل أهمها الاعتقاد الخاطئ أنها فترة كفرية الخوض فيها غير مرغوب، أو أن الباحثين اعتبروها خالية من أي علوم مهمة يمكن الاستفادة منها، على أن اهمية هذه الفترة تعود لكونها تعطينا تصورا مسبقا عن حال عرب نجد والحجاز العلمية قبل الدعوة الإسلامية وخلالها، كما أن دراستها تثبت أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا في جهالة، وأن الإسلام عندما ظهر لم يظهر بين أقوام جهلة، بل كانوا واعين وعلى مستوى من النضج العقلي، وبهذا تمكنوا من فهم الرسالة السماوية وحملها، وصاروا مادة الإسلام، وهم الذين هزموا أكبر واعتى إمبراطوريتين هما الإمبراطورية الفارسية والبيزنطية في بحر سنوات، رغم أنهما تناحرتا مئات السنين ولم تحقق أي منهما انتصارا ساحقا ضد الأخرى.

وبسبب أهمية حياة العرب قبل الإسلام مالت إلى دراسة هذه الفترة، فقد قامت من قبل بدراسة المكانة الاجتماعية عندهم، ومن خلال الإطلاع على المصادر والمراجع استطاع الباحث أن يكشف الجوانب العلمية وغيرها من الجوانب عند العرب، لهذا مالت إلى تتبع تاريخ العلوم عند العرب قبل الإسلام، وجمعت لهذا الغرض الكثير من المصادر والمراجع لتكون في متناول يدي وذلك خلال عشر سنوات، ومما سهل العمل ظهور جهود جبارة من عدة مؤسسلت ساهمت في نشر التراث العربي والإسلامي، وكانت المطبوعات الالكترونية التي أصدرتها دار التراث في الأردن، والمجمع الثقافي العربي في أبو ظبي، ودار العريس المصرية، ومنشورات عبد اللطيف السورية، إضافة لما أنجزته إيران من خلال موسوعاتها في الحديث والفقه كان له أهم الأثر في أثراء المكتبة الإسلامية بمختلف المصادر، وكل الفضل لشركة حرف التي أصدرت ثلاث موسوعات امتازت على كل الإصدارات بحسن الإخراج وإمكانية البحث الهائلة، إضافة إلى العناية الكبيرة بتحقيق المصادر لغويا ونحويا خاصة في القرآن الكريم وكتب السنة.

وقد ساهمت دراسات سابقة في نشر معلومات عن العرب قبل الإسلام، ولكن بعد إمكانيات البحث الالكتروني، تمكن الباحث من استخراج كل المعلومات حول الرواية الواحدة، وكل المعلومات حول الشخصية الواحدة من عشرات المصادر، وعندها تمكن من مقارنة النصوص واختيار الأدق منها وإزالة ما علق بها من تحريف، كما تمكن الباحث من تدقيق كل الآيات القرآنية وكتابتها مضبوطة وصحيحة، وكذلك أغلب الأحاديث النبوية، وكذلك أبيات الشعر، فقد تم ضبطها ومقارنتها من خلال عشرات النصوص، وترجمة حياة كل شاعر، وكل ذلك في محاولة من الباحث أثبات قدر طيب من العلوم التي كانت معروفة ومتداولة عند العرب قبل الإسلام.

وقد عملت على جمع المعلومات من خلال عدة مصادر حددت مسبقا طبيعة الحياة عند العرب قبل الإسلام، ثم صنفت هذه المعلومات وبوبهتا للخروج بصيغة عامة للبحث، ثم رتبتها داخل الموضوعات، وقدمت من خلالها الدراسة الأولية

لتكون صالحة للمناقشة، ثم طورت هذه المعلومات بالاستعانة بإرشادات العديد من الأساتذة، وإرشادات المشرف المباشر على الرسالة، الذي كانت لتوجيهاته المستمرة وخبراته المتميزة ابلغ الأثر في تصحيح كثير من المبالغات والمغالطات التي وقع بها الباحث، كما أنه وجه الباحث إلى مصادر كثيرة لم يستخدمها سابقا، وقدم له بعضها من مكتبته الشخصية، وكان خلال ذلك يعدل للباحث بناء على كل جديد يقدمه في الرسالة.

وقد حصرت موضوع الدراسة بالعلوم التي كانت تخدم العرب عمليا في حياتهم اليومية، لهذا سميت الرسالة الحياة العلمية، ولم ادخل فيما اعتقد بعض عامة العرب انه علم مثل: السحر والشعوذة والعيافة والتنجيم، بل اقتصرت على الموضوعات التي تبرز دورعرب نجد والحجاز العلمي، أو تقف على حدود المعرفة العربية، ولهذا ألزمت نفسي بوضع قواعد العلوم أينما وجدت، وإذا لم أجدها وقفت على المدى الذي وصلوا إليه، وان لم اصل إلى المستوى الذي وصلوا إليه ذكرت الأشخاص الذين عملوا بهذا العلم حتى اثبت أنعرب نجد والحجازمارسوا هذا العلم، أو مارسوا هذا المجال المعرفي.

كما أنني قد وضعت بعين الاعتبار التسلسل البنائي للرسالة، فقد كان فصل اللغات مقدمة للعربية الفصحى، وكان الفصلان مقدمة للكتابة والحفظ والتسجيل، وكان السابق من الفصول مقدمة للدراسة والتدريس، وسرت بالفصول بشكل متتالي حتى نهاية الرسالة بحيث يبرز كل علم ما بعده.

كان تاريخ العلوم من الموضوعات المهمة في تاريخ العرب والمسلمين، وقد مال بعض الباحثون الإسلاميون والعرب إلى دراسة هذا الموضوع بذاته، فدرسوا تاريخ العلوم عند العرب، ومال بعض منهم في تقسيمها لاعتبارات عدوها حدودا تفصل بين علم وآخر، ومن الذين درسوا العلوم وقسموها ابن قتيبة في كتابة عيون الأخبار، وابن عبد ربه في العقد الفريد، وابن النديم في الفهرست، والفارابي في كتابه إحصاء العلوم، وابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله، والخوارزمي في مفاتيح العلوم، وطاش كبري زادة في كتابة مفتاح السعادة، والسيوطي في كتابه معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، والنويري في نهاية الأرب في فنون الأدب، والقلقشندي في صبح الأعشى في صناعة الانشا، وحاجي خليفة في كتابه كشف الظنون وآخرون.

ونظرت في كتاب صديق بن حسن القونجي الموسوم بأبجد العلوم، وفي كتاب جامع العلوم أو دستور العلماء لعبد النبي بن عبد الرسول، وفي تقسيمات التهانوي في كتابه كشاف اصطلاحات الفنون، وبحث في كتاب سامي حمارنة كاملا وهو (دليل الباحثين في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين)، ودرس الباحث تقسيمات الدكتور جواد علي في كتاب المفصل لتاريخ العرب قبل الإسلام خاصة في العلوم، لكنني لم أجد اتفاقا واضحا على تقسيم العلوم، فأعدت النظر في تقسيمات الدراسات الحديثة في العلوم لكنني تبينت أنها تلغي كثيرا من العلوم العربية والإسلامية خاصة علوم الدين وعلوم الأنساب، أو تنسبها إلى غير مكانها.

ولما كان الحال كذلك رجعت إلى مقدمة ابن خلدون فوجدته الأقرب في تقسيماته موضوعات الفترة، فاعتمدت تقسيمه العلوم إلى نقلية وعقلية، ولهذا أعدت تقسيم الموضوعات في بابين العلوم النقلية: وهي علوم اللسانيات من علوم لغات العرب والعربية الفصحى والأنساب والدراسة والتدريس والكتابة والحفظ والتسجيل، والشعر والشعراء، كونها تتوارث من جيل إلى جيل مع تعديلات طفيفة. وعلوم عقلية: وهي العلوم التي يظهر فيها أبداع الأفراد بشكل يغير تغيرا جذريا فيها، كما أنها تزدهر حسب الجيل الذي يحملها، لذلك كان الدور الأكبر في تشكيلها هو العقل البشري المتنور وكانت مثل: علوم الطب والهندسة والجغرافيا والموازيين والمقاييس والحساب والفلك والتقويم، والتعدين والصناعة.

كما عملت على تحديد الفترة والمكان لاعتبارات، فقد كانت هذه الفترة هي الفترة الانتقالية من عصور بلا وحدة دينية إلى عصور الإسلام، ولذا أرادت إظهار العلوم التي كانت عندعرب نجد والحجازوما أضاف إليها الإسلام، ثم حدد المنطقة، لأن أهل نجد والحجاز كانوا أكثر أهل مناطق شبه الجزيرة العربية تقاربا في وجوه الحياة المختلفة مقارنة بغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية، وكان لهم بعد الإسلام دور قيادي بينّ، على أن ذلك الأساس لا يلغي العلاقات والصلات التي كانت بين باقي أنحاء الجزيرة العربية، سيما وأن معارف أهل الحجاز ونجد كانت جزءا من معارف أهل بلاد الجزيرة العربية وثقافتهم وعمل الجميع بعد الإسلام أمة واحدة.

وقد قسمت البحث إلى بابين وثلاثة عشرة فصلا في بابين، كان أولهما في العلوم النقلية وشمل سبعة فصول كانت كالتالي: الفصل الأول وتناولت فيه لغات العرب (اللهجات العربية)، ودرست قواعد اللهجات العربية، وأماكن ظهورها، والميزات فيها، والتمايز بين العربية - وهي ذات قواعد مشتركة مع اللغات العروبية، وطبيعة استيعاب الألفاظ غير العربية في اللغة العربية.

والفصل الثاني وتناولت فيه العربية الفصحى، ومدى تطور اللغة العربية بعد ظهور الإسلام، وكيف كان لجمع القرآن فضل كبير في تطور العربية الفصحى، وكيف صار العرب يرجعون إلى القرآن ويستخدمون ألفاظه لتدلل على الفصاحة، وكيف أعتبر العرب لسان قريش هو اللسان البين الذي تحدث به الرسول، وجاء به الشرع، لهذا ظهر فوق كل لسان.

والفصل الثالث وتناولت فيه الكتابة والحفظ والتسجيل، وأدوات الكتابة والكتاب، وطرق الكتابة وكيفية تطور الهجاء العربي، وأنواع الكتابة واختصاصات الكتاب، وبعض الكتب التي كانت معروفة عند العرب، وأسلوب الكتابة العربي، وكيف تطور بعد الإسلام، واستخدام الختم لتوثيق الكتب، وتحدثت عن جمع القرآن وبينت أسلوب التوثيق فيه كنوع من أنواع الحفظ والتسجيل.

والفصل الرابع وتناولت فيه الدراسة والتدريس، ومعنى الأمية، ووسائل طلب العلم من رحلة ومن دراسة، وكتاتيب الأطفال، وبعض الموضوعات التي درسها العرب، مثل العلوم الدينية، وعلوم الشعر، واللغات الأجنبية إلى جانب الكتب غير العربية التي عرفها أهل نجد والحجاز، ثم تحدثت عن المدرسين العرب.

والفصل الخامس وتناولت فيه الشعر وعلومه، وتقسيمات الشعراء، وأنواع الشعر، ثم ميزات الشعر، وطرق اختبار الشعراء، وقواعد الشعر، ثم موقف الإسلام من الشعر.

والفصل السادس وتناولت فيه الخطابة والقصص، والصفات والشروط الشخصية التي تلزم الخطيب، والملكات البلاغية التي يجب أن يمتلكها الخطيب، وأسلوب الخطبة، والميزات التي أهلت الخطباء إلى ممارسة دور مهم في المجتمع، كما بينت موضوعات الخطب قبل الإسلام وبعده، والقصص والمعارف التاريخية التي تعلمها العرب جيلا بعد جيل.

والفصل السابع وتناولت فيه علم النسب، وتقسيمات الأنساب، وتعليم العرب الأنساب بعضهم بعضا، واستخدامات النسب قبل الإسلام وبعده، وعلاقة علماء النسب بتدوين الديوان زمن عمر، بعد أن نقلوا معارفهم بتسجيل الانساب في الدواوين.

أما الباب الثاني فشمل العلوم العقلية، وكان فيه ستة فصول على النحو التالي:
الفصل الأول وتناولت فيه علوم الجغرافيا، وبينت حاجتهم إليه في معرفة مجاهل الأرض، وفي السير على طرق المياه، وطرق تحديد الجهات الأربعة، وتناولت علم الحيوان والنبات، وكيف قسمه العرب وفصلوا فيه، وأنواع الرياح وعن تكون الغيوم وأشكالها، ووصف شكل الأرض، وتقسيماتها.

والفصل الثاني وتناولت فيه التعدين والصناعة، وحفر الآبار واستخراج المياه الجوفية، وأساليب استخراج المعادن، وطرق صهرها، وتحويلها إلى أشكال يمكن استخدامها.

والفصل الثالث وتناولت فيه التقويم وعلوم الفلك، ومدى إلمامعرب نجد والحجازبهذا العلم، ومعرفةعرب نجد والحجازبالنجوم وأبراج السماء، وكيف استفادوا منها في معرفة الاتجاهات في الصحراء، وكيف تمكنوا من تحديد أوقات سقوط الأمطار وأوقات نضوج الثمار، واستخدموا النجوم في تحديد التاريخ، وكيف بنوا عليه التقويم.

والفصل الرابع وتناولت فيه الهندسة والعمارة والمساحة، وأهم الصروح التي بناها العرب، وأهم المشاريع الزراعية التي أسسها العرب، وجوانب من فنون العمارة العربية، وأساليب أخذ القياسات والأبعاد.

والفصل الخامس وتناولت فيه الطب والبيطرة، وتشخيص الأمراض، وكيفية علاجها، وأنواع الأدوية، والجراحات من الجراحات الكبيرة إلى علاج جراح الحروب، وأخيرا الجراحات التجميلية، وبعض الشخصيات التي امتازت بالطب، والطب البيطري، وكيف عالجعرب نجد والحجازحيواناتهم الأليفة.

والفصل السادس وتناولت فيه النقود والموازيين والمكاييل، والعملة منذ ما قبل الإسلام حتى نهاية عصر الراشدين مبينا أنواع العملة ومقاديرها، والموازيين والمكاييل بالبحث مع تحديد قيمها.

نظرة في أهم المصادر والمراجع

استخدم الباحث عددا كبيرا من المصادر والمراجع، وكانت هذه المصادر متفاوتة في مادتها ومدى استخدامها في الرسالة، وكان من أهم هذه المصادر كتاب الأغاني للأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد، ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م، وهو كتاب يحتوي تاريخ أهم الشعراء، ويشمل كامل فترة الدراسة، وكان مؤلف الكتاب خلال ذلك يراعي طرافة المعلومات ونوعيتها، وتناول تاريخ العرب بأسلوب أدبي سهل ومتميز، واستطاع الباحث خلال دراسته لهذا السفر الضخم الحصول على معلومات في مختلف موضوعات الرسالة تقريبا، فكان المصدر عونا كبيرا للباحث في كامل الرسالة، مع طرافة وفرادة في معلوماته، وشرح للحدث بحيث يتمكن الباحث من معرفة مناسبة المعلومة وتاريخها، كما كان الشعراء من الفئة المتميزة الذين ساهموا في العلوم عند العرب قبل الإسلام، ولهذا استطاع الباحث الحصول على تميز كل شاعر في عصره، ونجد هذا التميز في الشعر واللغة العربية، وتدوين العلم، ومعرفة النجوم والجغرافيا.

ومن المصادر المهمة التي استخدمها الباحث كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، علي بن محمد الجزري، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، وكان هذا الكتاب موضوعا على حروف المعجم، وقد عرف بالصحابة وأهم إنجازاتهم، وكان الباحث قد استفاد من الكتاب باستخلاص معلومات مهمة عن الكتابة والالحفظ والتسجيل عند العرب، وكذلك الأطباء، ومن أمتاز من الصحابة بعلم متميز أكثر من معرفة تفصيلية بالعلوم نفسها، لهذا سيظهر المصدر في مجال طلب العلم ومعرفة القراءة والكتابة.

ومن المصادر المهمة التي تتكرر في الرسالة العقد الفريد، وهو كتاب موسوعي كبير ألفه ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م، وكان يحاول أن يجعله في كل فن على ما ذهب إليه ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار، لهذا ضمن كتابه أغلب ما ذكره ابن قتيبة، وكان استخدامه في مختلف الموضوعات، واستفادت منه بشكل أساسي في تقسيمات الأنساب عند العرب، حيث كانت معلوماته إحصائية، وفي معرفة لغات العرب حيث ذكر أغلبها.

ومن المصادر المهمة التي تظهر في الرسالة نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، ت ٢٠٩هـ/٨٢٣م، وكانت ذات فائدة في مجالين الأول في تقسيم الشعراء وعلومهم، والثاني في الطب، والظاهر أن أبا عبيدة كان لديه إلمام واسع بالطب فشرح الأبيات التي احتوت على معلومات طبية بشكل ممتاز.

ومن أكثر المصادر ظهورا في الرسالة كتاب لسان العرب لابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ/١٣١١م، واستعمله الباحث إلى جانب عدة قواميس، واستخدمه في المعاني وفي الشرح، واستخدم مصدرا بذاته استنبطت منه

معلومات فريدة، فكان الكتاب موسوعة شاملة في العربية أكثر من كونه كتاب لغة، وهو فعلا أهم واكبر كتاب في مجاله، ولم أجد عند من جاء قبله ولا من كان بعده وأخذ عنه من تفوق عليه ولا حتى في التبويب، وكان الباحث قد استعان به في استكمال ما نقص من معلومات في مختلف المجالات، كما أن الكتاب شرح وفصل في موضوعات أحتاج فيها الباحث إلى تفسير وتحليل للأفكار.

ومن المؤلفات المهمة التي اعتمد عليها الباحث مؤلفات الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م، وله كتاب الحيوان، والبيان والتبيين، والبرصان والعرجان، ورسائله، واستفاد الباحث من الحيوان في عدة موضوعات ولم يقتصر على علم الحيوان، فالجاحظ قد ضمنه عدة موضوعات واقتباسات وتحليلات، وتحدث فيه عن الكتابة والكتاب، والطب وتشخيص الأمراض، وفي علم النجوم، والبيان والتبيين، وكان مجال استخدامه في علوم اللغة العربية، والشعر والخطابة، أما البرصان فاستخدمته في مجال الطب.

ومن المؤلفات التي اعتمدت عليها في علوم الفلك أدب الكاتب لأبن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م، وشرح أدب الكاتب لابن الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد، ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م، والزمخشري، محمد بن عمر بن محمد، ت ٥٣٨هـ، في كتابه ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، وابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد، ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م، بكتابه التذكرة الحمدونية، وكانت المعلومات فيها تتناول الأبراج والمواقيت وارتباط سقوط الأمطار وهبوب الرياح ونضوج المحاصيل وبداية الحر بموقع الأرض بالنسبة للشمس، وبالنسبة للنجوم.
وقد استفادت من كتاب اللهجات العربية للدكتور علم الدين الجندي، وكتاب في اللهجات العربية للدكتور ابراهيم مؤنيس، وكتاب اثر القرآن الكريم في اللغة العربية، للدكتور احمد حسن الباقوري، وكتاب الفصحى لغة القرآن، للدكتور أنور الجندي، استفدت منها في تحديد قواعد اللغات العربية.

الباب الأول: العلوم النقلية.

ويحتوي:

الفصل الأول: لغات العرب (اللهجات العربية).

الفصل الثاني: العربية الفصحى.

الفصل الثالث: الكتابة والحفظ والتسجيل.

الفصل الرابع: الدراسة والتدريس.

الفصل الخامس: الشعر وعلومه.

الفصل السادس: الخطابة والقصص.

الفصل السابع: علم الأنساب.

الفصل الأول: لغات العرب (اللهجات العربية).

لم تتكون اللغة العربية مباشرة لغة فصحى، بل كانت قبل ذلك مجموعة لهجات تتطور وتتقارب حتى كونت اللغة العربية، وكانت خلال ذلك قد سارت على أسس وقواعد حتى وصلت الى ما هي عليه الآن، وإن أي مطلع على كتب اللغة العربية، وعلى قواميسها لا بد أن يجد كثيرا من المفردات التي لم يعرفها سابقا، وكل مرة يتعمق بها يجد أمورا لم يجدها سابقا، فاللغة العربية بحر، كلما زادت دراستها كلما اكتشف الباحث أنّه لا يزال على شواطئها.

وقد يجد الباحث اختلافا بينا في لهجات العرب أو ما أطلق عليه العرب لغاتا، فلم يختلف لفظ الكلمات والحروف فقط، بل اختلف العرب في المفردات فاستخدمت كل قبيلة مفردات خاصة، وكذلك ألفاظاً خاصة.

من أسباب ظهور اللهجات المختلفة قلة الاختلاط بين القبائل، والتمسك بمفردات القبيلة كميزة تصل إلى حد التعصب لها، وهذه الألفاظ كانت من مرجحات البلاغة عند العرب، فكلما كانت المفردات أقل عددا، وأكثر تعبيرا، كانت القبيلة تنال التقدم، لهذا كان القرآن له ميزة على كل أشعار العرب بالفصاحة والبلاغة[1].

ويعود ذلك إلى تباعد القبائل العربية عن بعضها، فمن القبائل من كان قليل الخلطة بغيره، ومنها من كان له اتصال مثل قريش، لهذا نجدها أكثر دراية بالمفردات المختلفة. وأما الفئة الأكثر دراية بالمفردات المشتركة للعرب فهم الشعراء، وقد أكثر الشعراء من الترحال والوفود على القبائل والمواسم والملوك، فإطلعوا على اللهجات العربية المختلفة، فكانت أشعارهم تنظم بلغة الأدب، ولهذا كانت الشعراء تجتمع في المواسم للتنافر وإظهار ميزة كل قبيلة بما فيها اللهجة.

---

[1] **أنيس**، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٦م، ص ٤٠.

ومن أسباب اختلاف اللسان العربي من مكان إلى آخر، الهجرة العربية إلى أطراف الجزيرة[1]، فكانت تتأثر بالشعوب المجاورة لها، مثل الفرس والروم، إلى جانب الشعوب الأقدم مثل الأنباط والسريان والأقباط وغيرهم، وإضافة كلمات جديدة للعربية وإضافة صوتيات جديدة من جهة أخرى.

وللغزو الخارجي أسباب في تغير اللهجات، مثل ما حدث من غزو الفرس للخليج العربي واليمن وشمال الجزيرة العربية، والروم لتخوم بلاد الشام الجنوبية والتي يوجد بها قبائل عربية بكثرة، فنتج لهذا السبب لغة عربية فيها خليط من مفردات الروم، كما تغيرت مخارج الحروف[2].

ومن الأسباب التي أدت إلى تغير اللغة، دخول مفردات جديدة على اللهجة المحلية من جهة، وتحدث بالاختلاط بالقبائل العربية، أو من خلال الوفود والرحلات إلى البلدان المجاورة سواء للتجارة، أو لأمور سياسية، أو بسبب التعلّم، وخلال ذلك يتم تزويد اللغة بمفردات جديدة باستمرار.

ومن الأسباب؛ انتشار الأديان مثل: اليهودية والنصرانية والمجوسية، فبعض حاجات هذه الأديان حاجات لغوية، فلها مفردات خاصة من جهة، ولها أسلوب بالتلاوة من جهة أخرى، مما يعمل على إضافة مفردات جديدة على مستوى الأسماء أو الأفعال.

كذلك اختلف عرب الجنوب عن عرب وسط وشمال الجزيرة العربية، فكونوا ثقافتين متمايزتين عن بعضهما خاصة في اللغة، فلم يكنعرب نجد والحجازفي وسط الجزيرة يتكلمون بلغة كتبت بخط المسند، أو لغات عرب الجنوب، بل كانوا يتكلمون بالعربية مع اختلاف في الألفاظ وبعض شروط الإعراب، على أن العربية كانت مفهومة فيما بينهم، وكان في اليمن جذور تختلف عن العربية في شمال ووسط الجزيرة مثل الخط المسند وأنواع من الخطوط الحميرية القديمة، ولا أدل على ذلك من اسر رجل يدعى أبو الطمحان، وهو من اليمن قصد مكة حاجا قبل الإسلام،

---

[1] المصدر نفسه، ص ٢٣.

[2] المصدر السابق، ص ٢٣.

فأسره قوم حتى مر به رجل فطلب منه إبلاغ قومه رسالة كتبها على رحله بالمسند[1]، ولو كانت القبيلة تعرف المسند ما كتبها وخاطر بحياته وحياة الأعرابي، وبين أبو الفرج أن المسند لم يكن معروفا عند العرب، واقتصرت معرفته على عرب الجنوب[2].

ورغم ما سيظهر في البحث من تباين في اللسان العربي، لكن ذلك لا ينفي وجود لغة عامة مشتركة بين العرب، لكن تباعد المسافات وقلة الاتصال، والاختلاط بغير العرب أوجد هذا التباين، لكننا كلما اقتربنا من وسط الجزيرة في نجد والحجاز سنجد التقارب مع العربية الفصحى التي تداولها العرب حتى اليوم، ولا أدل على ذلك من نزول القرآن بلسان قريش لأنه أوسط لسان بين العرب. ويميل ابن النديم إلى اعتبار أن الأصل في هجاء العربية واحد، لكن العرب بسبب تباعد المسافات أضافوا وغيروا وزادوا في كلماته، حتى إذا جاء الإسلام امتنعوا عن التغيير لأجل القرآن[3].

وكان العربي يتكلم بلسانه بين قومه، فإذا حضر المحافل والأسواق أو تغير عن قومه، تكلم بلسان فصيح[4]، وكانعرب نجد والحجاز لا يستشهدون بأشعار وأقوال العرب الذين يعيشون على أطراف الجزيرة العربية بسبب اختلاط العرب بالفرس والروم، وكانوا ينسبون الفصاحة إلى قبيلة دون قبيلة، فكان عرب نجد والحجاز من القبائل المشهود لها بالفصاحة[5].

و يمكن تقسيم الاختلاف في اللهجات العربية قبل الإسلام إلى أقسام حسب القبائل وحسب المكان، كما يظهر الخلاف في ذلك بين البطون نفسها، ويمكن أن يكون هناك تشابه بين قبيلتين في لفظ معين رغم بعد المكان، ونلاحظ عدم الاتفاق بين البطن الواحد.

---

[1] **الأصفهاني**، علي بن الحسين بن محمد، ت ٣٥٦هـ، الأغاني، تحقيق عبد علي مهنا، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٢م، جـ ١٣/ ص ٧.

[2] نفس المكان.

[3] **ابن النديم**، محمد بن إسحاق أبو الفرج، ت ٣٨٥هـ، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٧.

[4] أنيس، في اللهجات، ١٩٧٦م، ص ٤٦.

[5] المصدر نفسه، ص ٤٧.

فتكون اللغة العربية على ذلك: **ما نقل عن العرب من الألفاظ الدالة على المعاني الدالة على أغراض محدودة**[1]، لهذا لا يتقيد العربي بالألفاظ ما دام أنّها وافقت فهما عند قومه أو أغلب الذين تعامل معهم، ولم تظهر الحاجة إلى توحيد الألفاظ إلا بعد أن صارت ضرورة يتطلبها الدين، ومعاملات الدولة، وصارت قريش هي القبيلة الاكبر، وطبيعة الاختلاط السكاني بعد الإسلام، حيث لم يعد مقصورا على القبائل خاصة بعد الفتوح.

والتباين في اللسان العربي على أشكال:

١- ما ظهر فيه خلاف في الإعراب: ففي تخريج قوله تعالى: (إنْ هَذَان لسَاحِرَان)(طه: من الآية٦٣) جاءت مخالفة للنحو، لهذا قيل أنّها لغة من لغات الأعراب، وهي إجراء المثنى بالألف على كل حال، وهي لغة كنانة، وتظهر عند كنانة وبني الحارث بن كعب، وبني العنبر، وبني الهجيم، وبطون ربيعة، وبكر بن وائل، وزبيد، وخثعم، وهمدان، ومزادة، وعذرة[2].

وفي قولهم: - هذه حُضار-، تقوم كلاً من تميم وأهل الحجاز بتخفيف الضم في الراء لأنهم ميالون للإمالة، فإذا ضموها صعُب عليهم الإمالة، وإذا كسروها أصبحت أسهل. وبعض أهل الحجاز تُعْمل ما بشروط الإعراب، بينما تهملها تميم، قال الفرزدق:

فَما أحَدٌ مِن قَيس عَيلانَ فاخِراً   عَلَيهِ ولا مِنهُم كَثيرٌ يُكاثِرُه

وقوله:

فَما المَرءُ مَنفوعاً بِتَجريبِ واعِظٍ   إذا لم تَعِظهُ نَفسُهُ وَتَجارِبُه

والأولى أن يقول فاخرٌ ومنفوعٌ.

---

[1] **الباقوري**، أحمد حسن، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، دار المعارف، مصر، د، تحقيق ص ٢٥.

[2] **الجندي**، د، محمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م، ص ٣٠-٣١.

وأعملها الحجازيون عمل ليس[1]، وضم الميم وكسر الهاء على الإطلاق في هم، مثال قوله تعالى:(فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ)(البقرة: من الآية٢٤٦)، وهي لغة أسد ومكة والحجاز[2].

٢- ما تشابه اللفظ واختلف المعنى: ومثال عليه أن زيد بن عبد الله بن دارم وفد على بعض ملوك حمير فقال له الملك: ثب - يريد اجلس - فضن أنَّه يريد منه القفز! فقفز من مكانه! فصادف منحدر الجبل فهلك[3]، وتقول تميم الماء العد[4] وتعني الماء الكثير بينما هي عند بكر بن وائل الماء القليل[5].

٣- ما أختلف ضبطه من الكلمات: ومثال ذلك أن قيس تقول: ضبُع، بينما تقول تميم: ضبْع، بسكون الباء. وتقول تميم الرُفقة، بضم الراء، بينما تقول قيس الرفقة بكسر الراء[6].

٤- اختلاف في تركيب الجمل: ومثال ذلك تقول تميم: سماء البيت، بينما تقول قيس: سماوة البيت[7].

٥- ما اقلب فيه حرف من الحروف مكان آخر: ومثال ذلك الكشكشة وهي في ربيعة ومضر وقد ترد عن أسد وهوازن، وهي احلال الشين مكان الكاف قال الشاعر:

على فيما ابتغي ابغيش   بيضاء ترضيني ولا ترضيش

---

[1] المصدر نفسه، ص ٦٦.

[2] المصدر نفسه، ص ٦٣، **وغالب**، علي ناصر، لهجة قبيلة أسد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م، ص ١٣٥.

[3] ابن السكيت، يعقوب بن اسحاق، أبو يوسف، ت ٢٤٤هـ، اصلاح المنطق، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٢٧٦، والباقوري، أثر القرآن، ١٩٧٨م، ص ٣٨.

[4] وقال أبو عَدْنَانَ: سَأَلْتُ أبا عُبَيْدَةَ عن المَاءِ العِدِّ، فقالَ لي: الماءُ العِدُّ بلغَةِ تَميم: الكَثِيرُ. قال: وهو بلغَةِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ: الماءُ القليلُ. قال: بَنُو تَمِيمٍ يقُولون: الماءُ العِدُّ مثلُ بئرِ كاظِمَةَ، جاهِليٌّ إسْلاميٌّ لم يُنْزَحْ قطُّ، (**الزبيدي**، محمد بن محمد بن محمد، ت ١٢٠٥هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، مادة **عدد**).

[5] **الجندي**، أنور، الفصحى لغة القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٧٣.

[6] الجندي، م، اللهجات، ١٩٨٣م، ص ٧٠.

[7] المكان نفسه.

يريد أبغيك، وترضيك[1]، وأما كشكشة تميم: فإن بني عمرو بن تميم إذا ذكرتْ كاف المؤنث فوقفتْ عليها أبدلت منها شينا، لقرب الشين من الكاف في المخرج، وقال راجزُهم:

هل لكِ أن تَنتفعي وأنفعش فتُدْخلين اللدّ معي في اللّدّ مَعَش[2]

ومنها الكسكسة لربيعة ومضر وغيرهم، وهي جعل السين في خطاب المذكر بعد الكاف أو مكانها. ومنها الشنشنة عند اليمن وهي إقلاب الكاف شيناً على الإطلاق مثل: لبيش اللهم لبيش. ومنها العنعنة في لغة تميم وقيس، ويجعلون الهمزة المبدوء بها عينا مثل: عذن شاهدته، بدل أذن شاهدته. ومنها الفحفحة في لغة هذيل يبدلون الحاء عينا مثل: علت العياة، بدل حلت الحياة. وتبدل فقيم الياء جيما مثل:

خالي عويف وأبو علج المطعمان اللحم بالعشج

أي علي، والعشي[3].

وأما كسكسة بكر، فقوم منهم يُبدلون من الكاف سيْناً كما فعل التميميون في الشين[4].

وأما طمطمانية حِمْير: ففيها يقول عَنترة:

تَأوي له قُلص النّعام كما أوَتْ حِزَقٌ يمانيَة لأعجمَ طِمْطِمِ[5]

وإبدال الطاء بالتاء مثال: أفلطني بدل أفلتني، وهي لغة تميمية قبيحة، قال ساعدة ابن جؤية[6]:

بأصدَقَ بَأساً مِن خَليلِ ثَمينَةٍ وَأمضى إذا ما أفلطَ القائِمَ اليَدُ

---

[1] الباقوري، أثر القرآن، ١٩٧٨م، ص٣٦، وغالب، لهجة قبيلة أسد، ١٩٨٩م، ص ١٠١.
[2] **ابن عبد ربه**، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت ٣٢٨ هـ، العقد الفريد، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ت، جـ٢/ ص ٣٠٥.
[3] **الحميري**، نشوان بن سعيد، ت ٥٧٣هـ، الحور العين، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص٥٣، والباقوري، أثر القرآن، ١٩٧٨م، ص٣٧.
[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٢/ ص ٣٠٧.
[5] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٢٧٤.
[6] ساعِدَة الهذلي، ساعِدَة بن جُؤَيَّة بن كعب بن كاهل من سعد هذيل. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، أسلم وليست له صحبة قال الآمدي: شعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة.

يقصد افلت القائم[1].

٦- بعض الكلمات معروفة عند البعض دون البعض: ومثال ذلك أن أبا هريرة سمع قصة الامرأتين اللتين اختلفتا في ولد إيهما أمه، حتى جاءتا داود، فأمر من يشقه بسكين بينهما، فقالت الصغرى هو ابنها فحكم به لها، فقال أبو هريرة: (وَاللَّهِ أن سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ قَطُّ إِلَّا يَوْمَئِذٍ وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدْيَةَ)[2]،

وتقول تميم السدفة وتعني الظلمة، وفي لغة قيس الضوء، وهو اختلاف كبير يصل إلى النقيض[3]، واختلف العرب حتى على مستوى ضبط الاسم الواحد فقالت كندة: المُجَرُّ[4]، وقالت تميم: المَجَرُّ، وقالت الحريش: المُجَّرُّ[5].

٧- على مستوى النطق:

أ- اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية، مثل تشابه مخرج القاف والجيم عند المصريين.

ب- اختلاف في مقياس بعض الأصوات، فحديث أهل الأسواق يختلف عن أهل الأدب.

ت- اختلاف في وضع أعضاء النطق عند النطق بأصوات مختلفة.

ث- التباين في النغمة الموسيقية لبعض الكلمات، كما في حالة الغناء والتكلم.

ج- اختلاف حالة النطق في بعض الكلمات حسب موقعها، مثل الإدغام والإظهار[6].

---

[1] الجندي، م، اللهجات ١٩٨٣م، ص ٦٣.

[2] **البخاري**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦ هـ، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م، جـ ٦/ ص ٢٤٨٥، الباقوري، أثر القرآن، ١٩٧٨م، ص٣٨.

[3] الجندي، م، اللهجات ١٩٨٣م، ص ٧١.

[4] الجيش الكثير، (**ابن منظور**، أبو الفضل محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د، ت، مادة **مجر**).

[5] **الكلبي**، أبو المنذر هشام بن محمد، ت ٢٠٤هـ، جمهرة النسب، تحقيق د، ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٧٢.

[6] أنيس، في اللهجات، ١٩٧٦م، ص ١٩.

ويحصل الخلاف في اللهجات العربية من عدة أوجه منها:

١-الإقلاب: وهو تبديل حرف مكان حرف، ومثال عليه إقلاب الفاء والثاء ومنها قوله تعالى:(٠٠ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا **وَفُومِهَا** وَعَدَسِهَا ٠٠)، (البقرة: من الآية٦١) قرأها ابن مسعود وثومها، وكان يرى أنَّها لغة في القرآن[1]، ومن الأمثلة عليها الحثالة و**الحفالة**[2]، واللثام و**اللفام**، وثمّ و**فمّ**، وكلها تجوز ولها نفس المعنى في القاموس.

٢- الزيادة: وهي إضافة حرف للتخلص من التقاء الساكنين، أو صعوبة في لفظ الكلمة، ومثال عليها، كلمة أحمرت في قول كُثيِّر عزة[3]:

وَأنتَ ابنَ ليلى خَيرُ قَومِكَ مَشهَداً إذا ما **اِحمَأرّت** بِالعَبيطِ العَوامِلُ

وقول الطرماح[4] في أجزلت:

وَلَو خَرَجَ الدَجّالُ يَنشُدُ ذِمَّة لزافيت تَميمٌ حَولهُ **وَاِجزَألّتِ**[5]

٣-الهمز: وهو في لغة بني كلب حيث جعلوا الهمز للارتكاز الصوتي وهو أيضا للتخلص من التقاء الساكنين، ومنها دابة و**دأبة**، وكان عمرو بن عبيد يقرأ في قوله تعالى: (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ) (الرحمن:٥٦) و(الرحمن:٧٤) بالهمز **جأن**، وقولهم في الباز **البأز**[6].

---

[1] القالي، الامالي، ٢٠٠٣م، ص ٧٨٨، **الجنابي**، أحمد نصيف، ملامح من تاريخ اللغة العربية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م، ص ١٥.

[2] القالي، الامالي، ٢٠٠٣م، ص ٧٨٨.

[3] كُثيِّر عزة، كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة وأمه جمعة بنت الأشيم الخزاعية. ٤٠- ١٠٥ هـ/ ٦٦٠ - ٧٢٣ م، شاعر متيم مشهور، من أهل المدينة، وتوفي والده وهو صغير السن، وكان منذ صغره سليط اللسان، وكفله عمه بعد موت أبيه وكلفه رعي قطيع له من الإبل حتى يحميه من طيشه وملازمته سفهاء المدينة. واشتهر بحبه لعزة فعرف بها وعرفت به وهي: عزة بنت حُميل بن حفص من بني حاجب بن غفار كنانية النسب كناها كثير في شعره بأم عمرو، ويسميها تارة الضميرية، وابنة الضمري، نسبة إلى بني ضمرة.

[4] الطرماح، الطِّرِمَّاح بن حكيم بن الحكم، من طيء. ؟ ١٢٥ هـ/؟ - ٧٤٣ م، شاعر إسلامي فحل، ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة فكان معلّماً فيها. واعتقد مذهب (الشراة) من الأزارقة (الخوارج). واتصل بخالد بن عبد الله القسري فكان يكرمه ويستجيد شعره. وكان هجاءاً، معاصراً للكميت صديقاً له، لا يكادان يفترقان. قال الجاحظ: "كان قحطانياً عصبياً".

[5] الجنابي، تاريخ اللغة العربية، ١٩٨١م، ص ١٧.

[6] المصدر نفسه، ١٩٨١م، ص ١٧.

٤- تحويل الساكن إلى منزلة المتحرك حسب قوة الحركة مثل قول جرير:

أحب **المؤقدين إلي مؤسى** وجعدة إذ أضاءهما الوقود

فهمز الواو في الكلمتين لأنهما جاورتا الضم فيما قبلهما، ومثلها همز الضألين[1].

التركيب: وهو تطور حصل على كلمات وجمل لتتحول إلى كلمة واحدة، ومثال عليها كلمة ليس واصلها من (لا أيس)، فأزيلت الألف من اللا وحذفت الهمزة من أيس، ودليل ذلك أن العرب تقول جاءني من حيث أيس وليس، وهي مقلوبة عن أيس ولا أيس، وتعني من حيث يوجد ولا يوجد[2].

٥- الحذف: ومثال عليها سوف فقد تطورت مع الأيام لتصبح السين، وكلاهما بمعنى واحد ولا فرق في إعطاء صورة المستقبل للأفعال، ولكن الميزة فقط في تسهيل الإملاء، فكان هذا ضرورة إملائية وكتابية فقط، ودليل ذلك قراءة ابن مسعود قوله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (الضحى:٥) بـ"**ولسيعطيك** ربك فترضى"[3].

٦-الاستنطاء: وهو جعل العين الساكنة نوناً إذا سبقت حرف الطاء، ومثاله أنطى بدلاً من أعطى، وكانت موجودة في لغة هذيل وسعد بن بكر والأزد وبعض اليمن، قال الأعشى[4]:

جيادُكَ في الصَيفِ في نِعمَةٍ تُصانُ الجِلالَ وَتُنطي الشَعيرا

وقرأ الحسن البصري قوله تعالى:"إنا أنطيناك الكوثر"[5].

---

[1] المصدر نفسه، ١٩٨١م، ص ١٨.

[2] المصدر نفسه، ١٩٨١م، ص ١٩.

[3] المصدر نفسه، ١٩٨١م، ص ٢١، والخطيب البغدادي، خزانة الادب، ٢٠٠٣م، ص ٥٤٥٩.

[4] الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير.؟ - ٧ هـ/؟ ٦٢٨ م، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب، والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كلَّ مسلك، وليس أحدٌ ممن عرف قبله أكثر شعراً منه. وكان يُغنّي بشعره فسمّي (صناجة العرب). قال البغدادي: كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس فكثرت الألفاظ الفارسية في شعره. عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة الرياض وفيها داره وبها قبره.

[5] الجنابي، تاريخ اللغة العربية، ١٩٨١م، ص ٢٥، وأبو العلاء المعري، رسالة الصاهل، ٢٠٠٣م، ص ٧١٣.

٧-التلتلة: وهو كسر حرف المضارعة، وهي في لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب، ما عدا أهل الحجاز وبعض هوازن وأزد السراة وبعض هذيل، قال حكيم بن معية الربعي وهو من بني تميم[1]:

لو قلت ما في قومها لم **تِيثم**　　　يفضلها في حسب وميسم

وأصلها "لم تأثم" فصارت "تئثم" ثم خففت فصارت "تيثم"، ومثال ذلك قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ **نَسْتَعِينُ**) (الفاتحة:٥) عند قريش وعند غيرها **نِستعين**[2]. وقد كانت كلمة أخال من الكلمات ذات الشيوع في كلام العرب من هذا الأصل حتى درجت في عدة قبائل قال كعب بن زهير[3]:

أرْجُو وآمُلُ أن تَدْنُو مودَّتُها　　　ومَا **إخالُ** لدينا منكِ تَنْويلُ

وقال أبو ذؤيب الهذلي[4]:

فَغَبَرتُ بَعدَهُمُ بعَيشٍ ناصِبٍ　　　**وَإِخالُ** أنّي لاحِقٌ مُستَتبَعُ

واستعملها غيرهما[5].

---

[1] معاصر لجرير، (**الميداني**، أحمد بن محمد النيسابوري، ت ٥١٨هـ ، مجمع الأمثال، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.، ص ٢١٦٧).

[2] الجنابي، تاريخ اللغة العربية، ١٩٨١م، ص ٢٧.

[3] كَعبِ بن زُهَير، كعب بن زهير بن أبي سلمى، المازني، أبو المضرَّب. ؟ - ٢٦ هـ/؟ ٦٤٦ م، شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبيّ صلى الله عليه وسلم، دمه فجاءه كعب مستأمناً وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

فعفا عنه النبيّ صلى الله عليه وسلم، وخلع عليه بردته. وهو من أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوّام كلهم شعراء.

[4] أبو ذُؤَيب الهذلي، خويلد بن خالد بن محرِّث أبو ذُؤيب من بني هذيل بن مدركة المضري. ؟ - ٢٧ هـ/؟ ٦٤٨ م، شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي السرح إلى إفريقية سنة (٢٦ هـ) غازياً. فشهد فتح أفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان، فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها. وقيل مات بإفريقية. أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد مطلعها:"أمن المنون وريبه تتوجع". قال البغدادي: هو أشعر هذيل من غير مدافعة. وفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة وفاته، فأدركه وهو مسجّى وشهد دفنه. له (ديوان أبي ذؤيب - ط).

[5] الجنابي، تاريخ اللغة العربية، ١٩٨١م، ص ٢٨.

٨-التخفيف: وهو إحلال حرف أسهل نطقا في كلمة معينة لتسهيل النطق بحيث يكونان قريبي المخرج الصوتي، كما في شرح بيت حكيم بن معية الربعي السابق.

٩-الشنشنة: وهو جعل الكاف شينا وينسب لأهل اليمن وتغلب، فكان أهل اليمن يقولون:"**لبيش** اللهم **لبيش**"[1]. وأهل الشحر من مهرة ومن قضاعة، لغتهم تصعب على العرب فهم يبدلون الشين مكان الكاف، فيقولون:"هل **لش**" بدل "هل لك"، وغير ذلك من الحروف[2].

١٠-الطمطمانية: وهو إبدال لام التعريف ميماً، وتنسب إلى طيئ وقبائل حمير، مثل:"طاب **امهواء**[3] وصفا **امجو**"، يعني "طاب الهواء وصفا الجو"[4]، وأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض وافدي اليمن وقد سألوه عن الصيام في السفر:"ليس من **امبر امصيام** في **امسفر**"، أي "ليس من البر الصيام في السفر"[5].

١١-العجرفية: وهي جفاء في الكلام بشكل عام، وكانت لضبة خاصة[6].

١٢-العجعجة: وهي تحويل الياء جيماً، وكانت خاصة بقضاعة، وهي كالعنعنة عند تميم، يقولون في تميمي: **تميمج**[7]، وكان بنو دبير وهم من بني أسد يقلبون الياء الخفيفة إلى جيم.

١٣-العنعنة: وهي إبدال ألف أن وإن وكانت في تميم وأسد وقيس وقريش، ومثال عليه أنك: **عنك**، في قولهم:"أشهد عنك رسول الله"[8].

١٤-الغمغمة: وهو أن تسمع الكلام ولا تتبين مقاطع الحروف، وهو من لسان قضاعة[1]،

---

[1] المصدر نفسه، ص ٢٩.

[2] **المسعودي**، أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ١٥٠.

[3] الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد، ت ٥٠٢هـ، محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١٦٦.

[4] الجنابي، تاريخ اللغة العربية، ١٩٨١م، ص ٢٩.

[5] **الزيلعي**، عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي، ت ٧٦٢هـ، نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق محمد يوسف البنوري، دار الحديث، مصر، ١٣٥٧هـ، جـ٢/ ص ٤٦١، والجنابي، تاريخ اللغة العربية، ١٩٨١م، ص ٣٠.

[6] الجنابي، تاريخ اللغة العربية، ١٩٨١م، ص ٣١.

[7] الجنابي، تاريخ اللغة العربية، ١٩٨١م، ص ٣١.

[8] المصدر نفسه، ص ٣٥.

١٥-الفحفحة: وهو قلب الحاء عينا، وهو ينسب إلى قبيلة هذيل، سمع عمر بن الخطاب رجلا يقرأ في قوله تعالى:(حَتَّى حِينٍ)(يوسف: من الآية٣٥)، "**عتى** حين"[2].

١٦- القطعة: وهو قطع اللفظ قبل تمامه، وهو في قبيلة طيئ، وهو مثل يا أبا **الحا** وهو يريد الحكم[3].

١٧- ويعزى إلى بكر وبني عمر بن تميم وناس من أسد، أنهم يحولون الكاف في خطاب المؤنث الى شين، مثل **دارش** بدل دارك في خطاب المؤنث[4].

١٨-اللخلخانية: وهو لكنة العجمة في الكلام، وهي عند العرب في حدود الجزيرة العربية إلى مشارف الفرات خاصة العراق، وقد توجد في الشحر وعُمان، ومثل قولهم في:"ما شاء الله كان"، "**مشا** الله كان"[5].

١٩-الوتم: وهو قلب السين تاء، وهو في لسان اليمن، ومثاله قول علباء بن أرقم[6]:

يَا قَبَّحَ اللهُ بَنِي السَّعْلاتِ   عَمْراً وَقَابُوساً شِرَارَ النَّاتِ

لَيْسُوا بِأَخْيَارٍ وَلاَ أَكْيَاتِ

أراد شرار الناس وأكياس[7].

٢٠- الوكم: وهو كسر الكاف في ضمير المخاطبين المتصل **(كم)** إذا سبق بكسرة، وهو في ربيعة وبعض كلب وبكر بن وائل، فيقال **بِكِم** في بِكُم[8].

---

[1] المصدر نفسه، ص ٣٧.
[2] المكان نفسه.
[3] المصدر نفسه، ص ٣٨.
[4] المصدر نفسه، ص ٤٠.
[5] المصدر نفسه، ص ٤٧.
[6] عِلباء بن أرقم، علباء بن أرقم بن عوف بن سعد بن عجل بن عتيك بن يشكر بن بكر وائل. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر جاهلي كان معاصراً للنعمان بن المنذر. له شعر في الأصمعيات.
[7] ابن دريد، محمد بن الحسن ابو بكر، ت ٣٢١هـ، الاشتقاق، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٤٠٩، والجنابي، ملامح من تاريخ اللغة، ١٩٨١م، ص ٤٧، و **القالي**، أبو علي إسماعيل بن القاسم، ت ٣٥٦هـ، كتاب الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ت. وطبعة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٨٧٣، **وأبو يعلى التنوخي**، عبد الباقي بن عبد الله المحسن، ت ٤٨٧ هـ، القوافي، تحقيق عوني عبد الرؤوف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٩٩.
[8] الجنابي، تاريخ اللغة العربية، ١٩٨١م، ص ٤٨.

١٥-الفحفحة: وهو قلب الحاء عينا، وهو ينسب إلى قبيلة هذيل، سمع عمر بن الخطاب رجلا يقرأ في قوله تعالى:(حَتَّى حِينٍ)(يوسف: من الآية٣٥)، "**عتى** حين"[٢].

١٦- القطعة: وهو قطع اللفظ قبل تمامه، وهو في قبيلة طيئ، وهو مثل يا أبا **الحا** وهو يريد الحكم[٣].

١٧- ويعزى إلى بكر وبني عمر بن تميم وناس من أسد، أنهم يحولون الكاف في خطاب المؤنث الى شين، مثل **دارش** بدل دارك في خطاب المؤنث[٤].

١٨-اللخلخانية: وهو لكنة العجمة في الكلام، وهي عند العرب في حدود الجزيرة العربية إلى مشارف الفرات خاصة العراق، وقد توجد في الشحر وعُمان، ومثل قولهم في:"ما شاء الله كان"، "**مشا** الله كان"[٥].

١٩-الوتم: وهو قلب السين تاء، وهو في لسان اليمن، ومثاله قول علباء بن أرقم[٦]:

يَا قَبَّحَ اللهُ بَنِي السَّعْلاتِ   عَمْراً وَقَابُوساً شِرَارَ النَّاتِ

لَيْسُوا بِأَخْيَارٍ وَلاَ أَكْيَاتِ

أراد شرار الناس وأكياس[٧].

٢٠- الوكم: وهو كسر الكاف في ضمير المخاطبين المتصل **(كم)** إذا سبق بكسرة، وهو في ربيعة وبعض كلب وبكر بن وائل، فيقال **بِكِم** في بِكُم[٨].

---

[1] المصدر نفسه، ص ٣٧.
[2] المكان نفسه.
[3] المصدر نفسه، ص ٣٨.
[4] المصدر نفسه، ص ٤٠.
[5] المصدر نفسه، ص ٤٧.
[٦] عِلباء بن أرقم، علباء بن أرقم بن عوف بن سعد بن عجل بن عتيك بن يشكر بن بكر وائل. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر جاهلي كان معاصراً للنعمان بن المنذر. له شعر في الأصمعيات.
[7] ابن دريد، محمد بن الحسن ابو بكر، ت ٣٢١هـ، الاشتقاق، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٤٠٩، والجنابي، ملامح من تاريخ اللغة، ١٩٨١م، ص ٤٧، و **القالي**، أبو علي إسماعيل بن القاسم، ت ٣٥٦هـ، كتاب الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ت. وطبعة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٨٧٣، **وأبو يعلى التنوخي**، عبد الباقي بن عبد الله المحسن، ت ٤٨٧ هـ، القوافي، تحقيق عوني عبد الرؤوف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٩٩.
[8] الجنابي، تاريخ اللغة العربية، ١٩٨١م، ص ٤٨.

٢١- الوهم: وهو كسر الهاء من ضمير الغائبين المتصل هم بشكل مطلق، وهو في لسان بني كلب، مثل **منهم** و**عنهم**[١].

٢٢- **وجبرت** لغة في أجبرت، وهي لغة تميم[٢].

٢٣- الهمز: وهي لغة عند تميم، مثل قولهم **نبيء** بدل نبي[٣].

٢٤- حذف نون المثنى في الرفع، وهي لغة عند بني الحارث بن كعب، وبعض ربيعة، ومثال ذلك قول الأخطل[٤]:

هما اللتا لو ولدت تميم　　　لقيل فخرٌ لهم صميم

والأصل أن يقول:"اللتان"[٥].

٢٥- حذف الحركة في حالة الوصل، وقد وجدت عند أعراب بني عقيل وكلاب، وأزد الشراة[٦].

٢٦-النصب بعد غير إذا كانت بمعنى إلا، مثال قوله تعالى: (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) (الأعراف: من الآية٥٩)، وهي عند سهل وقضاعة وبني أسد.

وهناك عيوب عامة في العرب تغير في اللغة العربية، ولا فرق فيها بين القبائل، وتوجد في الأديب و العامي، مدني أو بادي، أعرابي أو حضري، وقد أجمل لنا المبرد - أبو العباس محمد بن يزيد النَحويّ - أهمها فقال:

١-الثَمتَمة في المنطق: الترددُ في التاء، والعُقلة: هي التواء اللسان عند إرادة الكلام.

٢-الحُبْسة: تعذُر الكلام عند إرادته.

---

[1] المصدر نفسه، ص ٤٨.

[2] الجندي، م، اللهجات، ١٩٨٣م، ص ٦٣.

[3] المصدر نفسه، ص ٦٤.

[٤] الأخطل، غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. ١٩ - ٩٠ هـ/ ٦٤٠ ٧٠٨ م، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجباً بأدبه، تياهاً، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حيناً في دمشق وحيناً في الجزيرة.

[5] **البغدادي**، عبد القادر بن عمر، ت ١٠٩٣هـ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٤٤٩٦.

[6] الجندي، م، اللهجات ١٩٨٣م، ص ٦٤.

٣-اللفف: إدخالُ حَرْف في حَرْف.

٤-الرُّتة: كالرتَج تمنُع أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل به.

٥-الغَمْغمة: أن تسمع الصوت ولا يَبين لك تقطيعُ الحروف، فإنها قد تكون من الكلام وغيره، لأنها صَوتٌ من لا يُفهم تقطيع حرُوفه، قال عنترة:

وصاحبِ ناديته فغَمْغما   يُريدُ لَبيك وما تكلّما

قد صار من خوف الكلام أعْجما[1]

٦-الرَتة: فإنها تكون غريزية، وقال الراجز:

يأيُها المُخلط الأرَتّ

ويقال أنّها تكثر في الأشراف.

٧-الطمْطمة: أن يكون الكلام مُشْبِهاً لكلام العجم.

٨-الُلكنة: تظهر في كلام العجم إذا تكلموا العربية.

٩-اللّثغة: أن يُعدَل بحَرْف إلى حَرْف.

١٠-الغُنّة: أن يُشرب الحرفُ صوتَ الخَيْشوم.

١١-الخُنَة: أشد منها.

١٢-الزخيم: حَذْف الكلام.

١٣-الفأفأة: التردد في الفاء: يقال: رجل فأفاء، تقديره فاعال، ونظيره من الكلام ساباط وخاتام، قال الراجز[٢]:

يا مَيُّ ذات الجَوْرب المنشَقّ   أخذتِ خاتامِي بغَير حَقٍّ

وقال آخر[٣]:

ليس بفأفاء ولا تَمتام   ولا مُحبٍّ سقَطَ الكلام

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٠٠٣م، ص ١٣٧٣.

[٢] أبو محمد الفقعسي، عبد الله بن ربعي بن خالد الحذلمي الفقعسي الأسدي، أبو محمد. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م راجز إسلامي، عاصر حروب الردة في عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه. تردد اسمه كثيراً في كتب اللغة والمعاجم حيث كانت أراجيزه تستخدم كشواهد لغوية أو نحوية، فيما أهملته كتب الأدب.

[٣] أبو الزحف الراجز، هو ابن عطاء بن الخطفي، ابن عم جرير الشاعر. وعمر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس.

١٤- اللكنة: وهي نطق العربية بلكنة أجنبية، وكان صُهيب الرومي يَرْتضخ لُكْنة روميّة[1].

فعلى ذلك تكون اللهجة مجموعة المقاييس والمعايير المشتركة التي تمتلكها اللغة في نطاق جغرافي زمني، تجعلها مميزة عما حولها من الناطقين باللغة نفسها، وتكون ذات صفات خاصة يمكن ملاحظتها عند السماع والكتابة، وقد يكون التميز بها خطأ في المقياس المشترك للغة، ويسمى أحيانا باللحن[2].

الأحرف السبعة:

دلتنا النصوص على أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات نزل بها القرآن، ونود أن ننبه بأن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع المشهورة، التي يظن كثير من عامة الناس أنّها الأحرف السبعة، وهو خطأ ناشئ عن الخلط وعدم التمييز بين الأحرف السبعة والقراءات السبعة.

وهذه القراءات السبع إنما عرفت واشتهرت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، على يد الإمام المقرئ ابن مجاهد الذي اجتهد في تأليف كتاب يجمع فيه قراءات بعض الأئمة المبرزين في القراءة، فاتفق له أن جاءت هذه القراءات سبعة موافقة لعدد الأحرف.

أن اللغة التي نزل بها القرآن هي من نوع لغة الأدب التي صيغ بها الشعر وألقيت بها الخطب، كما أنّها أخذت من اللهجات العربية محاسنها، واستعملت الأحرف العربية السبعة[3]، والراجح في تفسير الأحرف السبعة هو اللغات العربية

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٢/ ص ٣٠٥-٣٠٧ وجـ ٣/ ص ٢٧٤.
[2] أنيس، في اللهجات، ١٩٧٦م، ص ١٦.
[3] **عبد الرحيم**، عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة، عمان، ١٩٨١م، ص١٥.

السبعة التي كانت منتشرة قبل الإسلام، واللغات السبع ليست كل لغات العرب أنما هي المشهورة، وتعني تغيرا في الألفاظ والمباني مع اتفاق المعاني وتقاربها[1].

واللغات التي استعملها القرآن هي اللغات العربية الأفصح، والأكثر قربا من مكة في نجد والحجاز مثل: قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة والطائيين، إضافة إلى اللغة الأفصح وهي لغة قريش[2]. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرئ الصحابة والوافدين عليه من القبائل المختلفة كل بلسانه ويقول إنّه صحيح، وبين أن القرآن يقرأ على سبعة أحرف[3].

وهذا جدول بالألفاظ العربية التي استخدمها القرآن، وقد اشتركت بها عدة قبائل [4]:

اسم القبلية	عدد الألفاظ
قريش	١٠٤
هذيل	٤٥
كنانة	٣٦
حمير	٢٣
جرهم	٢١
تميم، قيس عيلان	١٣
أهل عمان، أزد شنوءة، خثعم	٦
طيء، مذحج، مدين، غسان	٥
بنو حنيفة، حضرموت، أشعر	٤
أنمار	٣
خزاعة، بنو عامر، لخم، كندة، سبأ، أهل اليمامة، مزينة، ثقيف	٢
العمالقة، سدوس، سعد العشيرة	١

[1] المصدر نفسه، ص١٧.
[2] المصدر نفسه، ص١٨.
[3] أنيس، في اللهجات، ١٩٧٦م، ص ٥٣.
[4] أنظر، ابن حسنون، ت ٣٨٦هـ، اللغات في القرآن، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٧.

حقيقة الأحرف السبعة: ذهب بعض العلماء إلى استخراج الأحرف السبعة **باستقراء** أوجه الخلاف الواردة في قراءات القرآن كلها صحيحها وسقيمها، ثم تصنيف هذه الأوجه إلى سبعة أصناف، بينما عمد آخرون إلى التماس الأحرف السبعة في لغات العرب، وفي الحديث: (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا حَدَّثَهُ أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ)[1]. فتكون بذلك مذهبان رئيسيان، نذكر نموذجاً عن كل منهما فيما يلي:

المذهب الأول: مذهب **استقراء** أوجه الخلاف في لغات العرب، وفي القراءات كلها ثم تصنيفها، فكل حرف من الأحرف السبعة المنزلة فيه اختلاف.

أحدها: اختلاف أوزان الأسماء من الواحد، والتثنية، والجموع، والتذكير، والمبالغة. ومن أمثلته: {**وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**} [المؤمنون: ٨]، وقرئ. {**لأَمَانَتِهِمْ**} بالإفراد.

ثانيها: اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه، نحو الماضي والمستقبل، والأمر، وأن يسند إلى المذكر والمؤنث، والمتكلم والمخاطب، والفاعل، والمفعول به. ومن أمثلته: {**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا**} [سبأ: ١٩] بصيغة الدعاء، وقرئ: {**رَبَّنَا بَاعَدَ**} فعلا ماضيا.

ثالثها: وجوه الإعراب. ومن أمثلته: {**وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ**} [البقرة: ٢٨٢] قرأ بفتح الراء وضمها. وقوله {**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**} [البروج: ١٥] برفع {**الْمَجِيدُ**} وجره.

رابعها: الزيادة والنقص، مثل: {**وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى**} [الليل: ٣] قرأ {**الذَّكَرَ وَالأُنْثَى**}.

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧م، جـ ٤/ ص ١٩٠٩.

خامسها: التقديم والتأخير، مثل،{**فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**} [التوبة: ١١١] وقرأ: {**فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُون**} ومثل: {**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوتِ بِالحقِّ**}(من سورة ق: ١٩)، قرأ: {**وجاءت سكرة الحق بالموت**}.

سادسها: القلب والإبدال في كلمة بأخرى، أو حرف بآخر، مثل: {**وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا**} [البقرة: ٢٥٩] بالزاي، وقرئ: {**ننشرها**} بالراء.

سابعها: اختلاف اللغات: مثل {**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**} [النازعات: ١٥] بالفتح و **الإمالة** في: {**أتى**} و{**موسى**} وغير ذلك من ترقيق وتفخيم وإدغام...الخ.

فهذا التأويل مما جمع شواذ القراءات ومشاهيرها ومنسوخاتها على موافقة الرسم ومخالفته، وكذلك سائر الكلام لا ينفك اختلافه من هذه الأجناس السبعة المتنوعة.

المذهب الثاني: أن المراد بالأحرف السبعة لغات من لغات قبائل العرب الفصيحة.

وذلك لأنَّ المعنى الأصلي للحرف هو اللغة، فأنزل القرآن على سبع لغات مراعيا ما بينها من الفوارق التي لم يألفها بعض العرب، فأنزل الله القرآن بما يألف ويعرف هؤلاء وهؤلاء من أصحاب اللغات، حتى نزل في القرآن من القراءات ما يسهل على جلّ العرب أن لم يكن كلهم، وبذلك كان القرآن قد نزل بلسان قريش والعرب[1].

عن (عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ. قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقُلْتُ: كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ. فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ

[1] إبراهيم: ٤، والشعراء: ١٩٥.

وبهذا نخلص إلى أن العرب لم يعرفوا وحدة لغوية مطلقة قبل الإسلام، وان استمرت المفردات ظاهرة بعد الإسلام لكن العرب عرفوا مكان لهجتهم من القرآن، حيث عُدَّ مقياس الفصاحة بأسلوبه وسهولة ألفاظه وبلاغة عباراته ومخاطبته العرب والناس كافة، لقد راعى القرآن في نزوله لغات العرب وظهر فيه حروف من غير لغة قريش، لكننا نلاحظ أن العرب تركوا حروفهم ليعودوا إلى لسان قريش لتتوحد لغتهم[1].

لقد كان مستوى اللغة يتطور مع تطور الأمة وتحولها من القبيلة إلى الدولة، فكلما زادت قناعة العربي بالدولة الإسلامية كلما رغب في اخذ الهوية الإسلامية، ولهذا أخذ من الإسلام حتى خطابه لأمته الذي تجلى في القرآن والحديث، وبهذا تتوحد لغة العرب تدريجيا لتصبح لسان عامتهم، بينما تصبح الاحرف لغة عامية تظهر في القرى وبعض المدن، كما أن العمل في أجهزة الدولة ومؤسساتها أجبر العربي وغيره على الوصول إلى تلك اللغة الفصيحة التي تفهم في أنحاء دولة وليس قبيلة.

ولقد كان الخلفاء وعمالهم بعدهم يعتنون بالعربية، فمنذ سيدنا علي رضي الله عنه وتكليفه لأبي الأسود الدؤلي بوضع علم النحو في العربية ليسير عليه الناس، وبعده زياد ابن أبيه والحجاج، نلاحظ أن العربية أصبحت مادة للدراسة، وهذا الذي أدى بعد ذلك إلى ظهور مدارس في الكوفة والبصرة لوضع حدود جلية للعربية في مجال الإعراب والضبط اللغوي، وحتى على مستوى المحسنات اللفظية والصوتية.

[1] **العلي**، د. صالح أحمد، العلوم عند العرب دراسة في كتبها ومكانتها في الحركة الفكرية في الإسلام، مؤسسة الرسالة، د، ت، ص ٢٩.

الفصل الثاني: العربية الفصحى.

تعتبر اللغة العربية من اللغات العروبية، فخاصية الإعراب من خصائص اللغات التي ظهرت شمال ووسط الجزيرة العربية، لهذا نجد أن الشعر فيها له وزن وقافية وله ضابط إعرابي يتحكم بسكناته وحركاته، والمحافظة على معاني الحروف ودلالاتها وثبات الأصوات وتنوع الصرف والاشتقاق، وتعدد الأبنية والصيغ وكثرة المصادر وجموعها والترادف والتضاد والاستعداد للتوليد والتعريب[1].

وقد تطورت اللغة العربية من خليط من اللغة السبئية والحميرية واللغات العروبية خاصة السريانية، وغيرها من اللغات الشرقية لتصبح المزيج الذي تكونت منه لغة عرب ما قبل الإسلام، وان كانت كل قبيلة تأثرت أكثر بمن حولها من الدول، لكن صارت هناك كلمات مشتركة تفهم عند العرب من أقصى شمال الجزيرة العربية حتى اليمن[٢].

ولكن التأثيرات التي أدخلتها السريانية في اللغة العربية أكثر مما أدخلته اليمنية، فقد كانت اليمن حتى زمن قليل قبل الإسلام تتكلم بلغة غير العربية، وكانت القبائل تتكلم بلغة حمير، لذلك سموهم المتلكعون[٣]. وهذا ما يوضحه أبو عمرو بن العلاء[٤]

---

[1] **ولفنسون**، أ، أبو ذويب، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٨، **وولويل**، مصطفى سعيد، الموجز في تطور اللغة العربية، د، م، ٢٠٠٠م، ص ٣٥.

[2] الجندي، أ، الفصحى، ١٩٧٩م، ص ٢٩.

[3] **أبو عبيدة**، معمر بن المثنى التيمي، ت ٢٠٩هـ، كتاب أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق د، عادل جاسم البياتي، عالم الكتب، مكتبة النهضة، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٥٧٧.

[٤] أبو عمرو بن العلاء: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني البصري. واسمه العريان؛ قال عنه ابن خلكان:"أحد القراء السبعة، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب"، وكان الأصمعي يأخذ عنه، توفي بعد ١٥٤هـ، (**ابن خلكان**، أبو العباس أحمد بن محمد، ت ٦٨١ هـ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، د، تحقيق جـ٣/ ص ٤٦٦-٤٧٠).

بقوله:"ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما على عهد عاد وثمود ."[1].

أن الإعراب من خصائص اللغات العروبية، لهذا نجد أن الشعر فيها له وزن وقافية وله ضابط إعرابي يتحكم بسكناته وحركاته، والمحافظة على معاني الحروف ودلالاتها وثبات الأصوات وتنوع الصرف والاشتقاق، وتعدد الأبنية والصيغ وكثرة المصادر وجموعها والترادف والتضاد والاستعداد للتوليد والتعريب[2].

وتظهر الخلافات في اللهجات في النقاط التالية: أن الميزات الرئيسية للغة العربية تجعلنا على يقين أن أصولها من اللغات العروبية، وليست من نتاج لغات عرب الجنوب، ونلاحظ ذلك من خلال الإعراب، وصيغ الجموع، وجمع التكسير، وغيرها من الأنظمة التي كانت سائدة في اللغة العروبية القديمة، وحافظت اللغة العربية عليها[3].

كما تحتوي على حروف تعود إلى العروبية بصفة مستقلة عن اللغات الأخرى مثل:"ذ ث ظ غ ض"، كذلك كلمات مشتركة مثل كلمة:"ألإله"، وأسماء الأعلام مثل: ابن، وأبو، وامرئ القيس، وكعب، ويستعمل بها التفضيل كما تستعمل في العربية[4].

أن النقوش القديمة تزودنا بفكرة عامة عن تطور اللغة العربية، فمن ذلك اختفاء مفردات قديمة لتحل مكانها مفردات أكثر شهرة وأسهل لفظاً مثل اختفاء كلمة "المرطول" وتعني الكنيسة، ووجدت في نقش يعود إلى زمن ولادة الرسول، وتغير هذا اللفظ في حوران، بعد الاختلاط مع العرب من قلب الجزيرة، كذلك تظهر كلمة"بر"- وهي سامية - في النقوش القديمة لكنها تعود لتختفي ويحل مكانها كلمة

---

[1] **الجمحي**، محمد بن سلام، ت ٢٣١هـ، طبقات فحول الشعراء، دار المدني، جدة، د، تحقيق جـ١ / ص ١١.
[2] ولويل، تطور اللغة العربية، ٢٠٠٠م، ص ٣٥.
[3] أنيس، في اللهجات، ١٩٧٦م، ص٣٣.
[4] المصدر نفسه، ص ٣٦.

"ابن" وهي عربية، وهذه الكلمة كانت مستخدمة عند ملوك الحيرة حوالي سنة ٣٢٨ م[1].

لكن النقوش رغم دقتها لا تحوي إلا النزر اليسير من كلمات اللغة العربية، فكل النقوش لا تكاد تتجاوز مئات المفردات بسبب التكرار المستمر لنفس الكلمات، لكن الأدب العربي يحتوي على عشرات الآلاف من المفردات حيث لا مجال للمقارنة[2].

وللغة العربية ميزات منذ ما قبل الإسلام تشترك بها مع عدد من اللغات الشرقية خاصة السريانية، ومنها:

١- الضمائر.

٢- الأعداد.

٣- أسماء الإشارة.

٤- الاشتراك في معاني الكثير من الكلمات.

٥- أدوات الربط.

٦- الاشتراك في طبيعة تركيب الجملة[3].

وقد هجرت جذور من اللغة العربية بظهور مفردات أفضل وأكثر دقة، وانتهاء بعض القبائل في حلف مع قبيلة أخرى فرضت عليها لهجتها، واستطاعت قريش أن تهذب اللغة العربية قبل الإسلام بسبب قيامها بدور المضيف للعرب في موسم الحج، وفي الأسواق التي كانت تقام في منطقتها، وحصلت قريش على هذه الإمكانية من كثرة ترحالها بين القبائل أثناء تجارتها، فتعرفت إليهم والى لهجاتهم[4].

وينقسم الكلام في اللغة العربية إلى قسمين:- شعر منظوم: له وزن معلوم وبحر وقافية وصدر وعجز إلى غير ذلك. ونثر: وهو يحتوي على فنون منها السجع - وهو ما جاء على قافية واحدة-، وطباق: وغيرها من ألفاظ الإبداع. لكن القرآن جاء

---

1 المصدر نفسه، ص ٣٤.
2 المصدر نفسه، ص ٣٦.
3 المصدر السابق، ص ١٨.
4 المصدر نفسه، ص ٢٤.

بأسلوب جديد لم يعرفه العرب، فلا هو شعر، ولا هو نثر، فنرى الآيات وان تشابه أواخرها لكنها تنتهي إلى ما ترغب به الأذن، وذلك دون تكلف لسجع أو قافية، لهذا تسمى أواخر الآيات فواصل كما تحوي الآيات مقاطع، وهذا غير الشعر، وغير السجع، ويعتمد البلاغة أساسا، والاختصار قدر الإمكان، لهذا عُدت الفصاحة ما أضافه القرآن للعربية[1].

كما أن لفظ الحروف بذاته له قواعد عند العرب لا يتغير، فمخارج الحاء والقاف وغيرها مضبوط من حيث استخدام اللسان والأسنان والحلق والشفاه، وإذا تغير المكان الذي ينطق به الحرف عد خروجا عن الفصاحة[2].

وتعني الفصاحة عند العرب بعض السمات الخاصة مثل سلامة النطق، ومخارج الحروف، والألفاظ البليغة والاختصار لإصابة المعنى، وكان علي بن أبي طالب إذا رأى أكتل بن شماخ العكلي[3] قال:"من أراد أن ينظر إلى الصبيح الفصيح فلينظر إلى هذا"[4].

وعد القرآن مصدر الفصاحة، وعليه يتم القياس، جاء نافع بن الأزرق الحروري إلى ابن عباس يسأله عن القرآن، فقال ابن عباس: "يا نافع، القرآن كلام الله خاطب به العرب بألفاظها على لسان أفصحها، فمن زعم أن في القرآن غير العربية فقد

---

[1] **ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، (ت ٨٠٨ هـ)، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٥٦٧.

[2] المصدر نفسه، ص ٥٥٧.

[3] أكتل بن شماخ بن زيد بن شداد بن صخر بن مالك بن لأي بن ثعلبة بن سعد بن كنانة بن الحارث بن عوف العكلي، نسبه بن الكلبي وقال: شهد الجسر مع أبي عبيدة وأسر يومئذ مردشاه وضرب عنقه، وشهد القادسية وله فيها آثار محمودة، وكذا ذكره الدار قطني في المؤتلف، وزاد أن الشعبي روى عنه حديثا، (ابن حجر، الإصابة، ١٩٩٢م، جـ١/ ص ٢٠٩).

[4] الكلبي، جمهرة النسب، ١٩٨٦م، ص ٢٨٠.

أفترى على الله"[1]، فحتى الكلمات ذات الأصول غير العربية جرت مجرى العربية، وذلك بسبب تبديل الحروف فيها لتجري مجرى العربية في تصريفها وإعرابها[2].

ويشير القرآن صراحة إلى أنَّه نزل باللغة العربية المفهومة عند أغلب العرب، وذلك من خلال قوله سبحانه "مبين" اثنتا عشرة مرة في آيات القرآن، قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعلَم أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعلِّمهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل:١٠٣)، وقوله: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء:١٩٥)، وبين أن لسان قريش الأكثر بيانا بين هذه الألسن[3].

وكان ابن عباس يقول في قوله تعالى: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء:١٩٥)، أي لسان قريش[4]. واستشهد على ذلك بقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)(إبراهيم: من الآية٤)[5]، فيتضح من ذلك أن اللسان الفصيح هو المبين، أي ما يأتي بالمعنى المفهوم عند عامة العرب[6].

و(عَنْ أَنَسٍ أن عُثْمَانَ دَعَا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ)[7].

وصارت بعض الكلمات أفصح من غيرها بالاستعمال، فكانوا يعتبرون استخدام بعض الألفاظ مما لم يجئ في القرآن من ضعف يلقاه الرجل في العربية. واستخدام

---

[1] ابو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب، ت ١٧٠هـ، جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام، المجمع الثقافي، ابو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٣.
[2] **دروزة**، محمد عزة، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦١م، ص ٢٠٨.
[3] الجندي، م، اللهجات، ١٩٨٣م، ص ٣٠-٣١.
[4] الجندي، أ، الفصحى، ١٩٧٩م، ص ٣٠-٣١.
[5] **ابن سلام**، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت ٢٢٤هـ، لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، تحقيق عبد الحميد السيد طلب، جامعة الكويت، ١٩٨٤م، ص ٤١.
[6] **أبو زيد القرشي**، محمد بن أبي الخطاب، ت ١٧٠هـ، جمهرة أشعار العرب، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٣-٤.
[7] البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧م، جـ٣/ ص ١٢٩١ وجـ ٤/ ص ١٩٠٦ و ١٩٠٨.

ألفاظ القرآن من الفصاحة والبلاغة، فقد ذكر العرب البر وذكرها القرآن، فإذا قال أحدهم "قمح" أو "حنطة" - والحنطة لغة كوفية، والقمح لغة شامية- كان الأولى به أن يلزم البلاغة كما لزمها العرب قبله ويقول "بر"، فمن قال بر أفصح ممن قال قمح أو حنطة، قال المتنخل الهذلي[1]:

لا دَرَّ دَرِّيَ أن أطعَمتُ نازلكُم قِرفَ الحَتِيِّ وَعِندي البُرُّ مكنوزُ

وقال أمية بن أبي الصلت[2] في مديح عبد الله بن جدعان:

لهُ داعٍ بمكّة مُشمَعِــــــلٌّ وَ آخَرَ فوقَ دارَتِهِ يُنادي

إلى رُدُحٍ مِنَ الشيزى مِلاءٍ لُبَــابَ البُرِّ يُلبَكُ بالشَهادِ

وقال بعض القرشيِّين يذكر قيسَ بن مَعْد يَكربَ ومَقدمَهُ مكة في كلمةٍ له:

قيسٌ أبو الأشعثِ بِطَرِيقُ اليمنْ لا يسأل السائلُ عنه ابنُ مَنْ

أشبَعَ آل اللّه من بُرٍّ عَدَنْ

فهذه الألفاظ قد اتفق عليها العرب فصارت هي الفصحى[3].

ومما جعل العربية تتباين من بلد إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى، أن أهل الأمصار كانوا يتكلمون على لغة القبائل النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد

---

[1] المُتَنَخِّل، مالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش الهذلي، من مضر أبو أثيلة.؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر من نوابغ هذيل، أثبت له صاحب الأغاني صوتاً من قصيدة قالها في رثاء ابنه أثيلة. وقال الآمدي: شاعر محسن، قال الأصمعي: هو صاحب أجود قصيدة خائية قالتها العرب، وأورد بيتين منها. له ديوان مطبوع في ديوان الهذليين.

[2] أمية بن أبي الصلت، أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي. ؟ - ٥ هـ/؟ ٦٢٦ م، شاعر جاهلي، حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام. وعاد إلى الطائف فسأل عن خبر محمد صلى الله عليه وسلم، وقدم مكة وسمع منه آيات من القرآن وسألته قريش رأيه فقال: أشهد أنَّه على الحق. قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره. ثم خرج إلى الشام وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة وحدثت وقعة بدر وعاد أمية يريد الإسلام فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خالٍ له فامتنع وأقام في الطائف إلى أن مات. أخباره كثيرة وشعره من الطبقة الأولى، إلا أن علماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب. وهو أول من جعل في مطالع الكتب باسمك اللهّم، فكتبتها قريش.

[3] **الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ٢٥.

الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر، لكن البصرة والكوفة بعد تدارس العربية والنحو والصرف والإعراب وتشكيل المدارس حملوا على عاتقهم العودة بألفاظهم إلى الفصاحة، فعندما قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر[1]: ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة، إنما الفصاحة لنا أهل مكة. قال ابن المناذر: أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن، وأكثرها له موافقة فضعوا القران بعد هذا حيث شئتم، أنتم تسمون القدر برمة، وتجمعون البرمة على برام. ونحن نقول: قدر، ونجمعها على قدور. وقال تعالى: (وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ)(سبأ: من الآية١٣)، وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت علية، وتجمعون هذا الاسم على علالي. ونحن نسميه غرفة، ونجمعها على غرفات، وغرف. وقال الله تبارك وتعالى: (غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ)(الزمر: من الآية٢٠)}. ... وعدد ألفاظا خالف فيها أهل مكة القرآن ووافق بها أهل البصرة القرآن، فصار القرآن مقياسا يحدد الفصيح والبليغ[2].

موقف العرب من الفصاحة:

وكان العرب يروون الصبيان الارجاز والشعر ويعلّمونهم المناقلات، ويأمرونهم برفع الصوت في الكلام ويطلبونهم خلال ذلك بتحقيق الإعراب، لأنَّ ذلك أفضل في التعليم من الصمت في التعلّم، فلا يكفي أن تتكلم بسرك حتى تحقق ضوابط اللغة في العلن[3].

ولا تكاد تجد في أقوال وخطب وأشعار الأعراب الاقحاح ألفاظا متصنعة ولا معاني دخيلة، ولا قولا مستكرها، بينما نجدها عند أهل الأمصار من المولدين ومن

[1] توفي بعد ١٥٠هـ، (**أبو عبيد**، عبد الله بن عبد العزيز البكري، ت ٤٨٧هـ، معجم ما استعجم، تحقيق السقا، محمد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ، جـ ٤/ ص ١٢٦٣، **والجرجاني**، عبد الله بن عدي، ت ٢٦٥هـ، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق غزاوي، يحيى مختار، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، جـ ٦/ ص ٢٦٨).

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ٢٦.

[3] المصدر نفسه، جـ١/ ص ١٥٣.

الموالي الذين دخلوا حديثا في العربية، فتجد ألفاظهم مستكرهة، ويستخدمون الألفاظ في غير مكانه[1].

وكانت نساء البادية تأتي مكة في محاولة لأخذ الأطفال للرضاعة في البادية، وكانت قريش تحاول بذلك أن تبعد أبناءها عن الأمراض ولتعلّم أبناءها العربية الفصحى، فلا يختلط لسانهم بلسان القبائل القادمة لمكة، فتبقى سجيتهم سليمة حتى يعتادوا العربية الفصحى فلا ينطقوا بغيرها[2].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يفتخر بلسانه العربي، وبين أنّه من أفصح الألسن، فقال:"أنا أعربكم أنا من قريش، ... ولساني لسان بني سعد بن بكر"[3]، لكونه استرضع فيهم. وكانت العرب تعتني باسترضاع أولادها عند نساء البوادي، وكان بنو سعد من أفصح العرب لسانا[4].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى التكلم بالعربية الفصحى، فكان يقول:"لا خلابة"، فالقصد من ذلك اجتناب السوقي والوحشي، وان لا يجعل الإنسان همه إلى البحث عن غريب الأقوال وعجيب الألفاظ، فيصير الميل إلى التوسط في الألفاظ لغة بليغة لكنها معروفة، ولا صعوبة على مستخدمها في لفظها واستعمالها[5].

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرب المسلمون القرآن[6]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلّموا العربية تُحرزوا المروءة[1]. وكان الصحابة

---

[1] المصدر نفسه، جـ١/ ص ٢١٧.

[2] **الطبري**، أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٤٥٥.

[3] الجراحي، اسماعيل بن محمد العجلوني، ت ١١٦٢هـ، كشف الخفاء، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، جـ ١ / ص ٢٣٢.

[4] **المناوي**، محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين، ت ١٠٣١هـ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥١، جـ٣/ ص ٤٤، وابن **سعد**، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله، ت ٢٣٠هـ، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د، ت، جـ١/ ص ١١٣.

[5] الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ١٤٧.

[6] **الهيثمي**، علي بن أبي بكر، ت ٨٠٧ هـ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة ، بيروت، ١٤٠٧هـ، جـ ٧/ ص ١٦٣، **والبيهقي**، أبو بكر أحمد بن الحسين، ت ٤٥٨هـ، شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، جـ٢/ ص ٤٢٧.

والتابعون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعربون بطبعهم، حتى خالطهم العجم ففسدت ألسنتهم، وتغيرت لغاتهم. ويروى أن عمر بن عبد العزيز رأى جماعة من الفرس يتدارسون النحو ويضعون قواعده، فسألهم ما يفعلون، فاخبروه أنهم يصلحون اللغة، فقال:"لئن أصلحتموه لأنتم أول من أفسده". فكان سبب ضعف العربية ما تداخل بهم من الفرس والعجم[٢].

يميل ابن خلدون إلى اعتبار اللغة العربية لغة فصيحة بذاتها، وعندما يعلل اختلاف المعاني يشير إلى اختلاط العرب مع غيرهم من الشعوب، وقد أدى هذا إلى فساد ملكة النطق، ويستطرد فيبين أن لغة قريش من أفصح اللغات العربية وأصرحها للمستفهم، وذلك لبعدهم عن العجم من كل الجهات، وكانت القبائل العربية تحسب على الفصاحة بقدر البعد أو القرب للعجم، لهذا لم يحتج بلغات القبائل المجاورة للعجم[٣].

وكان العرب يتداولون الشعر في نواديهم، وكانوا يتفاخرون بالشعر الجزل، وكان ابن عبّاس يدعو الناس إلى تعلّم الشعر خاصة شعر الحجاز لأنَّ لغتهم أوسط اللغات، وهي التي نزل بها القرآن وبها كتب، فكان تعلّمها الأولى، وأشعار أهل الحجاز الأولى أن تتعلّم، لأنها تعلّم الألفاظ الجزلة وبها يفسر القرآن[٤].

وعد العرب تعلّم اللغة العربية أفضل العلوم بعد علوم القرآن، لأنه بها يُتعلّم، وبها يُضبط لفظه، وتُحرز معانيه، وعليها تُروى الأخبار والأشعار، وبها يزين المرء كتابه، ويُحلي لفظه، قال الله عز وجلّ: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)(الشعراء:١٩٥).

وان كان هذا حالهم قبل الإسلام وصدره فقد تغير الحال بعد الإسلام، فكان أهل مكة قد استقدموا بعد الفتوح الكثير من أهل فارس فعلق بألسنتهم من ألفاظهم ما علق،

---

[1] المبرد، محمد بن يزيد، ابو العباس، ت ٢٨٦هـ، الفاضل في اللغة والأدب، المجمع الثقافي، ابو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٧.

[2] **المبرد**، أبو العباس محمد بن يزيد النحوي، ت ٢٨٥هـ، الكامل في الأدب، تحقيق إبراهيم بن محمد الدلجموني الأزهري، دار الفكر، بيروت، د ، ت، جـ ١/ ص ٦- ٨.

[3] مقدمة ابن خلدون، ١٩٨٦م، ص ٥٥٥.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٥/ ص ١٣٠.

فصاروا يسمون البطيخ الخربز، ويسمون السميط الروذق، ويسمون المصوص المزوز، ويسمون الشطرنج الاشترنج، وكذلك علق بلسان أهل الكوفة ألفاظ فارسية، فإنهم يسمون المسحاة بال، ويسمي أهل الكوفة الحوك باذروج، وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة، ويسميها أهل الكوفة **الجهار سو**، والجهار سو فارسية، ويسمون السوق أو السويقة "وازار" والوازار بالفارسية ويسمون القثاء خيارا، والخيار فارسية، ويسمون المجذوم ويذي بالفارسية[1].

وكانت اللهجات العربية تعاني من أمرين، الأول أن القبائل كانت تتميز بعزلة لغوية تعطيها طابعا مميزا، فترى أن بعض حروفها قد تغير، كما تتغير معاني الكلمات، ثم تتغير القواعد النحوية، إلى جانب الضبط للحروف، لكن الأمر الثاني الأدعى للانتباه هو التأثر بلغات أجنبية، مثل الفرس والروم وغيرهم، لهذا نجد أن العرب إذا أرادوا الفصاحة تجنبوا قضاعة وغسان لأنهم تأثروا بالروم، وتغلب والنمر لقرب ارض الجزيرة من الفرس واليونان، وبكر لاتصالهم بالفرس والنبط، واليمن لاختلاطهم بالحبشة والفرس والهند، ولخم وجذام لاتصالهم بمصر والأقباط، وعبد القيس وأزد عُمان لاختلاطهم بالفرس والهند، وشمال الحجاز لأنهم مخالطين لقبائل عرب الشمال من خلال التجارة والترحال[2].

وهكذا تضيق المنطقة التي يحمل عنها اللغة لتقتصر على وسط نجد والحجاز، لهذا اخذوا عن أسد وقيس وهذيل وتميم، لتوغلهم في البداوة، واخذوا عن قريش للأسباب السالفة[3]، وكانوا يعمدون خلال ذلك إلى القبائل البدوية ليأخذوا عنها، وكانت قريش ترسل أبناءها إلى بني سعد ليتعلّموا اللسان الفصيح[4].

يمكن أن تقسم اللغة حسب البيئة إلى أشكال: منها ماله علاقة بالمكان، أو ما له علاقة بالاستقرار والترحال، وما له علاقة بمدى الاختلاط أو العزلة، مثل حياة البدو

---

1 الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ٣٨.
2 المبارك، عبد الحسين، فقه اللغة، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٦م، ص ٤٤.
3 المصدر نفسه، ص ٤٤.
4 الجراحي، كشف الخفاء، ١٤٠٥هـ، جـ ٣ / ص ٤٤.

والحضر، ولكن الميزة الأكبر تعود إلى لغة الأديب وغير الأديب (العامي)، فالشاعر والخطيب يتجاوزان الحدود والظروف واللهجات لينطقا بلغة تعتبر ذات صفة مبينة ومفصحة عن المعاني لكل من يسمعها، ولهذا تسمى اللغة الفصحى واللسان العربي المبين، وهذه الميزة عند أهل الأدب قد لا تخلو من عيوب ومن مفردات مبهمة.

أن اللغة التي استعملها العرب في نظم قصائدهم وخطبهم، وما نسمع ونقرأ من المحاورات والبلاغات ما هو إلا لغة عربية متفق عليها بين العرب لا تحوي لهجة بذاتها، وقد امتازت مكة عن غيرها من القبائل والمدن بتطوير تلك اللغة المشتركة لأهداف سياسية وتجارية ودينية، فكونت لغة حيادية، ولهذا السبب تطورت اللغة في مكة لتشكل بذرة اللغة العربية الفصحى التي كانت مفهومة عند العرب جميعا، وان كانت في بداياتها لغة للشعراء والأدباء لكن أثرها انعكس على القبائل عامة[١].

وبين الأصمعي صفات اللغة العربية الفصحى في حديث جرى بمجلس لمعاوية فقال مُعاوية يوماً لجلسائه: (أيّ الناس أفصح؟ فقال رجلٌ من السّماط: يا أميرَ المؤمنين، قوم قد ارتفعوا عن رُتَّة[٢] العراق، وتياسَرُوا عن كَشْكشة[٣] بكر، وتيامَنُوا عن شَنْشَنة[٤] تَغْلب، ليس فيهم غَمْغمة[٥] قُضاعة، ولا طمطمانيّة[٦] حِمْير. قال: مَن هم؟ قال: قومُك يا أميرَ المؤمنين قُريش؛ قال: صدقتَ، فمن أنت؟ قال: مِن جَرْم)، فرجل له هذه المعرفة في كيفية الفصاحة وأصولها يدلل على تقدمه وقومه في مقاييس للغة العربية تبعده عن عيوب اللغة[٧].

---

[1] المصدر نفسه، ص ٤١.

[٢] في لسانه رتة: عجلة، (الزمخشري، محمد بن عمر بن محمد، ت ٥٣٨هـ، أساس البلاغة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، مادة **رتت**).

[٣] في حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ تَيَاسَرُوا عَنْ كَشْكَشَةِ تَمِيمٍ أَيْ إِبْدالِهم الشّينَ من كافِ الخِطَابِ مع المُؤَنَّثِ، (الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **كشش**).

[٤] الطبيعة والسجية، (ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **شنن**).

[٥] كلام غير بين، (ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **غمم**).

[٦] شبه كلام حمير بكلام العجم لما فيه من ألفاظ منكرة، (ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **طمم**).

[7] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٢/ ص ٢٧٥، والجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ٥٧٤.

وتعني العربية الفصحى تلك اللغةَ التي ابتعدت عن اللهجات المحلية مثل الكشكشة والعنعنة وغير ذلك من اللهجات المحلية[1]، وكانت قريش تجمع من قبائل العرب أفضل ما تسمع وتجعله في لسانها، ولكن لسانها نال العمومية بعد الإسلام عندما نطق القرآن بلسانها[2].

وكان العرب قد اخذوا يتفقون على مجموعة من الألفاظ التي يجب أن يتقيدوا بها واعتبروها ألفاظا فصيحة، لهذا عندما دار حوار بين أبي الأسود الدؤلي وغلام أعرابي، ورغم أن كلام الأعرابي صحيح لكنه لم يقبله واعتبره شاذا، فمن الحوار (قال له أبو الأسود: ما فعل أبوك؟ قال: أخذته الحُمى فطَبَخَتْه طبْخاً وفضَخَتْه فضْخاً وفنخته فنْخاً فتركته فرْخا "قال أبو الأسود: فما فعلت امرأته التي كانت تُجارُه وتُشَاره وتُزارُه وتهارُه. قال: طلقها فتزوّجت غيره فرَضِيت وحَظِيَت وبَظِيَت. قال أبو الأسود: قد عرفنا حَظِيت، فما بظيَت؟ قال: حرف من الغريب لم يبلغك. قال أبو الأسود: يا بن أخي، كل حرف من الغريب لم يبلغ عمك فاستُره كما تستر السنّوْرُ خُراها)[3]، على أن الرجوع لكتب اللغة تبين أن الكلمات صحيحة، فبظيت تعني سمنت كما في الأمالي للقالي[4].

وقد كان العربي يرحل من مصر والعراق والمغرب وخراسان ليقرأ القرآن على قارئ مشهور من أهل المدينة أو الشام ليتمكن من نطق الكلمات نطقاً سليماً[5].

وكان عرب نجد والحجاز يجعلون ألفاظ ابلغ شعراءهم وحكمائهم وخطباءهم مقياسا للغة، فعندما كان النابغة يبتدئ الأسماء على الاشتقاق من أصل اللغة، كقوله:

والنُّؤيُ كالحَوض بالمظلومة الجَلَد

---

[1] **ابن عبد ربه**، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٢/ ص ٢٧٥، والجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ٥٧٤.

[2] المبارك، فقه اللغة،١٩٨٦م، ص ٤٢.

[3] **ابن قتيبة الدينوري**، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦هـ، عيون الأخبار، تحقيق د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، جـ٢/ ص ١٨٠.

[4] القالي، الأمالي، ٢٠٠٣م، ص ١٢٥٠، **والصاحب بن عباد**، إسماعيل بن العباس، ت ٣٨٥هـ، المحيط في اللغة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، مادة **بظي**، وابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **حظا**.

[5] أنيس، في اللهجات، ١٩٧٦م، ص ١٦.

اجتمعوا على تصويبه، وعلى إتباع أثره، وعدوها لغة عربية فصحى واتبعوها، فلما كان الحال عندهم كذلك، كان كتاب الله أولى عند المسلمين أن يعتبروه أساسا للفصاحة، وعنوانا للبلاغة، حتى أن استخدام آياته في كلامهم يعد بلاغة بذاته[1].

ومن عناوين الفصاحة أن يكني العربي عن وحشي الكلام، فكان يقال لموضع الغائط: الخَلاء، والمذْهب، والمخْرَج، والكنيفُ والحُشُّ، والمرحاض، والمِرْفق. وكل ذلك كناية واشتقاق حتى لا يذكروا الغائط علانية، للهروب من الدناءة والفحْش والقذَع، فأثروا العربية بكثير من المفردات[2].

وأن كان الشعراء الأوائل أول من تعمق في اللغة، فقد لحقهم الصحابة والتابعون، ثم الأمراء والولاة، ثم ظهر علماء اللغة من بعدهم مثل: عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمي[3]، وكان أول من عمل النحو ومد القياس والعلل، وكان معه أبو عمرو بن العلاء، وبقي بعده بقاء طويلا، وكان ابن أبى إسحاق أشد تجريدا للقياس، وكان أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها[4].

الضوابط اللغوية (قواعد اللغة):

أما اهتمام العرب بالنحو والإعراب فرغم عدم الإعلان عنه صراحة قبل الإسلام لكنه كان موجودا، فعند النظر لشعرهم نراه جليا، والى جانب تحقيق ضوابط الشعر نفسه، إضافة إلى استخدام أنواع السجع والبديع، وكل ذلك ليكون أجمل في الأذن وأسهل للحفظ. جاء العلاءُ بن مسروح فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أنغرم من لا شَرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يُطَلْ". فقال

---

1 **الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩م، جـ ٥/ ص ٢٨٠.
2 المصدر نفسه، جـ ٥/ ص ٢٩٥.
3 عالم مجود مقرئ حافظ، سكن البصرة، ولد بعد ١٣٠هـ، الذهبي، محمد بن أحمد، ت ٧٤٨هـ، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناوؤط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، جـ ١٠ / ص ١٦٩.
4 الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار المدني، جـ١/ ص ١٤.

رسول الله صلى الله وسلم:«أسجع كسجع الجاهلية»[1]؟ فكيف بعد ذلك نريد من العربي أن يهمل أهم إيقاع في الأذن وهو وقع الإعراب، ولولا ذلك لما حفظ الشعر وانتقل، وإذا ما قارنا بين ما حفظ من المنظوم مقارنة بالمنثور نجد المنظوم اكثر[2].

ويخطئ من يعتقد أن النحو والإعراب ولدا بعد الإسلام، فعند التطلع الدقيق إلى أساليب الضبط اللغوي وجزالة الألفاظ، يتبين الباحث عدة قواعد للغة، ونجدها في الشعر، فكان الأصل في الشعر أن يكون له ضابط لغوي، إضافة إلى قواعده الخاصة النظم، فمن عيوب الشعر اللغوية، والتي تظهر في الخلل في حركات الإعراب وتظهر به الخلل اللغوي ما اتفق على تسميته بالإقواء والإكفاء: وكان أبو عمرو بن العلاء يذكر أن الإقواء: هو اختلاف الإعراب في القوافي، وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأخرى مكسورة.

وكان النابغة الذبياني وبشر بن أبي خازم[3] يقويان[4]، فأما النابغة فكان قد دخل يثرب فغنت أمامه جارية بشعره فسمع الخلل في غناءها فعرف عيب شعره فأصلحه، أما بشر بن أبي خازم فنبهه له أخوه، فأصلحه. ويسمى بعض العلماء هذا الخلل الإكفاء، وأن الإقواء نقصان حرف من فاصلة البيت، فسمي إقواءً لأنه نقص من عروضه قوةً. يقال أقوى فلانٌ الحبل إذا جعل إحدى قواه أغلظ من الأخرى[5].

---

[1] **ابن الأثير**، علي بن محمد الجزري، ت ٦٣٠هـ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، جـ ٣/ ص ٥٧٢.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ١٥٣.

[3] بشرُ بنُ أبي خازم، بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل. ؟ - ٢٢ ق. هـ/؟ ٦٠١ م، شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة. كان من خبره أنَّه هجا أوس بن حارثة الطائي بخمس قصائد، ثم غزا طيئاً فجرح وأسره بنو نبهان الطائيون فبذل لهم أوس مائتي بعير أخذه منهم، فكساه حلته وحمله على راحلته وأمر له بمئة ناقة وأطلقه، فانطلق لسان بشر بمدحه فقال فيه خمس قصائد محا بها الخمس السالفة. توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، رماه فتى من بني واثلة بسهم أصاب ثندوته.

[4] الإقواء: الاختلاف في آخر الكلام، سواء في الحروف أو الإعراب، وقيل وانه الإخلال في الإعراب، أما الخلل في الحروف، والمعاقبة بين حرفين متقاربين في المخرج فيسمى الإكفاء، ابن منظور، مادة **كفا**.

[5] بتصرف **ابن قتيبة الدينوري**، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦هـ، المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٤٥-٤٧، **وابن رشيق القيرواني**، الحسن بن رشيق القيرواني،

التسكين: وقد يضطر الشاعر فيسكن ما كان ينبغي له أن يحركه، كقول لبيد:

ترَّاكُ أمْكنةٍ إذا لمْ أرْضَهَا أوْ يَعْتلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا[١]

يريد: أترك المكان الذي لا أرضاه إلى أن أموت، وأو هنا بمنزلة حتى. وكقول امرئ القيس:

فاليوْمَ أشْرَبْ غيْرَ مُسْتَحِقبٍ إثماً مِنَ اللهِ ولاَ واغِلِ[٢]

والأولى أن تكون بالضم، وكان سيبويه يحتج ببيتٍ به الاسم المنصوب الأولى أن يكون مخفوضا، على المعنى لا على اللفظ، وهو قول الشاعر:

مُعَاوِيَ إنَّنَا بَشَرٌ فأسْجِحْ فَلسْنَا بالجبَالِ ولا الحَدِيدَا[٣]

وكأنه أراد: لسنا الجبال ولا الحديدا، فلم ينتبه لدخول الباء، فغلط الشاعر لأنه كله مكسور، ويحتج أيضاً بقول المتنخل الهذلي في كتابه، وهو قوله:

أبيتُ على مَعاريَ فَاخِرَاتٍ بهنَّ مُلوَّبٌ كَدَمِ العِبَاطِ[٤]

وليس ضروري هنا إلى أن يترك الشاعر الصرف في معارٍ ولو قال:

أبيتُ على مَعَارٍ فاخِراتٍ بهنَّ مُلوَّبٌ كَدَمِ العِباطِ

لكان الشعر موزونا والإعراب صحيحاً.

وكقوله في بيتٍ آخر:

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ ومُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطيحُ الطَّوَائحُ[٥]

والأولى أن يقول:

لِيَبْكِ يَزِيدَ ضَارِعٌ لِخُصُومَة ....

أبو علي، ت ٤٦٣هـ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٤٩ و ٣٣٤-٣٣٦.

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢٠٠٣م، ص ٥٤.

[2] الأصمعي، الاصمعيات، ٢٠٠٣م، ص ١٤٥.

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٠٠٣م، ص ٨٢.

[4] الخطيب البغدادي، خزانة الادب، ٢٠٠٣م، ص ٢٩١٣.

[5] بهاء الدين العاملي، محمد بن الحسين، ت ١٠٣١هـ، الكشكول، المجمع الثقافي، ابو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١١٢٥.

وقد يضطر الشاعر فيقصر الممدود فلا يؤاخذ وهو خارج النحو في المنثور، ولكن ليس له أن يمد المقصور، وقد يضطر فيصرف غير المصروف، وقبيحٌ ألا يصرف المصروف، وقد جاء في الشعر، كقول العباس بن مرداس السلمي[1]:

وما كانَ بَدْرٌ ولا حابسٌ   يَفُوقَان مرْدَاسَ في مَجْمَعِ[2]

فصرف الأسماء جميعا، وأما ترك الهمز من المهموز فكثيرٌ واسعٌ، لا عيب فيه على الشاعر، والذي لا يجوز أن يهمز غير المهموز.

وليس للمُحدث أن يتبع المتقدم في استعمال وحشي الكلام الذي لم يكثر، واستعمال اللغة القليلة الاستعمال عند العرب، كإبدالهم الجيم من الياء، كقول القائل: يا رب أن كانت قبلت حجتج، يريد - حجتي -. وكقولهم جمل بختج، يريدون - بختي -. وإبدالهم الياء من الحرف في الكلمة المخفوضة، كقول الشاعر[3]:

لَهَا أشَاريرُ مِنْ لحْمٍ تُتَمِّرُهُ   مِنَ الثّعالِي ووَخْزٌ مِنْ أرانِيهَا[4]

يريد من أرانبها وكقول الآخر:

ومَنْهَلٍ ليس به حَوازِقُ   ولضَفادي جمِّهِ نَقانِقُ[5]

يريد ولضفادع[1].

---

[1] العَبّاس بن مِرداس، العباس بن مرداس بن أبي عامر السُلمي، من مُضَر، أبو الهيثم. ؟ - ١٨ هـ/؟ ٦٣٩ م، شاعر فارس، من سادات قومه، أمُّه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قُبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم ويُدعى فارس العُبَيْد، وهو فرسه، وكان بدوياً قحاً، لم يسكن مكة ولا المدينة وإذا حضر الغزو مع النبيّ صلى الله عليه وسلم، لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه وكان ينزل في بادية البصرة وبيته في عقيقها، وهو وادٍ مما يلي سفوان، وأكثر من زيارة البصرة، وقيل: قدم دمشق وابتنى بها داراً. وكان ممن ذمّ الخمر وحرّمها في الجاهلية. مات في خلافة عمر.

[2] الاصفهاني، الاغاني، ٢٠٠٣م، ص ٩٣٨٧.

[3] الراعي الهمداني، قيس بن سيار الراعي بن معاوية بن سيف بن الجارث بن مرهبة بن صعب بن دومان بن بكيل المرهبي الهمداني. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، أحد شعراء همدان في الجاهلية وفرسانها المشهود لهم، يقال أن أحد ملوك حمير قد حمى حماً ولم يسمح لغير قومه بالرعي فيه، فما كان من (الراعي الهمداني) إلا أن حل فيه ورعاه، فبلغ ذلك صاحب الحمى فبعث إليه جنداً من حمير فتمكن منهم (الراعي) وهزمهم. وربما كانت تلك الحادثة سبب تسميته بالراعي.

[4] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢٠٠٣م، ص ٦٠.

[5] المظفر العلوي، المظفر بن الفضل العلوي، ت ٦٥٦هـ، نضرة الاغريض في نصرة القريض، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٢٧٤.

وكإبدالهم الواو من الألف، كقولهم أفعو وحبلو يريدون أفعى وحبلى، وقال ابن عباس:"أستحب له ألا يسلك فيما يقول الأساليب التي لا تصح في الوزن ولا تحلو في الأسماع"، كقول المرقش[2]:

هَلْ بالدِّيار أن تُجيبَ صَمَمْ   لَوْ أن حَيًّا نَاطِقًا كَلَّــــمْ

يَأبى الشَّبَابُ الأقْوَرِينَ ولاَ   تَغبطْ أخاكَ أن يُقَالَ حَكَمْ[3]

وكان العرب يفضلون أحسن الروايات، وأسهل الألفاظ، وأبعدها من التعقيد والاستكراه وأقربها من إفهام العوام، ويفضلون أن يختار الخطيب والكاتب أيسر الشعر والكلام مما يحب الناس سماعه، ويعدونه من الفصاحة.

ومن ميزات العربية الفصحى البلاغة في الاختصار بالضمائر والكنايات الواضحة مما لا يربك المستمع أو القارئ قال جرير: (الوافر)

إذا نَزَلَ السَّماءُ بأرض قوم   رَعَيْنَاهُ وإنْ كانُوا غِضَابَا[4]

يعني: إذا نزل الماء بأرض قوم، ألا ترى أنّه قال: رعيناه - يعني الكلأ النابت من الماء - ولو أراد السماء لأنث لأنها مؤنثة فقال: رعيناها، وقوله: رعيناه، يعني الكلأ

---

[1] **ابن سنان الخفاجي**، عبد الله بن محمد بن سعيد، ت ٤٦٦هـ، سر الفصاحة، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١٥٠.

[2] المرقش الأكبر، عوف (وقيل عمرو) بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس من بني بكر بن وائل. ؟ - ٧٢ ق. هـ/؟ ٥٥٢ م، شاعر جاهلي من المتيمين الشجعان عشق ابنة عم له اسمها (أسماء)، وقال فيها شعراً كثيراً، يحسن الكتابة وشعره من الطبقة الأولى، ضاع أكثره، ولد باليمن ونشأ بالعراق واتصل مدة بالحارث بن أبي شمر الغساني واتخذه الحارث كاتباً له. والمرقش لقب غلب عليه لقوله:

الدار قفر والرسوم كما   رقش في ظهر الأديم قلم

وتزوجت عشيقته برجل من بني مراد فمرض المرقش زمناً ثم قصدها فمات في حبها. وهو عم المرقش الأصغر (ربيعة بن سفيان).

[3] **ابن قتيبة الدينوري**، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦هـ، الشعر والشعراء، تحقيق حسن غنيم، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٤٧-٥٠.

[4] ابن ابي الاصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر، ٢٠٠٣م، ص ٥٠٨.

النابت من الماء، فاستغنى بذكر الضمير إذ الكلام يدل عليه، وهذا من فصيح كلام العرب[1].

وقد ظهر عدد من العلماء في اللغة سبقوا أبا الأسود، فكان زر بن حبيش من أعلم الناس بالإعراب، وكان عبد الله بن مسعود يسأله عن اللغة العربية[2].

وكانت العرب تشهد للكثير من رجالها بالفصاحة، وكان أبو عمرو عمار بن العلاء من احفظ الناس لأخبار العرب، وكان اعلم الناس بالعرب والعربية وبالقراءة والشعر وأيام الناس، وكانت كتبه التي كتبها عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف، فما حفظه لوحده وفي زمنه ورغم شح مصادر الكتابة واستقصاء المعلومات، كفيل بإعطاء صورة عن مدى تقدم الكتابة العربية، وميلها إلى الفصاحة في عصر الراشدين والأمويين، وكانت كتبه وعلمه سبيل لنقل العربية الفصحى مع أخبار العرب لشعراء زمانه، وعلماء جيله[3].

على أن اللغة العربية لم تكن قد جمُدت لتحقق الفصاحة بل كانت متطورة باستمرار، فأضيف للغة كلمات إسلامية، فصاروا يقولون لمن لم يُحجّ: صَرُورة، ولمن أدرك الجاهلية والإسلام: مخضرم، قولهم وتسميتهم لكتاب الله: قرآناً فرقاناً، وتسميتهم للتمسُّح بالتراب: التيمُّم، وتسميتهم للقاذف بفاسق، وإنَّ ذلك لم يكنْ في الجاهلية. وإنْ كان هذا في صدر الإسلام فما أضيف للعربية لم ينتهِ على مر العصور، ولا تزال اللغة العربية تستوعب المفردات والألفاظ المختلفة من كل اللغات واللهجات إضافة لما يستحدثه العرب.

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ٢٤، **وابن أبي الإصبع**، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر، ت ٦٥٤هـ، تحرير التحبير في صناعة الشعر، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٥٠٨.

[2] ابن قتيبة، المعارف، ١٩٨٧م، ص ٢٤٢.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ١٧١.

الفصل الثالث: الكتابة والحفظ والتسجيل.

كان العرب قبل الإسلام كغيرهم من الشعوب يعرفون القراءة والكتابة، وقد انتشر بينهم من يحسن القراءة في الحضر كما هو الحال عند بعض البدو، كما يظهر المتقنون للكتابة في عدة محافل، فمنهم من كان يكتب بسبب أنّه راهب في معبد، ومنهم من احتاجها لأنه تاجر، ومنهم من كتب لأنه كاتب عقود ومواثيق، ومنهم من تعلّمها لمعرفة علّم الأوائل، وتخصص بعضهم بالكتابة، وهذا التخصص نلاحظه عند طلب هذه المجموعة لكتابة المعاهدات والوثائق، وكانوا يقومون بهذا العمل بين قبائلهم، فإذا بلغ احدهم فيها مبلغا كبيرا طلبه الملوك ليكتب لهم، وإذا زاد على ذلك طلبه الأباطرة من الدول المجاورة.

ويظهر أن معرفة أهل نجد والحجاز للهجاء العربي كان قبل مائة سنة عن الإسلام على ابعد تقدير، وكان الأصل فيه سرياني، وأن ثلاثة رجال من قبيلة طيىء اجتمعوا لوضع الهجاء وهم: مُرامِر بن مُرّة، وأسْلم بن سِدْرة، وعامر بن جَدَرة، فوضعوا الخط وقاسُوه على هجاء السّريانية، ووضعوا مقطعه وموصله، ونشروه في قومهم، ثم تعلّمه منهم رجال من الأنبار، ثم انتقل منهم إلى أنحاء الجزيرة العربية، ووصل إلى الحيرة، ثم تعلّمت قريش الكتابة بالعربية منهم، وذلك أن بشرا بن عبد الملك العبادي (وهو أخو الاكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل) كان قد تعلّم الخط من أهل الحيرة، ثم أتى مكة في بعض أمره، فكان يستعمل الخط في عمله، فلما شاهده أهل مكة يكتب، طلب منه سفيان بن أمية بن عبد شمس، وأبو قيس بن عبد

مناف بن زهرة أن يعلّمهما الكتابة، فعلّمهما الهجاء ثم علّمهما الخط[1]. فعلّما بدورهما أهل مكة الكتابة[2].

ثم خرج سفيان وأبو امية للطائف فتعلّم منهم غيلان بن سلمة الثقفي الخط والهجاء، وقام هو بدوره بتعليم بعض مضر الخط في ترحاله إليهم، فتعلّم منه الخط عمرو بن زرارة بن عدس فسمي عمرا الكاتب، ثم أن بشرا أتى الشام فعلّم العرب فيها العربية، كما أن الطائنيين علّموا رجلا من كلب الخط، فعلّمه لقومه، ثم علّمه رجل من أهل وادي القرى، فعلّم ذلك الرجل قومه الخط[3].

وقال المسعودي أن أول من وضع العربية عبد ضخم بن أرم نزل بالطائف هو ومن تبعه، ووضعوا حروف المعجم، ثم ساروا حتى نزلوا مكة، ومنهم انتقلت اللغة إلى العرب[4].

وجاء الإسلامُ والناس تكتب ومنهم في مكة: عليّ بن أبي طالب، وعُمرُ بن الخطّاب، وطلحة بن عبيد الله، وعثمان، وأبو عُبيدة بن الجرّاح، وأبان بن سعيد بن العاص، وخالد بن سعيد أخوه، وأبو حُذيفة بن عُتبة، ويزيد بن أبي سفيان، وحاطب ابن عمرو بن عبد شمس، والعلاء بن الحَضْرمي، وأبو سَلمة بن عبد الأسد، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرح، وحُويطب بن عبد العُزّى، وأبو سُفيان بن حَرْب، ومعاوية ولده، وجُهيم بن الصلت بن مخرَمة وغيرهم[5].

وكان عَبْدُ الله بنُ سَعِيدِ بن العَاصِي يكتب في الجاهلية، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعلّم الكتّاب بالمدينة، وكان كاتباً بارعاً[6]. وكان ورقة بن نوفل، يحسن العربية والسريانية والعبرية، وقيل أنّه تنصر في الجاهلية، و كان يكتب من

---

[1] البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى، ت ٢٧٩هـ، فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٤٥٢.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٤/ ص ٢٤٠، **والصولي**، محمد بن يحيى بن عبد الله، ت ٣٣٥هـ، أدب الكاتب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١٢، وابن النديم، الفهرست، ١٩٧٨م، ص ٧.

[3] البلاذري، فتوح البلدان، ١٩٨٣م، ص ٤٥٣.

[4] المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ١٤٣.

[5] ابن قتيبة، المعارف، ١٩٨٧م، ص ٣٠٧.

[6] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ١٥٦.

الإنجيل وقت شاء[1]. وكان أمية بن أبي الصلت قد قرأ الكتب ورغب عن عبادة الأوثان[2].

كما كان في أهل المدينة من يحسن الكتابة ومنهم عَبْدُ الرحمن بنُ جَبْر والمنذر ابن عَمْرو بن خنيس، وأبو عَبْس بن جَبْر[3]، وكان سعد بن عبادة بن دليم من بني ساعدة من الخزرج يكتب في الجاهلية[4].

وكان اليهود في المدينة قد تعلّموا الكتابة بالعربية، وقاموا يعلّمون الصبيان العربية بالمدينة، فجاء الإسلام وعدد من الأوس والخزرج يكتبون، ويبرز العربي الذي يتقن الفروسية إلى جانب الكتابة والعوم والسباحة فيسميهم العرب الكملة، وهم موجودون في المدينة وغيرها من المدن وبين القبائل. وكانت العرب في البادية تعلّم أولادها القراءة والكتابة في أكتاف الإبل[5].

فكما كانت الكتابة منتشرة بين أهل مكة والمدينة كذلك كانت منتشرة بين غيرهم من قبائل العرب، فكان مرقش يكتب، وكان أبوه دفعه وأخاه حرملة إلى نصراني من الحيرة، فعلّمهما الكتابة والقراءة، ونلاحظ ذلك في كثير من أشعاره، حيث يظهر علّمه بالخط والكتابة[6].

وكان زيد بن ثابت أول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، عند قدومه للمدينة، وكان ينوب عنه إذا غاب، وله القراءة والفرائض والفقه، واستعمله عمر بن الخطاب بعده[7]، كذلك عَبْدُ الله بنُ سَعْد بن أبي سَرْح، لكنه إرتد ورجع إلى مكة، وعبد الله بن الأرقم الزهري على كتابة الرسائل، وكان الكاتب لعهوده وصلحه، علي ابن

---

[1] المصدر نفسه، جـ ٦/ ص ٨٥، **والنويري**، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، ت ٧٣٣هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٩٢٣٥.
[2] ابن قتيبة، المعارف،١٩٨٧م، ص ٣٦.
[3] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٣٢٦ وجـ ٤/ ص ٤٧٦ وجـ ٥/ ص ٢٠٤.
[4] ابن قتيبة، المعارف،١٩٨٧م، ص ١٤٩.
[5] **المسعودي**، أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ، كتاب التنبيه والأشراف، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ت، ص ١٢٤.
[6] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٦/ ص ١٣٩.
[7] **ابن حبيب**، محمد بن حبيب البغدادي، ت ٢٤٥ هـ، كتاب المحبر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د، تحقيق ص ٣٧٧.

أبي طالب، وممّن كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاصي، وحنظلة الأسيدي، والعلاء بن الحضرمي، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن رواحة، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وَجُهَيم بن الصلت، ومُعَيقيب بن أبي فاطمة، وشُرْحَبيل بن حسنة[1].

وكان عليّ بن أبي طالب وعثمان بن عفان يكتبان الوحي، فإن غابا، كتب أبي ابن كعب وزيد بن ثابت، فإن لم يَشهد واحد منهما، كَتب غيرُهما، وكان المُغيرة بن شُعبة والحُصين بن نمير يكتبان ما بين الناس وكانا ينوبان عن خالد ومُعاوية إذا لم يحضرا، وكان حُذيفة بن اليمان يكتب خَرْص ثمار الحجاز، وكان زيدُ بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي، وقيل: أنَّه تعلَّم بالفارسية من رسول كِسْرى، وبالرومية من حاجب النبيّ صلى الله عليه وسلم، وبالحبشية من خادم للنبي، وبالقِبْطية من خادمه عليه الصلاة والسلام. وكان مُعَيْقيب بن أبي فاطمة يكتب مغانم النبيّ صلى الله عليه وسلم، وكان على خاتم الرسول، وكتب لعمر بن الخطاب، وكان من أمنائه على بيت المال. وكان حَنْظلة بن الربيع بن المُرقَّع بن صَيفيّ خليفة كُل كاتب من كُتَّاب النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا غاب عن عمله، فغلب عليه اسم الكاتب، وكان يضع عنده خاتمه، ويأمره بأن يلزمه ويذكره بكل أمره[2].

فكان كُتَّابُ الرسول صلى الله عليه وسلم كل يكتب حسب اختصاصه، ومنهم من يكتب في اختصاصين، مع كتابتهم الوحي، وكان خالد بن سعيد بن العاص يكتب له في كل ما أمره، وكان عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين الناس المداينات وسائر العقود والمعاملات، ويكتبان بين الناس في قبائلهم ومِياههم، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء، وربما كتب عبدُ الله بن الأرقم إلى الملوك عن النبيّ

[1] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٧١ و٦٢٠ وجـ ٣/ ص ١٥٤.
[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٤/ ص ٢٤٤، وابن قتيبة، المعارف، ١٩٨٧ م، ص ١٧٠ و ١٧٨.

صلى الله عليه وسلم، والزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات، وكتب غيرهم لكنهم لم يكتبوا إلا الكتاب والكتابين[1].

فكان للرسول كتاب للوحي وكتاب لغيره، وبعضهم مقدم على الآخر، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدفع الكتب والمهام إلى الكاتب حسب اختصاصه أو تقدمه في المعرفة، وكان يقدم زيد بن ثابت بسبب معرفته وتقدمه في القرآن، وكان يكتب له الوحي وغيره، وكانت ترد عليه كتب بالسريانية فلم يجد من يحسنها من كتابه الثقات، فطلب من زيد تعلّمها لمساعدته في الكتابة ولتتم المراسلات من قبله لأنه ثقة، فتعلّمها في أسبوع، وبسبب علّمه كتب بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وعمر، وكتب لهما معه مُعيقيب الدَّوسي أيضاً[2].

وكان الصحابة يكتبون الحديث إلى جانب القرآن، لكن الرسول نهاهم عن ذلك حتى لا يختلط بالقرآن، وكان بعضهم يكتبه حتى إذا حفظه محاه، وكره عمر بن الخطاب أن يكتب السنن، وأمر بأن يمحو كلٌّ ما عنده، وأرسل بذلك إلى الأمصار، وخاف أن تلتبس السنن على الناس مع القرآن[3]، فكان الجيل الأول من المسلمين قد أخذ العلّم بالتلقين[4].

وكان يكتب لأبي بكر: عثمان بن عفان، وزيدُ بن ثابت، وعبدَ اللّه بن الأرقم وحنظلة بن الربيع، ولما تقلّد عثمان بن عفان الخلافة دَعا زيد بن ثابت وأمره بأن يتتبع نسخ القرآن ويجمعها في مصحف واحد، ويعود ذلك إلى معرفته ولزومه الرسول صلى الله عليه وسلم وكتابته للوحي، فتَتبّع القرآن فجمعه، وفيه يقول حسان ابنُ ثابت:

فَمن للقَوافي بعد حَسّانَ وابنه ومَن للمَثاني بعد زَيْد بن ثابت

---

[1] المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٨١م، ص ٢٦١-٢٦٢.
[2] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٢/ ص ١٣٧.
[3] **ابن عبد البر**، يوسف بن عبد الله بن محمد، ت ٤٦٣ هـ، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، جـ١/ ص ٦٤.
[4] **حاجي خليفة**، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، ت ١٠٦٧م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، جـ١/ ص ٧١٢.

وكَتب لعمر بن الخطاب: زيدُ بن ثابت، وعبدُ الله بن الأرقم، وعبدُ الله بن خَلَف الخزاعيّ، وأبو طَلْحة الطلحات، على ديوان البَصْرة، وكَتب له على ديوان الكوفة أبو جَبيرة بن الضحّاك، فلم يزل عليه إلى أن ولي عبيد الله بن زياد، فعزله وولي مكانه حبيب بن سَعْد القَيْسيّ[1].

وكتب لعُثمان كل من مروانُ بن الحَكَمَ، وعبد الملك بن مَرْوان كتب له على ديوان المدينة، وأبو جَبيرة على ديوان الكُوفة، وعبدُ الله بن الأرقم على بيت المال، وأبو غَطفَان بن عوف بن سعد بن دينار، وكان يكتب في شؤونه مواليه وهم أهَيب وحُمْران[2].

وكتب لعلي بن أبي طالب سعيد بن نِمْران الهَمْداني، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله ابن حَسن، وعبد الله بن أبي رافع، وسِمَاك بن حَرْب[3].

وكان للكتّاب أهمية كبيرة؛ فهذا عثمان بن عفان كان يكتب لأبي بكر، ثم صار خليفة. وكان مروان بن الحكم كاتباً لعثمان بن عفان ثم صار خليفة. وكان زياد كاتباً للمُغيرة بن شعبة، ثم لأبي مُوسى الأشعري، ثم لعبد الله بن عامر بن كُريز، ثم لعبد الله بن عبّاس، ثم صار واليا. وكان عبدُ الله بن خلف الخُزاعي، أبو طلحة الطلحات، كاتباً على ديوان البصرة لعمر وعثمان[4].

ولم يقتصر تعلّم الكتابة على الرجال حتى تجاوزه إلى تعلّم بعض النساء، فقد كانت الشفاء[5] من اللواتي كتبن، وأمرها الرسول صلى الله عليه وسلم بتعليم حفصة الكتابة. ومن العربيات الكاتبات حفصة زوج الرسول، وأم كلثوم بنت عقبة، وعائشة بنت سعد تعلّمت من أبيها، وكانت كريمة بنت المقداد تكتب، وكانت عائشة زوج

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٤/ ص ٢٤٦.
[2] المصدر السابق، جـ ٤/ ص ٢٤٦.
[3] المكان نفسه.
[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٤/ ص ٢٥٠، **وابن حجر العسقلاني**، أحمد بن علي بن حجر، ت ٨٥٢ هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢ م، جـ ٥/ ص ٨٥.
[5] الشفاء بنت عبد الله صحابية كانت تعلم حفصة، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار، أضواء البيان، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م، جـ ٩/ ص ٢٠.

الرسول صلى الله عليه وسلم تقرأ المصحف ولا تكتب، وكانت أم سلمة تقرأ القرآن ولا تكتب. هذا ويذكر أبو الحسن البلاذري أسماء الكتاب من قريش ومن أهل المدينة وهم كثر، وهو بدوره لم يحط بهم كلهم[1].

وعلى عكس المتوقع نجد بين القبائل من يستطيع القراءة والكتابة، أو كان فيهم عدد من القراء، وإذا تتبعنا مراسلات النبيّ صلى الله عليه وسلم للعرب والوفادات عليه، نستطيع معرفة ذلك، فكانوا يتعاملون بالكتابة بينهم، ويطلبون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكتب لهم، ليس هذا فحسب بل كان الأفراد يطلبون أن تكون طلباتهم من الرسول صلى الله عليه وسلم كتابة، ولهذا احتاج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عدد كبير من الكتاب لإنجاز المعاملات، وتظهر القبيلة التي لا يحسن فيها احد القراءة بسهولة، فكان بكر بن وائل - وهم قوم باليمامة - لا يحسن اغلبهم الكتابة إلا رجلاً من بني ضُبَيْعَة من ربيعة، لذلك سموا بنيه (بنو القارئ)[2].

وكان العرب يمارسون الضبط اللغوي ويعرفون من يخرج فيهم عن المألوف وسموه إقواء وإكفاء وغير ذلك، فلم يكن أبو الأسود الدؤلي إلا مدون هذا العلم أما أصوله فكانت موجودة، وكان سبب ظهور النحو، كثرة الأجانب الوافدين والمختلطين في العرب، وخوفا من اضمحلال اللغة، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد قام على تدوين النحو بنفسه، فكان قد نزل إلى السوق واشترى صحفا بدرهم، ثم كتب الأصول عليها، وبين أن كلام العرب لا يخرج عن اسم أو فعل أو حرف ثم قسم الكلام، وطلب من أبي الأسود الدؤلي أن يؤلف كتابا ويسير على هذه الأصول في تدوين قواعد اللغة، فعمل أبو الأسود كتابه الذي صار أصل كتب النحو حيث أخذ عنه الخليل بن احمد الفراهيدي، ثم سيبويه ووضع كامل أصول النحو في كتاب، ثم نقلها النحويون وفرعوها كما نعرفها، ثم اختلفوا في إعراب لغات العرب، وصار لكل لغة مدرسة[3].

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ١٩٨٣م، ص ٤٥٤.
[2] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٧١١ وجـ ٤/ ص ٣٤٣.
[3] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ١٢/ ص ٣٤٧.

الشعر سمح لهم عمر بن الخطاب بكتابته، وقال لمن حضره:(إنّي قد كانت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعاً للتضاغن عنكم وبثّ القبيح فيما بينكم، فأمّا إذ أبو فاكتبوه، واحتفظوا به، فدوّنوا ذلك عندهم. قال خلاّد بن محمد: فأدركته والله وإنّ الأنصار لتجدّده عندها إذا خافت بلاه)[1]، فهم لم يكتبوه فحسب بل تناقلوه جيلا بعد جيل.

وكان بعض العرب يكتب الشعر القديم، فقد كان أبو عبيدة يذهب إلى بني جعفر ابن كلاب ومعه جماعة من قومه، فكانوا يكتبون عنهم أشعارا قديمة تعود إلى زمن سابق عن أمرئ القيس مثل أشعار ابن خدام، والظاهر أن أمرأ القيس قد تعلّم منه بعض أساسيات الشعر فقال:

عوجا خَليليّ الغداةَ لعلّنا　　　نَبكي الدّيارَ كما بكى ابنُ خِدامِ[2]

وقد كانت الكتب موجودة عند العرب قبل الإسلام، فمنها الزبور والتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم، وإضافة إلى الكتب الدينية تظهر كتب أخرى مثل صحف لقمان الحكيم[3]، وجاء عمر بن الخطاب إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعه كتاب فيه شيئ من الانجيل يقرؤه عليه[4]، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن قراءة كتب أهل الكتاب[5]. أما عَبْدُ الله بن عَمْرو بن العاص السَّهْمي فكان عالماً قرأ الكتب المتقدمة، واستأذن النبيّ صلى الله عليه وسلم في أن يكتب عنه فأذن له[6].

وتظهر عند العرب أسماء عدة كتب، فقد كان النضر بن الحارث قد تعلّم في الحيرة أحاديث كسرى واسفنديار وغيرهم من ملوك الفرس، وترجم منها عدة كتب حملها إلى مكة، فإذا تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم لقريش خرج لهم وحدثهم بتاريخ الفرس، ثم يقول لهم من أحسن حديثا أنا أم محمد. وقد نزلت به ثمان آيات من

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٤/ ص ١٤٨.
[2] أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ١٩٨٣م، ص ٢٥.
[3] دروزة، تاريخ الجنس العربي، ١٩٦١م، جـ ٥/ ص ٢٠٠.
[4] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٣٢١.
[5] المصدر نفسه، جـ١/ ص ٣٢٢.
[6] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٢٤٤.

القرآن تتحدث عن القصص القرآني، وعن أساطير الأولين، وكلها ردا عليه. وكان يقول أن محمدا إنما اكتتب هذه الأساطير عن الأولين كما اكتتبتها أنا من الحيرة، فيقرؤها عليهم. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس في مجالس قريش يحاججه في خبر الأولين، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقطع قوله وحججه[1]، وجاء رجلان إلى ابن مسعود بصحيفة فيها قصص قديم، فأمر بطشت وماء وأخذ يتلو قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ)(يوسف: من الآية٣)، ثم غسل ما بها حتى محاه[2].

ومن الكتب الموجودة عند العرب قبل الإسلام، كتاب يحكي قصة أصحاب الكهف، ويسمى الرقيم[3] وهو كتاب يحوي الخبر عن قصة أصحاب الكهف، قال العجاج[4]:

وَمُستَقَرَّ المُصحَفِ المُرَقَّم[5]

وكان ورقة بن نوفل، يحسن العربية والسريانية والعبرية، وقد قرأ الكتب القديمة من اللغات المختلفة[6]، وكان أمية بن أبي الصلت قد قرأ الكتب ورغب عن عبادة الأوثان[7]، هذا وكثيرا ما يرد في الأشعار والكتب أقوال غير واضحة تشير إلى

---

[1] **ابن هشام**، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري، ت ٢١٨ هـ، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الخير، ١٩٩٢م، جـ١/ ص ٢٣٩و٢٨٢

[2] ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١٩٧٨، جـ١/ ص ٦٦.

[3] ويجمع على رقم.

[4] العجاج، عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء، ؟ - ٩٠ هـ/؟ - ٧٠٨ م، راجز مجيد، من الشعراء، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أدرك الإسلام وأسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك ففلج وأقعد، وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد، وكان بعيداً عن الهجاء وهو والد رؤبة الراجز المشهور.

[5] ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩٢م، جـ١/ ص ٢٤٢.

[6] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٦/ ص ٨٥، و النويري، نهاية الأرب، ٢٠٠٣م، ص ٩٢٣٩.

[7] ابن قتيبة، المعارف، ١٩٨٧م، ص ٣٦.

كتاب بني تميم أو كتاب هذيل، ولعلها كتب جمعت فيها أشعارهم. قال بشر بن أبي خازم[1]:

وَجَدنا في كِتابِ بَني تَميمٍ　　　أَحَقُّ الخَيلِ بِالرَكضِ المُعارُ[2]

وقالت الخرنق بنت بدر[3]:

ألا لا تَفخَرَن أَسَدٌ عَلَينا　　　بِيَومٍ كانَ حَيناً في الكِتابِ[4]

وكان عبد المطلب إذا حلَّ اليمن نزل على عظيم من عظمائهم، فنزل على عظيم منهم مرة من المرات فوجد عنده رجلاً معمرا قرأ الكتب المختلفة وتبحر بها فأخذ يسامره[5].

وقال عليق الطائي في صفة كتاب:

أذاعَت بِه الأرواحُ حَتّى كَأنَّما　　　حَسِبتَ بَقاياهُ كِتابا مُنَمنَما[6]

وقال سلامة بن جندل:

لِمَنْ طَلَلٌ مِثلُ الكتابِ المُنمَّقِ　　　خَلا عهدُهُ بينَ الصُلَيبِ فَمُطرِقِ

أكَبَّ عليهِ كاتبٌ بدواتِــــــهِ　　　وحادِثُهُ في حِدَّةِ العينِ مُهــــرِقُ[1]

---

[1] بشرُ بنُ أبي خازم، بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل، ؟ - ٢٢ ق. هـ/؟ - ٦٠١ م، شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة. كان من خبره أنّه هجا أوس بن حارثة الطائي بخمس قصائد، ثم غزا طيئاً فجرح وأسره بنو نبهان الطائيون فبذل لهم أوس مائتي بعير وأخذه منهم، فكساه حلته وحمله على راحلته وأمر له بمئة ناقة وأطلقه، فانطلق لسان بشر بمدحه فقال فيه خمس قصائد محا بها الخمس السالفة. توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، رماه فتى من بني وائلة بسهم أصاب ثندؤته.

[2] ديوان بشر بن أبي خازم، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، بحر الوافر، قصيدة ألا بان الخليط.

[3] الخِرنِق بنتِ بَدر، الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك من بني ضبيعة، البكرية العدنانية. ؟ - ٥٠ ق. هـ / ؟ - ٥٧٤ م، شاعرة من الشهيرات في الجاهلية، وهي أخت طرفة ابن العبد لأمه. وفي المؤرخين من يسميها الخرنق بنت هفان بن مالك بإسقاط بدر، تزوجها بشر بن عمرو بن مَرْثَد سيد بني أسد وقتلهُ بنو أسد يوم قلاب (من أيام الجاهلية)، فكان أكثر شعرها في رثائه ورثاء من قتل معه من قومها ورثاء أخيها طرفة.

[4] ديوان الخرنق بنت بدر، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، بحر الوافر.

[5] **ابن حبيب**، محمد بن حبيب البغدادي، ت ٢٤٥ هـ، كتاب المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥ م، ٢٢١، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٩٤م، جـ١/ ص ٥٦.

[6] ديوان ابن عليق الطائي، ٢٠٠٣م، الطويل.

وكان عند العرب عدة أنواع من المداد، قال أبو طالب[2]:

فإنّي أخافُ الحاسِدِينَ وَإنّهُ ‏ ‏ ‏ ‏ لفي الكُتبِ مَكتوبٌ بِكُلِّ مِدادِ[3]

كما كان هناك عدة شخصيات تروي أخبار العرب قبل الإسلام، ومنهم الكلبي، وكان راوية لأخبار العرب المختلفة، وكان معاوية قد جعله في مجلسه يسأله عن أخبار العرب، ويشاوره في أحوالهم وثاراتهم[4].

وكان أبو عمر عمرو بن العلاء بن عمار من أكثر من حفظ عن العرب، وكان يدون أخبارهم، وكانت مكتبته قد وصلت لغاية السقف، وكان الفرزدق كثيرا ما يبحث عن أخبار العرب فيجدها عند علماء العرب، ولكنه ما أن وصل إلى أبي عمر حتى اكتفى بكتبه عن غيرها، وقال:

ما زلت أفتحُ أبواباً وأغلقها ‏ ‏ ‏ ‏ حتَّى أتيتُ أبا عمرو بنَ عمَّار

وكان من اعلم الناس بالعرب والعربية وبالقراءة والشعر وأيام الناس، وقد حمل الفرزدق عنه أخبار العرب، فهذا حال الفرزدق وهو اعلم الناس بأخبار العرب الذي لولا شعره لذهب نصف أخبار الناس[5].

وأول من جعل للكتب خاتمة أبيُّ بن كعب، وهو أول من وثق كاتب النص في مراسلاته بكتابة: وكتب فلان بن فلان[6]، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتخذ الخاتم بعد التطور الذي جرى على كتاباته التي صارت تخاطب الدول المجاورة، فكان لا بد من خاتم لإعطاء الطابع الرسمي، وكان ذلك في السنة السابعة، فاتخذ

---

[1] **الأصمعي**، عبد الملك بن قريب بن علي، ت ٢١٦هـ، الأصمعيات، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١٢٥.

[2] أبو طالِب، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش، أبو طالب، ٨٥ - ٣ ق. هـ / ٥٤٠ - ٦١٩ م، والد الإمام علي كرم الله وجهه، وعم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله ومربيه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الأباة. وله تجارة كسائر قريش. نشأ النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه. ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام همّ أقرباؤه (بنو قريش) بقتله فحماه أبو طالب وصدهم عنه. وفي الحديث: ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب. مولده ووفاته بمكة.

[3] ديوان أبو طالب، ٢٠٠٣م، بحر الطويل، قافية الدال.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٣/ ص ٢٨٦.

[5] الجاحظ، البيان والتبيين، بيروت، جـ١/ ص ١٧١.

[6] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٧١.

خاتماً من فضة نقش فيه: «محمد رسول الله" ليختم به الصحف[1]، وبعد انتهاء الكاتب من الكتابة تتم قراءة الكتاب ويختم[2]. وكانت الكتب قديما غير مختومة حتى قرأ المتلمس صحيفته فختمت الكتب[3].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب أن يتعلّم كتّابه مهارات مختلفة للكتابة، وتعلّم لغات أخرى غير العربية، كما طلب منهم تعلّم مهارات كتابة أخرى، خاصة الحساب حيث تعتبر من لوازم الكاتب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم علّم معاوية الكتاب والحساب، وقه العذاب»[4].

وكان العرب ثم المسلمون يستفتحون كتبهم (باسمك اللهم) حتى أنزلت سورة هود بآية فيها: (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا)(هود: من الآية٤١)، فكتب: بسم الله؛ ثم نزلت سورة بني إسرائيل: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ)(الإسراء: من الآية١١٠) فكتب، بسم الله الرحمن، ثم نَزلت سورة النمل:(إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (النمل:٣٠) فاستفتح بها الرسول. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كتب إلى أصحابه وأمراء جنده يكتب (من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان)، فصارت سنة بعده[5]، وأول من قال أما بعد كعب بن لؤي، فصارت سنة[6].

وكانت الكتب تصدر في أيام النبيّ صلى الله عليه وسلم باسمه، وتختم الكتب باسم كاتبه، وكذلك هي عن الأئمة؛ التصدير في أول الكتاب، والدعاء في آخره للإمام وولي العهد[7].

وكان العرب قبل الإسلام، يجعلون للرسائل عنوانا، لمعرفة طبيعة المراسلات، ويوضع للكتاب عنوان لمعرفة محتواه، قال الاخنس بن شهاب التغلبي:

---

[1] المصدر نفسه، جـ١/ ص ٨٧.
[2] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٦٨.
[3] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٢٤/ ص ٢٣٠.
[4] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٤٤٧.
[5] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٤/ ص ٢٤٠، والصولي، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ١٤.
[6] الصولي، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٢٤.
[7] المصدر نفسه، ص ٢٨.

لِابنَةِ حِطّانَ بن عَوفٍ مَنازِلٌ   كَما رَقشَّ العُنوانَ في الرقّ كاتِبُ[1]

ومن أساليب التوثيق على الرسائل والصحف الطابع، وربما كان الطابع على الصحف نفسها قبل كتابتها عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دعا أحدكم فليختم بآمين، فإن "آمين" في الدعاء مثل الطابع على الصحيفة»[2]. وكانت الصحف تستخدم للكفالات، قال الممزق العبدي:

فلا أنَا مَوْلاهُمْ ولا في صحيفةٍ   كَفَلْتُ عليهمْ والكفالةُ تَعْتَقِي[3]

وكانت الكتب والصحف تختم عند العرب قبل الإسلام بخاتم لا يفك حتى يعرف أن الكتاب قد قُرِئ قال زبان بن سيار الفزاري[4] في مقتل حذيفة بن بدر:

وَإنَّ قَتيلاً بِالهَباةِ في اِستِهِ   صَحيفَتُهُ أن عادَ لِلظُلْم ظالِمُ

مَتى تَقرَؤوها تَهدِكُم مِن ضَلالِكُم   وَتُعرَفُ إِذا ما فُضَّ عَنها الخَواتِمُ[5]

ولا أدل على ذلك أن قريشا عندما كتبت صحيفة المقاطعة ضد بني هاشم والمسلمين، عهدت بكتابتها إلى كاتب خاص هو منصور بن عكرمة بن عامر، وبعد إنهائها وثقتها قريش بأن ختمتها بثمانين خاتما، تمثل الذين تعاهدوا على المقاطعة[6].

ومن وسائل الكتابة عند العرب؛ أن تكتب ما تريد كتابته على الرق أو الجلد أو العظم أو رقعة أو الخزف أو عرجون[1]. وإذا أرادوا الكتابة جعلوا كتفا من الخشب أو العظم مسندا للرق أو الجلد، ويستخدم قلم مع دواة من الحبر للكتابة[2].

---

[1] **المرزباني**، أبو عبيد الله محمد بن عمران، ت ٣٨٤هـ، معجم الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٢٧.

[2] (ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٥/ ص ١٢٥، **ابن عبد البر**، يوسف بن عبد الله بن محمد، ت ٤٦٣ هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، جـ ٤/ ص ١٦٦٢).

[3] الأصمعي، الأصمعيات، ٢٠٠٣م، ص ١١٩.

[4] زبان بن سيار الفزاري، زبّان بن سيار بن عمرو بن جابر الفزاري، ؟ - ٩ ق. هـ/؟ - ٦١٣ م، شاعر جاهلي غير قديم، من أهل المنافرات، عاش قبيل الإسلام وتزوج مليكة بنت خارجة المزنية. ومات وهي شابة فتزوجها ابنه منظور، وأسلم هذا ففرق الإسلام بينهما. وزبان، من شعراء المفضليات والحماسة الصغرى.

[5] أبو عبيدة التيمي، أيام العرب، ١٩٨٧م، ص ٢٢١.

[6] **اليعقوبي**، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، ت ٢٨٤هـ، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، جـ٢/ ص ٣١.

وكانت الكتب تكتب على الجلد، وكان عَبْدُ الله بن عَوْسَجَة البَجَلِي، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه إلى بني حارثة بن قُرَيْط يدعوهم إلى الإسلام، فأخذوا الصحيفة فغسلوها، فرَقَعُوا بها أسفل دَلْوهم[3]. وكانت الوفود التي تفد إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يكتب لهم بأمور مختلفة منها أن يقطعهم، أو يرسل لهم بعهد، أو وصية لعامل، أو رسالة لقومه، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر كتّابه باستخدام القطع الجلدية لكتابة الرسائل لهم[4].

واختلفت استخدامات الأوراق والكتب، فكانت الألواح وسيلة يكتب عليها، وكان المسلمون يكتبون عليها الآيات والأحكام الشرعية، وكانت من النوع الذي يمكن مشاهدته من قبل عدد كبير من الأشخاص، قال سراقة بن عوف بن الأحوص:

وجئت بدين الصابئين تشوبه   بألواح نجد بعد عهدك من عهد[5]

وكانت الصحف تستخدم بين الناس، وتستخدم في المراسلات الشخصية، قال أبو العيال الهذلي[6]:

وَالمَرءَ عَمراً فَأتِهِ بِصَحيفَةٍ   مِنّي يَلوحُ بِها الكِتابُ المُنمَلُ

والمنمل: كأن سطوره آثار نمل[7].

وقال علباء بن أرقم[8]:

أخَذتُ لِدينٍ مُطمَئِنٍّ صَحيفَـةً   وَخالَفتُ فيها كُلَّ مَن جارَ أو ظَلَم

---

[1] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٢/ ص ١٩٨ و٣٣٠، العُرْجُون: أصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **عرجن**.

[2] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٣٦٢.

[3] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٢٥٣، وابن قتيبة، المعارف، ١٩٨٧م، ص ١٨٨.

[4] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٢١٠.

[5] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ١٧/ ص ٦٥.

[6] أبو العَيال الهذلي، أبو العيال الهذلي بن أبي عنترة بن خفاجة بن سعد بن هذيل، وقيل ابن أبي عنثرة، ؟ - ٤١ هـ/؟ - ٦٦١ م، شاعر فصيح مقدم من شعراء هذيل، وهو مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. أسلم فيمن أسلم من هذيل، وعمّر إلى خلافة معاوية، وله شعر مطبوع في ديوان الهذليين.

[7] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ٢٤/ ص ١٦٣.

[8] عِلباء بن أرقم، علباء بن أرقم بن عوف بن سعد بن عجل بن عتيك بن يشكر بن بكر وائل، ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر جاهلي كان معاصراً للنعمان بن المنذر، له شعر في الأصمعيات.

وقال الحارث بن حلزة[1]:

حَذَرَ الخَونِ وَالتَعَدّي وَهَل يَنـ ـقُضُ ما في المَهارقِ الأهـــواءُ
وَاِعلَموا أَنّنا وَإِيّاكُم فـــــي ما اِشتَرَطنا يَومَ اِختَلَفنا سَـــواءُ[2]

وظهرت المجلة عند العرب وهي صحيفة كان يكتب فيها شيء من الحكم؛ قال النابغة الذبياني:

مَجَلَّتُهُم ذاتُ الإِلهِ وَدينُهُم قَويمٌ فَما يَرجونَ غَيرَ العَواقِبِ[3]

والمهارق، ليس يراد بها الصُّحُفُ والكتب، ولا يقال للكتب مَهارقُ حتَّى تكونَ صفحاته مصنوعة من الحرير المشبع بالصمغ وتكون مصقولة[4]. ويحفظ فيه عادة كل ما هو مهم مثل كتبَ دينٍ، أو كتبَ عهودٍ، أو مِيثاقٍ، أو أمان[5]. وليس بين الرُّقوم والخطوط فرق، وكلُّها خطوط[6]، وجمع القرآن في الخزف وأكتاف الإبل وفي الرق[7].

ويحتوي الكتاب عادة على معلومات مختلفة ومتنوعة، فعندما استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم عَمْرُو بنُ حَزم بن زيد على أهل نجران، كتب لهم كتاباً فيه الفرائض والسنن والصدقات والديات، فكان كتابه شاملا لأغلب ما يحتاجونه في حياتهم، وهذا لبيان سياسة الحكم التي سيسير عليها عامله، وحتى لا يظنون به الظنون إذا أجرى عليهم أحكام الإسلام[8].

---

[1] الحارث بن حلزة، الحارث بن حِلِّزَة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي، ؟ - ٥٤ ق. هـ/؟ - ٥٧٠م، شاعر جاهلي من أهل بادية العراق، وهو أحد أصحاب المعلقات، كان أبرص فخوراً، ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند الملك بالحيرة، جمع بها كثيراً من أخبار العرب ووقائعهم حتى صار مضرب المثل في الافتخار، فقيل: أفخر من الحارث بن حلزة.

[2] ديوان الحارث بن حلزة، ٢٠٠٣م، قصيدة آذنتنا ببينها أسماء، الخفيف. بيت ٤٢-٤٤.

[3] القالي، الأمالي، بيروت، جـ١/ ص ٢٤٥.

[4] **ابن سيده**، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت ٤٥٨هـ، المحكم والمحيط الأعظم، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، مادة **هرق**.

[5] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ ١/ ص ٦٩.

[6] المصدر نفسه، جـ ١/ ص ٧٠.

[7] **أبو هلال العسكري**، الحسن بن عبد الله بن سعد، ت ٣٩٥هـ، الأوائل، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٢٠٠.

[8] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٧١١.

وكان الصحابة يحزبون القرآن: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب[1] المفصل. وكان هذا دليل على معرفة بالتعامل مع الكتب الكبيرة الحجم، فكانت الأحزاب طريقة لتقسيم الكتب[2]. ومن تقسيمات الكتب الأسفار[3]، فإذا كان الكتاب كبيرا قسم إلى عدة أسفار، ومثال ذلك التوراة، فإذا كتب من الأسفار عدة أوراق سميت جوامع[4].

وكانت كتب الجلد تمحى ويعاد الكتابة عليها ودليل ذلك قول لبيد بن ربيعة:

وَجَلا السُيولُ عَنِ الطُلولِ كَأَنَّها زُبُرٌ تُجِدُّ مُتونَها أَقلامُها[5]

والزبر الكتب التي يعاد الكتابة عليها[6]. وَالرَّقِيمُ الكِتَابُ (مَرْقُومٌ: مَكْتُوبٌ مِنَ الرَّقْمِ)[7]، ورقم الكتاب: بين حروفه، ونقطه ورقمه، وكتاب مرقوم ومرقم أي مكتوب[8].

والمصحف؛ بالكسر لغة أهل الحجاز وهي رديئة لأنه أخرج مخرج ما يتبادل ويتعاطى باليد، وأهل نجد يقولون مصحف من قولك أصحفته فهو مصحف إذا جعلت بعضه على بعض[9]، وكانت الكتب تضم صفحاتها بواسطة سيور[10] وهو أن يدخل المخيط في أحد الصفحات ويربطها بأخرى[11].

ومن أنواع المواد التي كتب عليها العرب، العسب والقضيم والكرانيف والجرائد، وهي مصنوعة من عسف النخل، والجريدة عند أهل الحجاز السعفة، والكرانيف

---

[1] الحزب: الورد ومنه أَحْزَابُ القرآن، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **حزب**.
[2] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ١٩٨.
[3] السِّفْرُ: بالكسر الكتاب والجمع أَسْفارٌ، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **سفر**.
[4] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٢/ ص ٤٣٠وجـ ٣/ ص ٨٣.
[5] أبو زيد القرشي، جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام، ٢٠٠٣م، ص ١٨٣.
[6] أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ١٩٨٣م، ص ٦٤.
[7] البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧م، جـ ٤/ ص ١٧٥٠.
[8] **الجرجاني**، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت ٤٧١هـ، أسرار البلاغة في علم البيان، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، مادة **الرقم**.
[9] أبو هلال العسكري، الأوائل، ٢٠٠٣م، ص ٢٠٠.
[10] والسَّيْرُ:ما يُقَدُّ من الجلد، والجمع السُّيُورُ. والسَّيْرُ: ما قُدَّ من الأديم طُولاً، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **سير**.
[11] المرزباني، معجم الشعراء، ١٩٨٢م، ص ١٢.

أصول السعف الغليظة التي تكون ملتصقة بالجذع، وتكون قطعة واحدة يكتب عليها[1]، ويكتب على القضم، وهي صحف بيض أو جلود بيض، وتقطع وتصقل وتنظف حتى تصبح صالحة للكتابة، كما أن القرطاس أو الكاغد كان يستورد من مصر للكتابة عليه[2]، كما استخدم الرق وهو جلد رقيق للكتابة عليه، واستعمل القتب[3] وهو مصنوع من الخشب للكتابة، كما استعمل اللوح وهو من الخشب كذلك، كما استخدموا الخزف والحجارة للكتابة[4].

وكانت الكتابات والمراسلات بين العرب على أنواع منها المحلية والدولية، فعندما أراد هاشم أن يعقد الإيلاف ذهب إلى الملوك وطلب منهم كتابة كتب لهم تضمن تجارتهم، ثم لم يمر بحي من العرب على طريق التجارة إلا وكتب لهم كتابا وأخذ منهم إيلافا يؤمنون تجارته ويحمل تجارتهم بكتاب بينهم وبين قريش[5].

وعندما أرادت قريش أن تقاطع المسلمين وبني هاشم لأنهم حالفوهم وأعلنوا حماية الرسول، اجتمعوا في دار الندوة وكتبوا بينهم كتابا، واجتمع على تسجيله عدد منهم، ثم ختموه بسبعين خاتم يمثل كل قبيلة وحلف وعصبة، ولم يحضره أحد من بني عبد شمس ولا بني نوفل لتحالفهم مع بني هاشم، ثم علقوا الكتاب على جدار الكعبة ليقرأه الناس، وهذا هو أسلوب الإعلان عندهم[6]، وكان بغيض بن عامر متخصصا بالعهود، وهو الذي كتب صحيفة قريش يوم حصرت بني هاشم وبني المطلب بالشعب[7].

---

[1] **علي**، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة بغداد، ١٩٧١م، جـ ٨/ ص ٢٥٩.

[2] المصدر نفسه، جـ ٨/ ص ٢٦١.

[3] هو الإكاف الصغير الذي على قدْر سَنام البعير، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **قتب**.

[4] علي، المفصل، ١٩٧١م، جـ ٨/ ص ٢٦٢ و٢٦٤ و٢٦٥.

[5] ابن حبيب، المنمق، ١٩٨٥م، ص ٤٢.

[6] المصدر نفسه، ص ٨٦.

[7] الكلبي، جمهرة النسب، ١٩٨٦م، ص ٦٦.

ولولا الكتابة لبطلت العهودُ والشروطُ والسِّجلاتُ والصّكوك، وكلّ عهدٍ وعَقدٍ، وكلُّ جِوارٍ وحِلف، لهذا كانوا يَدْعُونَ في الجاهليَّةِ مَنْ يكتبُ لهم الحِلْف والهُدْنة، لحفظه من النسيان، ولذلك قال الحارثُ بن حِلِّزة، في شأنِ بكرٍ وتغلب:

واذكرُوا حِلْفَ ذِي المَجَاز وما قُـ ـدِّمَ فيه العهودُ والكفـــــلاءُ

حَذَرَ الجَورِ والتَّعـــدِّي وهلْ يَنْـ ـقُض ما في المَهارق الأهواءُ[1]

ومن أنواع الخطوط التي كتب بها العرب الخط المنمل[2]، وهو خط صغير جدا كأنه آثار نمل، وكانت تستخدم بالصحف والمراسلات إذا عز الورق. ومن أنواع الخطوط الخط المرقّش وهو الخط المنقط، لكن طبيعة التنقيط كانت غير معروفة، هل هي النقاط التي توضع فوق الحروف، أم هي الحركات، أم علامات الترقيم. قال طرفة:

كسطور الرّقّ بالضّحى مرقّشُ يشمه

وقال مرقش الأكبر:

الدّار قفرُ والرّسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم

وبهذا البيت سمّي مرقشاً[3]. وخطُّ الحازي والعرّاف والزّاجر. وهي خطوط يستخدمها الكهنة للشعوذة وكانت غالبا غير مفهومة، وكان فيهم حليس الخطّاط الأسديّ، ولذلك قال شاعرهم في هجائهم:

فأنتم عضاريطُ[4] الخَمِيس إذا غزَوْا غَنَاؤكم تِلْكَ الأخاطيطُ في التُّرْبِ[5]

---

[1] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ١/ ص ٦٩.

[2] كتاب منمّل، إذا كان متقارب الخطّ، (ابن دريد، جمهرة اللغة، ٢٠٠٣م، مادة **لمن**).

[3] القالي، الأمالي، بيروت، جـ٢/ ص ٢٤٦، والجاحظ، البيان والتبيين، بيروت، جـ١/ ص ٢١٦.

[4] والعُضرُوْطُ: الذي يخدُمكَ بطعامِ بطنهِ، وهمُ العضَاريطُ والعَضارطةِ، قال الأعشى:

وكفىَ العضَاريْطُ الرّكابَ فبُددتْ لأمرِ مؤملٍ فأجالها

أي: لما صاروا إلى الغارة أمسكَ الخدمُ الرّكابَ وركبَ الفرسانُ فبَدتِ الخيلُ للغارةِ بأمر الممدْوح وهو قيسُ بن معدِيْ كربٍ، (**الصاغاني**، الحسن بن محمد بن الحسن، ت ٦٥٠هـ، العباب الزاخر واللباب الفاخر، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، مادة **عضرط**).

[5] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ ١/ ص ٦٣.

أما في صفة القلم عند العربي فهو أنبوب رفيع وبداخله صوف، وأما مداده فهو من النفط والسخام، وهو الكربون الناتج عن الفحم، أما رأسه ففيه شق مثل شق حبة الشعير، ويقص طرفه السفلي بشكل مائل، قال المقنّع الكنديُّ[1]:

كالخطِّ في كُتُبِ الغلام أجادَه ... بمداده، وأسَدَّ من أقلامــــهِ

قلمٌ كخُرطوم الحمامةِ مائــلٌ ... مُستَحفِظٌ للعلْم من علامِـــه

يَسم الحروفَ إذا يشاءُ بناءَها ... لبيانِها بالنَّقط من أرسامـــهِ

مِن صُوفةٍ نَفث المداد سُخامه ... حتى تغيَّرَ لونُها بسُخامِـــه

يَحْفَى فيُقصَمُ من شَعيرة أنفِه ... كقُلامة الأظفور من قلامِـه

وبأنفه شَقٌّ تلاءَم فاستَـــوى ... سُقِيَ المدادَ، فزاد في تَلأمِه[2]

مراحل جمع القرآن:

ومن النماذج التي تبين عناية العرب في الحفظ والتوثيق ما علموه في جمع القرآن، فقد مرت عمليت جمع القرآن بعدة مراحل هي:

المرحلة الأولى: في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

1- حفظه في الصدور: حفظ النبيّ صلى الله عليه وسلم للقرآن: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن عن ظهر قلب لا يفتر لا سيما في الليل، حتى أنّه ليقرأ في الركعة الواحدة العدد من السور الطوال. وحفظ الصحابة للقرآن الكريم، فقد توفرت للصحابة العوامل التي تجعلهم قادرين على حفظ القرآن وتسهل عليهم هذه المهمة ومن تلك العوامل:

---

[1] المقنع الكندي، محمد بن عميرة بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود عبد الله الكندي. ؟ - ٧٠ هـ/؟ ٩٦٠ م، شاعر، من أهل حضرموت. مولده بها في (وادي دوعن)، اشتهر في العصر الأموي، وكان مقنعاً طول حياته، و(القناع من سمات الرؤساء) كما يقول الجاحظ. وقال التبريزي في تفسيره لقبه: المقنع الرجل اللابس سلاحه، وكان مغط رأسه فهو مقنع، وزعموا أنّه كان جميلا يستر وجهه، فقيل له: المقنع! وفي القاموس والتاج: المقنع، المغطى بالسلاح أو على رأسه مغفر خوذة. قال الزبيدي: وفي الحديث أن النبي (صلى الله عليه وسلم) زار قبر أمه في ألف مقنع أي في ألف فارس مغطى بالسلاح.

[2] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ ١/ ص ٦٥.

أ- قوة ذاكرتهم الفذة التي عرفوا بها واشتهروا، حتى كان الواحد منهم يحفظ القصيدة من الشعر بالسمعة الواحدة.

ب - نزول القرآن منجماً.

ج - لزوم قراءة شيء من القرآن في الصلاة.

د - وجوب العمل بالقرآن، فقد كان هو ينبوع عقيدتهم وعبادتهم، ووعظهم وتذكيرهم.

هـ - حض النبيّ صلى الله عليه وسلم على قراءة القرآن، والترغيب بما أعد للقارئ من الثواب والأجر العظيم.

و- تعاهد النبيّ صلى الله عليه وسلم الصحابة بتعليم القرآن: فكان الصحابة تلامذة للنبي يتعلّمون منه القرآن، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يتعاهدهم بتعليم القرآن، فإذا أسلم أهل أفق أو قبيلة أرسل إليهم من القراء من يعلّمهم القرآن، وإن كان في المدينة ضمه إلى حلق التعليم في المسجد.

2- حفظه في السطور: وهو لون من الحفظ يدوم مع الزمان، لا يذهب بذهاب الإنسان، فلا بد أن يتحقق ما تكفل الله بحفظه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

لقد اعتنى النبيّ صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن عناية بالغة جداً، فكان كلما نزل عليه شيء منه دعا الكُتّاب - منهم: علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان- فأملاه عليهم، فكتبوه على ما يجدونه من أدوات الكتابة حينئذ مثل: الرقاع، واللخاف، والأكتاف، والعسب. وقد حصر النبيّ صلى الله عليه وسلم جهد الكتاب في كتابة القرآن فمنع كتابة الحديث إلا في ظروف خاصة أو لأناس مخصوصين[١].

[١] وكان الرسول يقول:"لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن. وفي رواية: "ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"، (النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، ت ٣٠٣هـ، فضائل القرآن، تحقيق د. فاروق حمادة، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٢م، جـ١/ص ٨٦).

وكان الصحابة يكتبون بعض الحديث اذا حفظوه محوه، ويعود ذلك الى قرب الزمان والاسناد، وحتى لا يتكلوا على الورق فاذا ضاع ضاع العلم، فكانوا يركنون على الحفظ في الصدور[1].

فتوفرت بذلك طاقة كبيرة لكتابة القرآن وترتيبه[2]، كما أخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن في الرّقاع... ومقصود هذا الحديث فيما يظهر أن المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبيّ صلى الله عليه وسلم[3]، فقد كتب القرآن كله في عهد رسول الله لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور[4].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع المسلمين في القرآن حتى يتأكد من صحة حفظهم، في داخل المدينة ومن هم من خارجها، فعندما وفد عليه حضرمي بن عامر، طلب منه أن يقرأ له من القرآن، فقرأ:"(سبح اسم ربك الأعلى، الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى)، والذي أمتن على الحبلى، فأخرج منها نسمة تسعى بين شغاف وحشا"، فقال له: لا تزيد فيها فإنها كافية. فكان يعدل حفظ المسلمين بأسلوب المراجعة[5]. كما منع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكتب غير القرآن، وطلب من الذين كتبوا الحديث أن يمحوه، لمنع اختلاط القرآن بالحديث وسواه[6].

---

[1] الخطيب البغدادي، تقييد العلم، دار احياء السنة، ص ٥٩.

[2] أنظر: **الزرقاني**، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، جـ١/ ص ١٦٧ - ١٦٩، وجـ ١/ ص ١٧١- ١٧٢.

[3] صحيح ابن حبان، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٣٢٠ ص، والحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ١٩٩٠م، جـ٢/ ص ٢٤٩، وسنن الترمذي، بيروت، جـ ٥/ ص ٧٣٤، **والغزي**، محمد بن محمد بن محمد، ت ١٠٦١هـ، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، تحقيق خليل محمد العربي، الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤١٥هـ، جـ١/ ص ١٦٠.

[4] الغزي، الإتقان، ١٠٦١هـ، جـ١/ ص ١٦٠.

[5] الكلبي، جمهرة النسب، ١٩٨٦م، ص ١٨٢، **والقزويني**، عبد الكريم بن محمد الرافعي، التدوين في أخبار قزوين، تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، جـ١/ ص ٢١٣.

[6] الزرقاني، مناهل العرفان، ١٩٩٦م، جـ١/ ص ٢٢.

وكان التصحيف موجوداً عند العرب قبل الإسلام، لهذا ظهر الخطأ في الكتابة والقراءة، وكان ابن مسعود يحل الخلاف وهم يكتبون القرآن بقوله:«إذا اختلفتم في الياء والتاء فاكتبوها بالياء»[1].

وجَمَع القرآن ـ أي حفظه وأتقن تلاوته ـ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة كلُّهم من الأنصار: معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد[2]، وكان بقي على المجمع بن جارية سورة أو سورتان حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]، قالت الخزرجُ: منّا أرْبعة قرؤوا القُرآن على عَهْد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأه غيرُهم: زيدُ بن ثابت، وأبو زَيد، ومُعاذ بن جَبَل، وأبيّ بن كَعْب سيّد القُرّاء[4].

---

[1] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٢٦٦، وسنن سعيد بن منصور، ١٤١٤هـ، جـ٢/ ص ٢٥٤.

[2] اختلف في عدد من جمع القرآن حسبما وردت به الروايات: وفى البخاري عن قتادة قال سألت أنس بن مالك من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أربعة كلهم من الأنصار، أبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد ابن ثابت، وأبو زيد. قال الحافظ البيهقي في كتاب المدخل: الرواية الأولى أصح. ثم أسند عن ابن سيرين قال: جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة لا يختلف فيهم، معاذ بن جبل، وأبى بن كعب، وزيد، وأبو زيد، واختلفوا في رجلين من ثلاثة؟ أبو الدرداء، وعثمان، وقيل عثمان وتميم الداري. وعن الشعبي: جمعه ستة، أبى، وزيد، ومعاذ، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، ومجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة، (**الزركشي**، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، ت ٧٩٤هـ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، جـ١/ ص ٢٤١).

[3] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٤/ ص ٢٧٣، والغزي، الإتقان، ١٠٦١هـ، جـ١/ ص ١٦١.

[4] أنظر: الزرقاني، مناهل العرفان، ١٩٩٦م، جـ١/ ص ١٦٩، وبن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٥/ ص ١٢٩، وابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٣/ ص ٢٨٥، لقد حفظ القرآن كثير من الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان عدد القتلى منهم في بئر معونة ويوم اليمامة ١٤٠، ولا يشكل علينا الحديث السابق لأن الحصر فيه حصرا نسبياً وليس حقيقيا حتى ينفي أن يكون غير هؤلاء الأربعة قد جمعه على عهد رسول الله... الخ أنظر: الزرقاني، مناهل العرفان، ١٩٩٦م. جـ ١/ ص ١٧٠ ـ ١٧١. أنظر الزركشي، البرهان، ١٣٩١ هـ، جـ١/ ص ٢٤٢.

وفي هذه المرحلة لم يجمع القرآن في مصحف واحد، لأنَّ النسخ كان يرد على بعضه، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعضه لأدى إلى الاختلاف، فحفظه الله في الصدور إلى انقضاء زمان النسخ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدون[1].

المرحلة الثانية: في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه:

وأول من سمى القرآن مصحفاً وأول من جمعه أبو بكر الصديق[2]. لما أصيب المسلمون باليمامة خاف أن يهلك أهل القرآن[3]. قال زيد بن حارثة: (أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهم عَنْهم: أن عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: أن الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أن يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أن تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ؛ فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ. قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لا نَتَّهِمُكَ وَقَدْ كانت تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ ... فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ[4] وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، ... فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ

---

[1] الزركشي، البرهان، ١٣٩١هـ، جـ١/ ص ٢٣٥، قال ابن عباس: قلت لعثمان ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر **بسم الله الرحمن الرحيم**. قال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وتنزل عليه السور، وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتبه، فقال:"ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا". وكانت الأنفال من أوائل ما نزل من المدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنَّها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر **بسم الله الرحمن الرحيم** ثم كتبت، (الزركشي، البرهان، ١٣٩١هـ، جـ ١/ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

[2] الغزي، الإتقان، ١٠٦١هـ، جـ١/ ص ١٦١.

[3] المصدر نفسه، جـ١/ ص ١٦٠.

[4] قال الأصمعيّ: اللِخافُ: حجارة بيضٌ رقاقٌ، الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، مادة **لخف**.

أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهم عَنْهم)[١].

وبهذا جمعت نسخة المصحف بأدق توثق ومحافظة، وأودعت لدى الخليفة لتكون إماماً تواجه الأمة به ما يحدث في المستقبل[٢]. فلم يبق الأمر موكلاً إلى النسخ التي بين أيدي كتّاب الوحي، أو إلى حفظ الحفاظ وحدهم.

وقد اعتمد الصحابة كلهم وبالإجماع القطعي هذا العمل وهذا المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق، وتتابع عليه الخلفاء الراشدون كلهم والمسلمون كلهم من بعده، وسجلوها لأبي بكر الصديق منقبة فاضلة عظيمة من مناقبه وفضائله[٣].

منهج زيد بن ثابت في جمعه القرآن:

تتبع زيد جمع القرآن من العُسُب و اللّخاف وصدور الرجال، فكان منهجه أن يسمع من الرجال ثم يعرض ما سمعه على ما كان مجموعاً في العُسُب والأكتاف، فكان رضي الله عنه لا يكتفي بالسماع فقط دون الرجوع إلى الكتابة، وكذلك من منهجه في جمع القرآن أنّه لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد عليه شاهدان[٤]، وهذا زيادة

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧م، جـ ٤/ ص ١٧٢٠، والزركشي، البرهان، ١٣٩١هـ، جـ ١/ ص ٢٣٣.

[2] الغزي، الإتقان، ١٠٦١هـ، جـ١/ ص ١٦١.

[٣] الزرقاني، مناهل العرفان، ١٩٩٦م، جـ١/ ص ١٧٦)، قال علي بن أبي طالب: أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر، هو أول من جمع كتاب الله. (الغزي، الإتقان، ١٠٦١هـ. جـ ١/ ص ١٦١).

[٤] (الزرقاني، مناهل العرفان، ١٩٩٦م، جـ١/ ص ١٧٦)، ويشهد لهذا ما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر فقال من كان تلقى من رسول الله شيئا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان، ويدل عليه ما أخرجه أبو داود أيضا، ولكن من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد:"اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه" ا. هـ. وهو حديث رجاله ثقات، وإن كان منقطعا قال ابن حجر المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة، وقال السخاوي في جمال القراء ما يفيد أن المراد بهما رجلان عدلان، إذ يقول ما نصه المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله، ولم يعتمد زيد على الحفظ وحده ولذلك قال في الحديث الذي رواه البخاري سابقا، أنّه لم يجد آخر سورة براءة إلا مع أبي خزيمة -أي لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي خزيمة الأنصاري - مع أن زيدا كان يحفظها، وكان كثيرا من الصحابة يحفظونها، ولكنه أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة زيادة في التوثق ومبالغة في الاحتياط.

في التحفظ، مع أن زيداً كان من حفظة القرآن[1]. وبهذا التثبت والتحفظ تم جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق في مصحف واحد مرتب الآيات والسور.

فقد كان القرآن في العسب[2] والرقاع، فأمر أبو بكر الناس فجمعوا ما كان عندهم، فأمر به فكتب في الورق، وقالوا أول من جمع القرآن عمر، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد له شاهدان، فمات عمر قبل أن يجمع[3]، وأول من شرع في جمع القرآن لما قبض رسول علي بن أبي طالب، فلما بايع الناس أبا بكر جلس علي يجمع القرآن، وكتبه في الخزف وأكتاف الإبل وفي الرق[4].

---

[1] الغزي، الإتقان، ١٠٦١هـ، جـ١/ ص ١٦٢ ـ ١٦٤.

[2] والعسيب من النخل: جريدة مستقيمة دقيقة يكشط خوصها، الفراهيدي، العين، ٢٠٠٣م، مادة عسب.

[3] روي أن عمر سأل عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان قتل يوم اليمامة فقال إنا لله وأمر بجمع القرآن فكان أول من جمعه في المصحف إسناده منقطع والمراد بقوله فكان أول من جمعه أي أشار بجمعه. الغزي، الإتقان، ١٠٦١هـ، جـ١/ ص ١٦٢ حديث رقم: ٧٥٣. وحكم على إسناده بالانقطاع، وقال: المراد بقوله أول من جمعه أي أشار بجمعه. وأما الرواية المذكورة في المتن فهي لا تدل على أن عمر أول من جمعه ونصها كمال يلي: روي أن عمر قدم فقال من كان تلقى من رسول الله شيئا من القرآن فليأت به وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان. وهذا يدل على أن زيدا كان لا يكتفي لمجرد وجدانه مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سماعا مع كون زيد كان يحفظ فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط ويدل على ذلك ما جاء في الرواية الأخرى: روي أن أبا بكر قال لعمر ولزيد اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه. وقال السيوطي: رجاله ثقات مع انقطاعه.

[4] (بو هلال العسكري، الأوائل، ٢٠٠٣م، ص ٢٠٠)، وقال الغزي:"ولم يذكر فيها أنَّه كتبه في الخزف وأكتاف الإبل وفي الرق الغزي"، (الزرقاني، الأتقان، ١٠٦١هـ، جـ١/ ص ١٦١). وقال: قال ابن حجر: هذا الأثر ضعيف لانقطاعه، وبتقدير صحته فمراده بجمعه حفظه في صدره. عن عكرمة قال: لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته، فقيل لأبي بكر قد كره بيعتك فأرسل إليه، فقال أكرهت بيعتي. قال: لا والله. قال: ما أقعدك عني. قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه، فحدثت نفسي ألا ألبس ردائي - إلا لصلاة - حتى أجمعه. قال له أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت. لا يعرف لأحد قبل أبي بكر جمع القرآن على هذه الصورة من الدقة والتحري، وذلك لا ينافي أن الصحابة كانت لهم صحف أو مصاحف كتبوا فيها القرآن من قبل، لكنها لم تظفر بما ظفرت به الصحف المجموعة على عهد أبي بكر من دقة البحث والتحري والاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته ومن بلوغها حد التواتر ومن إجماع الأمة عليها ومن شمولها للأحرف السبعة، وإذن لا يضيرنا أن يقال أن عليا أول من جمع القرآن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي وغيرها مصاحف فردية ليست لها تلك الثقة ولا هذه المزايا، وإذا سبقت في الوجود وتقدم بها الزمان فإن جمع أبي بكر هو الأول من نوعه، وقد اعترف علي بن أبي طالب نفسه بهذه الحقيقة، (الزرقاني، مناهل العرفان، ١٩٩٦م، جـ١/ ص ١٧٧ ـ ١٧٨).

المرحلة الثالثة: في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وكان السبب الذي دفع عثمان بن عفان لجمع القرآن وهو اختلاف الناس في وجوه قراءة القرآن، حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فقالوا: حرف عبد الله وحرف أبي موسى، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخُشي من تفاقم الأمر في ذلك، فاستشار الصحابة فأشاروا عليه بجمع الناس على مصحف واحد، فجمع ما كان بأيدي الناس من المصاحف واحرقها أو قالوا غسلها، وأمر سعد بن العاص، وكان أفصح الناس فأملى على زيد بن ثابت فكتب مصاحف وفرقها في البلدان[1]، فنسخت تلك الصحف في مصحف واحد مرتب السور، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن حُذيفة بن اليمان قدم علَى عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى[2]، فأرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف[3].

وقال عثمان لعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب: "إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم"، فنسخوا الصحف في مصحف واحد وردوه الى عثمان لنظر فيه، حتى اذا قبل ما كتبوه، ارسل الى كل ولاية وجند بنسخة منه وأمرهم ان يحرقوا ما كان عندهم من الصحف والمصاحف القديمة[4].

---

1 أبو هلال العسكري، الأوائل، ٢٠٠٣م، ص ٢٠٠.
2 النسائي، فضائل القرآن، ١٩٩٢م، جـ١/ ص ٦٧.
3 البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧م، جـ ٤/ ص ١٩٠٨.
4 المصدر نفسه، ١٩٨٧م، جـ ٤/ ص ١٩٠٦.

ومن القراءات التي كانت موجودة قبل الجمع على نسخة واحدة، قراءة أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وكان لعبد الله قول في المعوذتين، ولأبي قول في سورتي الخلع والحفد، وتعلق السنة الناس بحروف من الخلاف، ورواية بعض الرجال للحرف الشاذ من قول العرب، وقراءتهم على حروف لا يعرفه العرب مقارنة بما هو مشهور فيما بينهم، فكانوا يختلفون بالكلمة والكلمتين، حتى جمع القرآن على حرف واحد[1].

وعند جمع القرآن جمع على قراءة زيد، وقد كان قبله على قراءات مختلفة، وقد جمع على مشهد من العلماء، وتم الاتفاق عليه بالإجماع، وروعي فيه علامات النبيّ صلى الله عليه وسلم ودلائل آياته، ومنعوه الزيادة أو النقصان، وهؤلاء الجماعة كانوا من أهل الثقة مما لا يشكك في خبره أو علمه[2].

وكان لجمع القرآن على قراءة زيد سبب وهو أن قراءته كانت آخر العرض، لأنَّ الذين سمعوا آخر العرض على النبي صلى الله عليه وسلم مما كان يعرض عليه من القرآن أكثر ممن سمع أوله، وان كان الكل على حق، لكن رجح رأي الجماعة، ولعل ذلك بسبب وفاة عدد كبير من الصحابة السابقين في معركة اليمامة[3].

ولم يجمع القرآن فرد لوحده بل اشترك في جمعه عدد من كتاب الوحي وعلماء في اللغة ومستشارين، وكان عبد الله بن مسعود مستشارا تعرض عليه المصاحف[4]. ولما شَقَّ عثمان المصاحف، بلغ ذلك عبدَ الله فقال: لقد علم أصحاب محمد أني أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم، ولو أني أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تُبَلِّغُنِيه

---

[1] **الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م، جـ٣/ ص ٢٢٩.

[2] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٢٢٦.

[3] **النووي**، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، ت ٦٧٦هـ، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، جـ ٦/ ص ١٠٠، ورسائل الجاحظ، ١٩٧٩م، جـ٣/ ص ٢٣٠.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٧/ ص ٣٠٤.

الإبلُ لأتَيْتُه فقال أبو وائل: فقمت إلى الخلق أسمع ما يقولون، فما سمعتُ أحداً من أصحاب محمد ينكر ذلك عليه[1].

والذين كتبوا المصحف لعثمان بن عفان، عَبْدُ الرحمن بنُ الحَارثِ بن هِشَامِ بن المُغِيرَةِ وهو ممن أمَرَه عثمان أن يَكْتُب المصاحف مع زيدِ بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير[2].

ولم تتوقف كتابة الصحف واستمرت في عهد علي، وكان أبو حكيمة واحدا من كتاب القرآن، (قال أبو حَكِيمة: كانت أكتب المصاحف، فمر بي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقال: أجلل قلمك. فقصمتُ من قلمي قُصمة. فقال: هكذا، نوره كما نَوره الله)[3].

اختلف العلماء في من شكل المصحف، فمنهم من قال: أبو الأسود الدؤلي الذي ينسب إليه وضع ضوابط اللغة العربية بأمر من سيدنا علي بن أبي طالب. يروي أنَّه سمع قارئاً يجر اللام من رسوله في قوله تعالى: {أنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} [التوبة: ٣]، فعطف محمدا على المشركين، ففزع لهذا اللحن وقال: عز الله وجل أن يبرأ من رسوله، فعندئذ قام بوضع ضوابط التشكيل حفاظاً عليه من اللحن[4]، وقال البعض أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من وضع الضبط[5].

---

[1] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٢٨٤.
[2] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٣٢٧، وجـ٢/ ص ٢٥٨.
[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٤/ ص ٢٧٨.
[4] **القرطبي**، محمد بن أحمد بن أبي بكر، ت ٦٧١هـ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ، جـ ١/ ص ٥٩.
[5] نفس المصدر، جـ١/ ص ٢٤.

الفصل الرابع: الدراسة والتدريس.

تناول المؤرخون معنى الجاهلية عند العرب قبل الإسلام، وقد استدل بعضهم على أنّها ضد العلّم وأنهم كانوا لا يقرأون ولا يكتبون، بينما أستخدم العرب قبل الإسلام هذه اللفظة للدلالة على الطيش وسرعة الغضب[1]. وعدها العرب مفخرا عند الدفاع عن العرض، كما قال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يَجهَلن أحَدٌ علَينا فنَجهلَ فوقَ جَهلِ الجاهِلينا[2]

ويرجح أن الأمية إنما أطلقت على عرب نجد والحجاز لأنهم بدون كتاب يرجعون إليه، ولم تطلق على كل العرب، فقد كان للعرب النصارى ولليهود كتاب يرجعون إليه ويجعلونه إماما لهم يرجعون إليه، ولم يكن لعرب وسط الجزيرة مثل هذا المرجع[3]، كما أن نسبة الكتبة عند العرب أو الأمم المجاورة لم يحدد، فتبقى النسبة الى المجتمع غير معروفة بدقة للتأكد أن لفظة جاهلية تعني عدم القدرة على الكتابة والقراءة[4].

طلب العلّم (وسائله وأساليبه):

أهتم العرب قبل الإسلام بطلب العلّم ودراسته، ولذلك ظهر من العرب من أبدع في هذا المجال حتى أتقنه، ثم علّمه لمن حوله من أبناء قومه ومن غيرهم، وكان بعض الرجل يطلب العلّم من أفواه الرجال وكل مجال، فإذا لم يجد ضالته رحل في طلبها بين القبائل، فإذا لم يجد مبتغاه رحل إلى البلاد المجاورة.

الرحلة في طلب العلّم:

---

[1] علي، المفصل، ١٩٧١م، جـ ٨/ ص ٩٢.
[2] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢٠٠٣م، ص ١٣٦٧.
[3] علي، المفصل، ١٩٧١م، جـ ٨/ ص ٩٤ ص -٩٥.
[4] **الأسد**، ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، د، ت، ص ٥٩.

كان أمية بن أبي الصلت[1] قد دارَسَ النَّصارى وقرأ معهم، ودارسَ اليهودَ وتعلَّم منهم، ثم لم يترك كتابا حتى قرأه، وهو في كل ذلك يطلب العلْم والمعرفة، ثم طاف البلاد فلم يترك ديرا ولا صومعة إلا وقصدها ولا علْما إلا درسه، في كل ذلك يطلب لنفسه النبوة[2].

وذكر لنا التاريخ بعض الرجال تعلّموا ودرسوا أنواع الكتب المختلفة التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، فكان ورقة بنَ نوفلٍ من الذين طلبوا العلْم في الجاهليّة، وكان قد قرأ الكتب وتبحَّر في التَّوراة والإنجيل، وكان يعمل على جمع الكتب ودراستها ويطلب العلْم من كل مصادره، ورغب عن عبادة الأصنام وزعم البعض أنَّه تنصر وهو أمر فيه شك، كونه كان على مذهب معروف عند العرب ويعرف بـ(الحنيفية)[3].

ومن العرب من كان يطلب أنواع العلْم فكان ضِمَاد بن ثَعْلبة الأزْدِي، من أزد شَنُوءَة، كان صديقاً للنبي في الجاهلية وكان رجلاً يتطبب، ويَرْقِي، ويطلب العلْم، ويعالج من الريح، وكان تعلّم أقوال الكهنة، والسحرة، والشعراء، لكنه أعجب بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وبين أنَّه لم يعرف مثله وقد بلغ نَاعُوسَ البحر، ويقصد أنَّه طاف البر حتى وصل إلى وسط البحر، كل هذا يطلب العلْم [4].

---

[1] أمية بن أبي الصلت، أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي. ؟ - ٥ هـ/؟ ٦٢٦ م، شاعر جاهلي، حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام. وعاد إلى الطائف فسأل عن خبر محمد صلى الله عليه وسلم، وقدم مكة وسمع منه آيات من القرآن وسألته قريش رأيه فقال: أشهد أنَّه على الحق. قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره. ثم خرج إلى الشام وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة وحدثت وقعة بدر وعاد أمية يريد الإسلام، فعلّم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خالٍ له فامتنع وأقام في الطائف إلى أن مات. أخباره كثيرة وشعره من الطبقة الأولى، إلا أن علّماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب. وهو أول من جعل في مطالع الكتب باسمك اللهّم، فكتبتها قريش.

[2] ابن دريد، الاشتقاق، ٢٠٠٣م، ص ٥٣٩، والأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٤/ ص ١٢٩، والجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ٢/ ص ٣٢٠.

[3] ابن دريد، الاشتقاق، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٠، والأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ٣/ ص ١١٣، والمسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٧٣ ص.

[4] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٢/ ص ٤٥٠، وعلي، المفصل، ١٩٧١م، جـ ٨/ ص ٣٨٧.

الكتب، وكان عنده كتاب يتوارثونه كابرا عن كابر يحوي علوم الأول وعلوم من دينهم[1]، أو كان العربي ينزل بمعابد وأديرة أصحاب الفكر يتفقه منهم عن الكون والحياة، فكان الأعشى قدرياً كثيرا ما يفد على العباديين نصارى الحيرة فلقنوه مذهبه ويظهر هذا في قوله:

اِستَأثَرَ اللهُ بِالوَفاءِ وَبِالـ ـعَدلِ وَوَلّى المَلامَةَ الرَجُلا

بينما كان لبيد مثبتاً مجبراً. قال لبيد:

مَن هَداهُ سُبُلَ الخَيرِ اِهتَدى ناعِمَ البالِ وَمَن شاءَ أَضَلّ[2]

أما الزندقة فكانت مذهبا من مذاهب قريش المتعلّمة، فقد كان بعض قريش قد خرج إلى من جاوره من العرب فتعلّم منه، وكانت الحيرة أحد مراكز التعلّم، فتزندق كل من أبي سفيان، وعقبة بن أبي معيط، وأبي بن خلف، والنضر بن الحارثة، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج السهميان، والعاص بن وائل السهمي، والوليد بن المغيرة، تعلّموها من سكان الحيرة[3].

وكان زيد بن عمرو بن نفيل قد طاف البلاد المجاورة لجزيرة العرب ليتعلّم الدين، فوصل إلى الجزيرة الفراتية ليدين دين إبراهيم، ثم رجع إلى مكة، وعاد ليتعلّم في الشام، لكن النصارى قتلته[4]، وكان تبع بن حسان قد تعلّم اليهودية في يثرب وحملها معه إلى اليمن[5].

وممن ترك عبادة الأصنام من قريش:

١- عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى.

٢- ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى.

٣- زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى.

---

1 ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٩٤م، جـ١/ ص ١٠٣.

2 الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٩/ ص ١٣٢وجـ ١٢/ ص ٥.

3 ابن حبيب، المحبر، دار الأفق الجديدة، ١٦١، وابن قتيبة، المعارف، ١٩٨٧م، ص ٣٣٩، وابن حبيب، المنمق، ١٩٨٥م، ص ٣٦٦.

4 ابن قتيبة، المعارف،١٩٨٧م، ص ١٤٢.

5 المصدر نفسه، ص ٣٥٠.

٤- عبيد الله بن جحش بن رئاب.

تفرقوا في البلدان يطلبون الحنيفية، فتنصر ورقة بن نوفل وتعلّم الكتب. وكان زيد أول من عاب عبادة الأوثان، ثم خرج يلتمس دين إبراهيم، فجال بلاد الشام حتى أتى البلقاء، وكان في الشام ديانتي اليهود والنصارى فلم يرض دينهم، واعتزل الأوثان والميتُ والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان، ونهى عن قتل الموؤدة. أما عبيد الله بن جحش فإنه أسلم وهاجر إلى الحبشة ثم تنصر بها ومات على النصرانية[1].

وكان سفيان بن مجاشع الدارمي قد خرج للشام فنزل براهب، فعلّمه من الكتب الدينية التي بين يديه معلومات حول النبيّ الذي سيخرج في الحجاز، وبهذا يتضح أن التعلّم كان متاحا لأهل نجد والحجاز دون كبير عناء[2].

ومن العرب الذين خرجوا في طلب العلّم عداس مولى عتبة بن ربيعة، وكان من أهل نينوى، لقي الرسول صلى الله عليه وسلم بالطائف حين خرج يدعوهم إلى الإسلام. ومنهم أبو قيس صرمة بن أبي أنس، وكان من الأنصار من بني النجار، وكان ترهب ولبس المسوح، واتخذ مسجدا لا يدخله جنب أو طامث، وقال اعبد رب إبراهيم، فلما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة اسلم. ومنهم أبو عامر الأوسي وكان ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، ولما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم جرى بينهما سجال خرج على إثره مع خمسين من غلمانه إلى الشام وتنصر، ومات هناك، وهو أبو حنظلة الغسيل. ومنهم عبد الله بن جحش الأسدي وكان قد قرأ الكتب ومال إلى النصرانية[3].

وذكر أن مسيلمة طاف قبلَ التنبّي، في الأسواق التي كانت تنتشر بين العرب وطاف حتى أسواق العجم، حيث كانوا يلتقون فيها للتسوُّق، مثل سُوق الأبُلّة - قرب البصرة-، وسوق لقة، وسوق الأنبار، وسوق الحِيرة. وكان خلال ذلك يتعلّم أحوال

---

1 ابن حبيب، المنمق، ١٩٨٥م، ص ١٥٢.

2 أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ١٩٨٣م، ص ١٥.

3 المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٧٤.

الكهانة والنبوة ويلتمس تعلّم الحِيَل والنِّيرَجَات[1]، واختيارات النُّجوم والمتنبئين، وقد كان أحكَمَ حِيَلِ السّدَنَةِ والحُوَّاءِ[2] وأصحابِ الزَّجْر والخطّ ومذهبَ الكاهن والعَيَّاف - زاجر الطير - والسَّاحر، وصاحبِ الجنّ الذي يزعم أن معه تَابِعَهُ، فلما ادَّعى النبوة كان قد أحكم من ذلك الأمر الكثير[3].

ولم يكن العربي الذكي يسمع بعلْم في منطقة ما إلا خرج يطلبه أو يتعرف عليه، فأن أعجبه اخذ منه وإلا تركه، ولم يكن للعقيدة أو المبدأ دور يحول دون البحث عن العلْم، فكان أبو كعب بن عدي أسْقفَّ الحيرة، لكن عندما بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم بعث ولده ونفرا ليسمعوا قوله خوفا أن يموت فيتمنوا لو أنهم سمعوا منه، فاختاروا أربعة فبعثوهم، فكانوا يجلسون إليه إذا صلى الصبح، فيسمعون منه[4].

أنواع العلوم التي عرفها العرب قبل الإسلام:

١ - العلوم الدينية:

وكانت ديانة الصابئة معروفة عند العرب، وكانوا يتدارسونها ولديهم معرفة بها، وكانت أقرب ما تكون إلى الحنيفية، وكانوا يوحدون الله، وأغلب الظن أنهم من أتباع إدريس، وكان عامر بن الطفيل قد توفي بعد مقدمه النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأوفد بنو عامر لبيدا، فأسلم فقال سراقة بن الاحوص[5]:

وجئت بدين الصابئين تشوبـــــه　　　بألواح نجد بعد عهدك من عهد

---

[1] والنِّيرَج: أَخَذ يشبه السِّحْر، وليس بحقيقته. ابن سيده، المحكم، ٢٠٠٣م، مادة **نرج**.
[2] ورجل حَوَّاءٌ وحاوٍ: يجمع الحَيَّات، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **حوا**.
[3] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ ٤/ ص ٣٦٩-٣٧٤.
[4] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٤/ص ١٧٢.
[5] سُراقة البارقي، سراقة بن مرداس بن أسماء بن خالد البارقي الأزدي. ؟ - ٧٩ هـ/؟- ٦٩٨ م، شاعر عراقي، يمانيّ الأصل. كان ممن قاتل المختار الثقفي (سنة ٦٦ هـ) بالكوفة، وله شعر في هجائه. وأسره أصحاب المختار، وحملوه إليه، فأمر بإطلاقه في خبر طويل فذهب إلى مصعب بن الزبير، بالبصرة، ومنها إلى دمشق. ثم عاد إلى العراق مع بشر بن مروان والي الكوفة، بعد مقتل المختار. ولما ولي الحجاج بن يوسف العراق هجاه سراقة، فطلبه، ففر إلى الشام، وتوفي بها. كان ظريفاً، حسن الإنشاد، حلو الحديث، يقربه الأمراء ويحبونه. وكانت بينه وبين جرير مهاجاة.

وإن لنا داراً - زعمت - ومرجعاً   وثم إياب القارظين وذي البـرد[1]

كما كانت تحصل مناظرات بين النصارى واليهود، فقدم وفد نصارى نجران الى يهود خيبر وفيهم (الأسقف، والعاقب وأبو جيش، والسيد، وقيس، وعبد المسيح، وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام. وقال شهر بن حوشب في حديثه: وهم أربعون حبراً حتى وقفوا على اليهود في بيت المدراس) فناظروهم وحاجوهم[2].

كما كانت اليهود تتدارس الكتب فيما بينها في بيت المدراس، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أحيانا يدخل عليهم فيجادلهم في دينهم وحججه[3]. وكان نصارى نجران قد تقدموا في العلوم الدينية، فأنشأوا مدارس لهم يتعلّمون بها، وكان أبو الحارث بن علقمة أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم، وكان قد درس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم. وبعد أن علمت الكنيسة البيزنطية مدى علمه زودته بالأموال وشرفوه وبنوا له الكنائس[4].

ومن العرب الذين قرأوا الكتب السماوية وآمنوا بالبعث والحساب وكان له فكر ودور في نشر الأفكار قبل الإسلام خالد بن سنان، ورئاب الشني، وبحيرا الراهب، وكان قد قرأ الكتب وسكن ديرا، وقس بن ساعدة الايادي، وكان له خطب وأشعار مشهورة، وإذا تحدث في عكاظ اجتمع الناس حوله فخطب بهم الخطب الطوال، وكان العرب يحفظون خطبه وأشعاره ويتحدثون بها في مجالسهم[5].

وكان زيد بن عمرو بن نفيل يسكن كهفا بحراء يتعبد فيه، وكذلك كان الأحناف يفعلون[6]. فلما آذاه قومه خرج إلى الشام يبحث عن الدين فسمته النصارى بسبب آرائه. أما أمية بن الصلت فكان قد خرج إلى الشام والعراق، فتعرف على الديانات المختلفة من اليهودية والنصرانية ودين الصابئة وغيرها من الأديان، وكان يقرأ

---

1 الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، ١٧/ ص ٦٥.
2 المصدر نفسه، ١٢جـ / ص ٨.
3 ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩٢م، جـ٢/ ص ١٤٨.
4 المصدر نفسه، جـ٢/ ص ١٦٣، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٩٤م، جـ١/ ص ١١١.
5 المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٦٩ و ٧٥.
6 ابن حبيب، المنمق، ١٩٨٥م، ص ٢٣٩.

الكتب، وكانت له أشعار معروفة تظهر آرائه، وكان العرب قد حفظوها وتداولوها فيما بينهم، فكانت أشبه ما تكون بتعليم غير مباشر لفكر الشعوب المجاورة[1].

٢- علوم الشعر:

ومن أهم العلوم التي كان العرب يعلّمونها أولادهم الشعر، ويعود ذلك لعدة أسباب، فكان فيه الحكمة والعبرة، والتاريخ والأيام، وفيه مقاييسهم للمجد والخيلاء والفخر والمكانة، ويعلّم اللغة العربية الفصحى، واستمر هذا الأمر بعد الإسلام، قالت عائشة: (روُّوا أولادكم الشعرَ تعذُب ألسنتهم). ثم استمر عند المسلمين يروون أولادهم الشعر ويمتحنونهم فيه، فكان زياد قد بعث بولده إلى معاوية، (فكاشفه عن فنون من العلْم، فوجده عالماً بكل ما سأله عنه. ثم استنشده الشعر، فقال: لم أرْوِ منه شيئاً. فكتب معاويةُ إلى زياد: ما منَعك أن تُرَوِّيه الشعر؟ فوالله أن كان العاقّ ليَرْويه فيبرّ، وإن كان البخيل ليَرْويه فيسخُو، وإن كان الجبان ليَرْويه فيقاتل). وقال عبدُ الملك بن مروان لمؤدِّب ولده: (روِّهم الشِّعر يَمْجدوا وينْجدوا)[2].

كما كان العرب يجلسون في الأندية يتناشدون الشعر وأخبارهم وأيامهم، وأهم ما جرى في سالف زمانهم، (وقيل لبعض الصحابة رضي الله عنهم: ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم؟ فقال: نتناشد الشعر بأخبار جاهليتنا)[3].

وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يجلسون يتناشدون الشعر وأيام العرب ورسول صلى الله عليه وسلم جالسا بينهم، فكان لا يخوض معهم في حديثهم ويكتفي أن يسمع ويتبسم، (عن جابر بن سمرة قال: جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مئة مرة، وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، وربما يتبسم معه)[4].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٧٠.
[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٥/ ص ١٢٤.
[3] النويري، نهاية الأرب، ٢٠٠٣م، ص ٨٧٧٨.
[4] **القنوجي**، صديق بن حسن، ت ١٣٠٧هـ، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، جـ١/ ص ٣٢٩.

٣- اللغات الأجنبية:

وظهرت عند العرب مجموعة من اللغات غير العربية، فقد احاط بالعرب عدة شعوب تكلموا بعدة لغات غير العربية، ومنها اللغة الحميرية، والسريانية، والحبشية، والفارسية، والعبرية، واللاتينية، والقبطية.

وكان عدي بن زيد بن حماد شاعرا خطيبا، وكان قد قرأ كتب العرب والفرس[١]، وفاطمة بنت مر وهي امرأة من أهل تبالة[٢]، كانت قد قرأت الكتب العربية وغير العربية وتعلّمت منها، فعمدت إلى الكهانة تارة والتهود تارة تتكسب من علّمها بعلوم الماضين وما غاب عن العامة[٣]، والظاهر أن تعلّم الكتب كان مسموحا للجنسين، وربما اجتمعوا في مجلس واحد، أو يتم التعلّم من الأب إلى أولاده[٤].

وكان كسرى يطلب المترجمين من العرب للترجمة بين اللغة العربية والفارسية، وكان لهم مكان خاص يتولون به أعمال الترجمة، فكان عدي بن زيد وأخوان له من هؤلاء المترجمين[٥]، وكذلك كان لدى قيصر مترجمين عرب، ودليل ذلك أن امرأ القيس مدح قيصر، فقام الطماح الأسدي بترجمة الشعر بشكل مغلوط، مما هيج قيصر على امرئ القيس، وكان الطماح مترجم قيصر من العربية[٦].

وقد بلغ رجال من العرب مبلغا من العلّم أهلهم الوصول إلى بلاط الحكام الأجانب، فكان حماد - جد عدي بن زيد- قد خرج اكتب بني أيوب، وطّلب حتى صار كاتب النعمان[٧]، ثم ولد زيدا فتعلّم العربية، ثم حوله إلى دهقان[٨] فعلّمه الفارسية،

---

1 تاريخ الطبري، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٤٧٣.
2 بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن، (**ياقوت الحموي**، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت ٦٢٦هـ، معجم البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، مادة **تبالة**).
3 تاريخ الطبري، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٥٠١.
4 ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٩٤م، جـ١/ ص ٦٣-٦٤.
5 اليعقوبي، تاريخ، ١٩٩٥م، جـ١/ ص ٢١٢.
6 المصدر نفسه، جـ١/ ص ٢٢٠.
7 الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ٢/ ص ٩٢.
8 التاجر الكّيس، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **دهقن**.

فجعله كسرى على البريد الوارد من العرب، ثم قربه حتى صار مستشارا له بعد أن علِّم فطنته ومعرفته بالعربية الفصحى والشعر[1].

وكان ثعلبة بن جشم بن غنم ترجمانا للفرس في معركة ذي قار، وكان قد ترجم المفاوضات بينهم وبين العرب، فنصح العرب فلم يطيعوه فتمثل ببيت دريد بن الصمة:

أمرتهُمُ أمري بمُنقطع اللّوى   فلم يستبينوا النُّصحَ إلاّ ضُحى الغدِ[2]

وكان زيد بن ثابت سريع التعلّم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أتخذه كاتبا فكان اليهود إذا راسلوه لم يجد من يقرأ له إلا يهودي، فشك في أمانتهم إذا رد على كتبهم، فأمر زيد فتعلّم لغة اليهود خلال نصف شهر، فكان يقرأ كتبهم، ويرد عليهم جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

إضافة إلى اللغات الأجنبية ظهر علم بعد الإسلام يختص باللهجات المحلية عند العرب والتي سماها العرب - لغات - لهذا ظهر للقرآن قراءات مختلفة، والظاهر أن وسط الجزيرة العربية امتاز بسبع أو عشر لهجات أساسية، وكان لكل منطقة حروف وكلمات متباينة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلّم الصحابة القرآن على حروف مختلفة، كلا حسب مسكنه ولغته الأقرب له[4].

المدرسون من العرب:

ومن المعلّمين المشهورين من الجاهلية، بشر بن عبد الملك السكوني، وسفيان بن أمية بن عبد شمس، وأبو قيس ابن عبد مناف بن زهرة، وغيلان بن سلمة بن معتب الثقفي، وهو مخضرم[5]، وكان أبو الحجاج بن يوسف الثقفي معلّما في الطائف[6].

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ٢/ ص ٩٢-٩٣.
[2] الكلبي، جمهرة النسب، ١٩٨٦م، ص ٥٦٢.
[3] البلاذري، فتوح البلدان، ١٩٨٣م، ص ٤٥٦.
[4] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٤/ ص ٦٠١.
[5] ابن حبيب، المحبر، دار الأفق الجديدة، ص ٤٧٥.
[6] ابن دريد الاشتقاق، ٢٠٠٣م، ص ٥٤٤، ودروزة، تاريخ الجنس العربي، ١٩٦١م، جـ ٥/ ص ٢٠٠.

ومن العرب من استطاع العمل في دولة البيزنطية معلّما، فعندما وفد عثمان بن الحويرث على قيصر أخرجه وأبعده، فبحث عن شخص يساعده حتى وجد معلّما يدرس طلابا، فسمعه يتمثل بأبيات شعر عربية فعلّم أنّه عربي، فتدل الرواية على وجود معلّمين عرب درّسوا خارج بلادهم، ليس العربية فحسب، بل وحتى بلغات غير العربية[١].

وكان فداء أسرى بدر ممن لم يجد مالا أن يعلّم عشرة غلمان من المسلمين القراءة والكتابة[٢]، (وكانوا يروون صبيانهم الارجاز ويعلّمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب لأنّ ذلك يفتق اللهات ويفتح الجرم واللسان)[٣].

وكان سعد بن أبي وقاص قد أحضر رجلا من العباد يدعى جُفَيْنَة ليُعلّم الكتابَ بالمدينة[٤]، وقد انتشرت الكتاتيب في المدينة فقد تهاجى حسان بن ثابت مع النجاشي الشاعر فكتب هجاءه في قراطيس وألقاها لصبية الكتاتيب، حتى يتندروا به، فكانت عدة كتاتيب منتشرة في المدينة[٥].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث مصعب بن عمير إلى المدينة يعلّمهم القرآن ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ[٦]. وعندما وفد عبيدة بن سعيد ابن العاص إلى المدينة طلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلّم الحكمة، فبقي كذلك حتى قتل في مؤتة[٧].

---

1 ابن حبيب، المنمق، ١٩٨٥م، ص ١٥٥.
2 **ابن سلام**، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت ٢٢٤هـ، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار أحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٩٨٧م، ص ٥٥.
3 الجاحظ، البيان والتبيين، بيروت، جـ ١٨/ ص ١٥٣.
4 ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٤٢٣.
5 علي، المفصل، ١٩٧١م، جـ ٨/ ص ٢٩٣.
6 تاريخ الطبري، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٥٥٩.
7 الكلبي، جمهرة النسب، ١٩٨٦م، ص ٤٤.

وكان العرب يرحلون في طلب المعلّمين إذا استطاعوا ذلك، وكان وفد من عضَل والقارَة[1] قد قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أُحُدٍ، وطلبوا منه أن يرسل معهم من يعلّمهم الدين، فأرسل خُبيْبَ بن عدِيّ وزيد بن الدَّثِنة ليعلّموهم[2].

الكتب قبل الإسلام:

وكان عدي بن زيد شاعرا، وإضافة إلى ذلك قرأ الكثير من الكتب[3]. وكان قيس بن نشبة قد قرأ الكتب[4]، وكان في حمير رجل يقال له "ذو رعين" قد قرأ الكتب السالفة[5].

ومن اشهر الكتب التي كانت منتشرة عند العرب قبل الإسلام الكتب الدينية، مثل التوراة والإنجيل، وكان أمية بن أبي الصلت قد تعلّم من هذه الكتب، وكان يستخدمها في أشعاره وأقواله، و(كان يحكي في شعره قصص الأنبياء، ويأتي بألفاظ كثيرةٍ لا تعرفها العرب، يأخذها من الكتب المتقدمة، وبأحاديث من أحاديث أهل الكتاب)[6]، وقد أنتشرت الكتب بين أيدي المسلمين بعد الفتح، حتى أن عمر طلب من الناس أحضار الكتب لنظر أمره فيها[7].

التعلم بعد الإسلام:

وكان العرب يتحققون من مدى نجاحهم في ما حققوه من علم عن طريق المناظرة، قد أدى ظهور الإسلام إلى تزويد العرب بعلّم فاق قدرات العرب، حتى

---

1 والقارة هم عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة وإنما سُموا قارة لاجتماعهم والتفافهم. أبو عبيد بن سلام، القاسم بن سلام، ت ٢٢٤هـ، الأمثال، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١٨٣.

2 ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٢/ ص ١٤٧.

3 ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١٩٩٤م، ص ٢٢٤.

4 ابن حبيب، المنمق، ١٩٨٥م، ص ١٧٩.

5 **أبو العلاء المعري**، أحمد بن عبد الله بن سليمان، ت ٤٤٩هـ، رسالة الصاهل والشاحج، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٢٦٩.

6 ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١٩٩٤م، ص ٥٠٤.

7 علي، المفصل، ١٩٧١م، جـ ٨/ ص ٣٢٦.

بلغت المدينة مبلغا كبيرا من العلّم عجزت القبائل أن تأتي مثله، فلما وفد الأقرع بن حابس على الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه جماعةً من قومه، نادوه وهو في حجراته للمناظرة، فألقى شاعرهم وخطيبهم، ثم خرج حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم وخطيبه ثابت بن قيس ين شماس والقيا بدورهما، فلما سمع ذلك قال: (والله أن هذا الرجل لمؤتّى له! والله لشاعره أشعر من شاعرنا، ولخطيبه أخطب من خطيبنا، ولأصواتهم أرفع من أصواتنا)، ثم أسلموا، وأقاموا يتعلّمون القرآن، ويتفقهون في الدّين[1].

وكانت قراءة القرآن أهم العلوم المدرسة في المدينة صدر الإسلام، وكانت هذه الدراسة تشمل الكبار والصغار، الأفراد والجماعات، العبيد والأحرار، العرب والعجم، فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يُقرىءُ غلاماً أعجمياً لبني المغيرة يقال له: يعيش[2]، كذلك التدريس لم يكن مقصورا على العرب أو المسلمين، فكان بنو قريظة والنضير قد اهتموا بدراسة القرآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يخرج من الكَاهِنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد يكون بعده»[3].

ورغم أن الإسلام طلب من المسلمين تجويد القرآن، لكنه لم يقبل أن يقرأه الرجال للطرب بل للعلّم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بادروا بالموت ستاً:.... ونَشَئَ يتخذون القرآن مزامير، يقدمونه يغنيهم وإن كان أقلَّ منهم فِقهاً»[4].

كما كان بعض الوافدين يتعلّمون داخل المدينة، فعندما وفد سلمة الجرمي ونفر من قومه أسلموا، وتعلّموا القرآن[5]، وكان عبادة يعلّم أهل الصُفّة القرآن[6]. وكان وفد الأقرع بن حابس قد أمضى بالمدينة مدّة يتعلّمون القرآن والدين[1].

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٤/ ص ١٥٧.
[2] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٤/ ص ٧٢٤.
[3] **أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله الشيباني، ت ٢٤١هـ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، د، تحقيق جـ ٦/ ص ١١، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٥/ ص ٢٩.
[4] مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، جـ٣/ ص ٤٩٤، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٤١٥.
[5] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٢/ ص ٣٠٠.
[6] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٥٥.

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص، قد كتب الكثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يعلّمه أبوه إلا عندما بلغ اثنتي عشرة سنة، كان عالماً، قرأ الكتب، واستأذن رسول في كتابة الحديث فأذن له، وقال أبو هريرة: (ما كان أحفظ مني لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يعي بقلبه وأعي بقلبي، وكان يكتب وأنا لا أكتب)[2].

وكانت النساء تحظى بنفس الفرصة لتعلّم الشعر مثلها مثل الرجال، وكانت عائشة من أكثر النساء علّما بقريض ورواية للشعر، وكانت تتمثل بشعر لبيد:

قَضِّ اللُبانة لا أبالك وأذهــبِ   والحِق بأسرتـك الكِرام الغُيَّبِ

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم   وبقيتُ في خَلَف كجِلْدِ الأجرب[3]

وكانت تترحم على لبيد وتروي له ألف بيت، وهو أقل ما تروي لشاعر. وكان علي ابن أبي طالب إذا خرج للمبارزة تمثل بالشعر:

أي يَومَيَّ مِنَ المَوتَ أفِر   يَومَ لا يَقدِرُ أو يَومَ قَدِر

يَومَ ما قُدِّرَ لا أرهَبُــــهُ   وَإذا قَدِّرَ لا يُنجي الحَذَر[4]

وكان عمر بن الخطاب يمدح متعلّم الشعر، ويبين أنّه من أفضل ما يتحدث به الرجال، ففيه ما يسكن أو يثير عواطفه أو يطفئ غضبهم، وهو أجمل حديثهم في أنديتهم. وكان ابن عباس يثني على متعلّم الشعر ويقول: (الشعر علّم العرب وديوانها فتعلّموه، وعليكم بشعر الحِجاز. فأحسبه ذهب إلى شعر الحجاز، وحَضَّ عليه، إذ لغتهم أوسط اللغات)[5].

كما كان العرب يجتمعون بالمجالس يتعلّمون ويتدارسون، وكانت مجالس الخلفاء والولاة والعمال قد حلت محل النادي عند العرب، وكان أبو زبيدٍ الطائي من زوار

---

[1] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٦٩٣.

[2] **الصفدي**، خليل بن إيبك بن عبد الله، ت ٧٦٤هـ، الوافي بالوفيات، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١٤٠١٢.

[3] الأصفهاني، الأغاني، ٢٠٠٣م، ص ١١٠٦٣.

[4] اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد، ت ١١٠٢هـ، زهر الاكم في الامثال والحكم، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٢٣٣.

[5] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٥/ ص ١٣٠.

الملوك وخاصة ملوك العجم، وكان عالماً بسيرهم. وكان عثمان بن عفان يطلبه في مجلسه وعنده المهاجرون والأنصار، فيتذاكرون مآثر العرب وأشعارها، وأخبار الفرس والروم وآثارها[1].

وكان بالعرب من يعلّم المعارف بشكل عام، فكان دغفلا من الذين تعلّموا العربية والنجوم والعربية والنسب من العرب، ثم نقل هذه المعرفة لمن بعده، وكان قد علّمها ليزيد بن معاوية[2].

وتغير أسلوب التعليم بعد الإسلام فصار القرآن هو الأساس التعليمي لكل أمر، وبعد تعلّمه يتعلّم المسلم باقي العلوم، وكان والد الفرزدق قد قدمه بين يدي علي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين، وقال أن ابني لشاعر فطلب منه تعليمه القرآن، فحفظه وأتقنه، فكأنه شعر بالنقص عن باقي المسلمين، فتفرغ للقرآن حتى إذا أنجزه عاد للشعر[3].

ولم تمضي فترة حتى عاد الاهتمام إلى العلوم العربية، ولا أدل على استمرارها بعد الإسلام من اهتمام الخلفاء بها، ليس هذا فحسب بل صار لها مدارس، وصارت في متناول الجميع لتعلّمها، قال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث: (قدِم عبدُ الملك، وكان يحبُّ الشّعر فبعثتُ إلى الرواة، فما أتَتْ عَليَّ سنةٌ حتى رويتُ الشاهدَ والمثَل، وفضُولاً بعد ذلك، وقِدم مُصْعبٌ وكان يحبُّ النسَب، فدعوتُ النَّسَّابين فتعلّمتُه في سنة، ثم قدِم الحجَّاج، وكان يُدْنِيَ على القرآن، فحفِظته في سَنَة)[4].

وهذه العلوم سرعان ما انتقلت إلى البلاد المفتوحة أولا حسب انتشار العرب، ثم حسب انتشار المسلمين، وكانت أول العلوم التي انتقلت العلوم الدينية، فقد طلب يزيد بن أبي سفيان من عمر بن الخطاب أن يرسل له من يعلّم أهل الشام، فأرسل إليه

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، ١٢/ ص ١٥١.
[2] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٢/ ص ٧.
[3] **الآمدي**، أبو القاسم الحسن بن بشر، ت ٣٠٧هـ، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٤٨٦.
[4] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ ٥/ ص ١٩٤.

معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء[1]، ثم تبعتها باقي العلوم مع ارتحال الناس، وأسر الجنود إلى الأمصار واستقرارهم وبناء المدن والأسواق.

فنلاحظ أن أهتمام العرب بالعلّم والتعلّم كان مميزا، وكان متنوعا وكانوا يقدمون المتعلّمين منهم، ليس هذا فحسب بل ظهر الاختصاص في العلّم، وبعد كل هذا نلاحظ أن علوم العرب بعد الإسلام كانت متصلة وأكثر تأثرا بتاريخ العلوم العربية القديمة منها بعلوم البلدان المجاورة، فكل العلوم حتى الرحلة في طلب العلّم كلها كانت موجودة عند عرب قبل الإسلام.

---

[1] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٥م، جـ٣/ ص ٥٥، **وكرد** علي، محمد، الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ١٧١.

الفصل الخامس: الشعر وعلومه.

أما الشعرُ فحديثُ الميلاد، وأولُ من صنع الشعر وأتخذ طريقه ونظم قوافيه امرؤ القيس بن حُجْر، ومُهَلْهِل بنُ ربيعة[1]، ويرجح الجاحظ أن الوقت بين مهلهل وامرئ القيس وبين الإسلام يتراوح من ١٥٠-٢٠٠ عام[2]. قال النبيّ صلى الله عليه وسلم عن امرئ القيس:"ذاك رجلٌ مذكور في الدنيا شريفٌ فيها، منسي في الآخرة خاملٌ فيها، يجيء يوم القيامة معه لِوَاءِ الشُّعَرَاءِ إِلى النَّار"[3]. فصرح له بلواء الشعر، وقد ذكره عمر بن الخطاب بأنه من أول الشعراء وقد مهده لمن جاء بعده، قال:"سابق الشعراء خسف لهم عين الشعر"[4].

ومن أسباب ظهور الشعر استخدامه في الغناء، وظهر الغناء في بدايته في وسط الجزيرة العربية في نجد والحجاز، وأهم المدن التي ظهر فيها: المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة، وكانت هذه المدن ذات ميزات خاصة حيث كانت تعتبر مركزا للقرى حولها، وكانت مناطق استراحة

---

[1] المهلهل بن ربيعة، عدي بن ربيعة بن مرّة بن هبيرة من بني جشم، من تغلب، أبو ليلى، المهلهل. ؟ - ٩٤ ق. هـ/؟ ٥٣١ م، من أبطال العرب في الجاهلية من أهل نجد. وهو خال امرئ القيس الشاعر. قيل: لقب مهلهلاً، لأنه أول من هلهل نسج الشعر، أي رققه. وكان من أصبح الناس وجهاً ومن أفصحهم لساناً. عكف في صباه على اللهو والتشبيب بالنساء، فسماه أخوه كليب (زير النساء) أي جليسهن. ولما قتل جساس بن مرة كليباً ثار المهلهل فانقطع عن الشراب واللهو، وآلى أن يثأر لأخيه، فكانت وقائع بكر وتغلب، التي دامت أربعين سنة، وكانت للمهلهل فيها العجائب والأخبار الكثيرة. أما شعره فعالي الطبقة.

[2] الجاحظ، الحيوان، بيروت، ١/ ص ٧٤.

[3] مسند أحمد، مصر، جـ٢/ ص ٢٢٨، والهيثمي، مجمع الزوائد، ١٤٠٧هـ، جـ١/ ص ١١٩وجـ٨/ ص ١١٩، والبخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦ هـ، الكنى، تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، د، تحقيق جـ١/ ص ٢٠.

[4] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١٩٩٤م، ص ٦٣.

للقوافل، ومراكز تجمع الأسواق والمواسم، فكانت الحانات تنتشر فيها وتنتشر الجواري المغنيات للتغني بالشعر[1].

ولم يشتهر علم من علوم العرب قبل الإسلام كما اشتهر الشعر، حتى مال الناس إلى اعتباره علمهم الأوحد أو أن العرب لم يعرفوا غيره، وان كان أكثر ما وصلنا من تاريخ العرب شعرا، فعلينا أن نتساءل كيف وصل وما هو الأسلوب العلمي الذي حفظه والذي أوصله للأجيال اللاحقة.

ومال بعض الادباء الى اعتبار الشعر أصل علوم العرب، وفيه جمعت علومهم وحكمهم، وفيه عرفت أيامهم وتاريخهم، ومنه عرفت أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم، وحفظ فيه المثل السائر بينهم، وجمعت فيه أعلامهم ومفاخرهم، ومنه عرفنا قيمهم ومبادئهم وكيف كان يقيدون ذلك، وكيف حفظوه وقدروا أفضله حتى كتبوه بماء الذهب وعلقوه في مجامعهم، قال ابن قتيبة: (الشعر مَعْدِنُ علْم العرب، وسِفْرُ حِكمتِها، وديوان أخبارها، ومستَوْدعُ أيامها، والسُورُ المضروبُ على مآثرها، والخَندَقُ المحجوزُ على مفاخرها، والشاهدُ العَدْلُ يومَ النَفار، والحُجةُ القاطِعةُ عند الخِصَام)[2].

وكانت العرب تقيم الشعر، فتجعله مكان الحكمة والعلم، وكانوا يجعلونه مرجعا عند اتخاذ أي عمل خطير، فكانت أحكامهم وأفعالهم تتم من خلال الشعر، وبه كانوا يختصمون ويتمثلون ويتفاضلون ويتقاسمون ويتناضلون ويمدحون ويعابون، فكأنهم جعلوه لغة تتقدم على ما سواها من الكلام، أو الأسلوب العلمي للخطاب[3].

أما كيف كان العرب يحملون الشعر من بعضهم فقد كانوا يدونون الشعر إلى جانب حفظه في الصدور، ومثال ذلك ما ذكره أبو المهلهل الحدائيّ من أنّه أراد جمع

---

[1] (ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٧/ ص ٢٨). ومن الشعراء الذين غنت الجواري بشعرهم الأعشى، فكانت العرب تسميه صناجة[1] العرب، (الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢ م، جـ ٩/ ص ١٢٩).

[2] ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ٢/ ص ٢٠٠.

[3] اليعقوبي، تاريخ، ١٩٩٥م، جـ١/ ص ٢٦٢.

شعر ذي الرمة[1] فأرتحل يبحث عن مي معشوقة ذي الرمة، فجلس إليها هي تنشد وهو يكتب حتى أستنفذ ما لديها[2].

وقد كان الشعر أكثر ما شغل العرب وأخذ جل جهدهم بعد كل عمل يقومون به، ولكن الناس عندما جاء الإسلام تشاغلوا بالفتوح، فلما أطمئن بهم الحال في الشام والعراق والأمصار، عاد الاهتمام بالشعر، وقد ذهب أكثره وضاع، لكن ما حفظ عن الناس بين لنا كيف دون، فقد كان عند النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته، فلما جاء الإسلام جمعه بنو مروان عندهم ثم حمل عنهم[3].

وكان العرب يحملون الشعر جيلا بعد جيل، الابن عن أبيه، فعندما قدم ابن داوود بن متمم بن نويرة البصرة لجلب الميرة، زاره أبو عبيدة وابن نوح العطاردي فسألاه عن شعر أبيه متمم، ودونوا شعره ثم كفوه حاجاته حتى استنفذوا ما عنده[4].

وكان الحطيئة[5] راوية لزهير[6] وآل زهير، ورغم إحكام شعره لكن العرب كانت أروى لشعر آل زهير، لهذا طلب من كعب بن زهير[1] أن يذكره في شعره ويضعه موضعا بعده لأنَّ أشعارهم أذكر بين الناس[2].

---

[1] ذو الرُمَّة، غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر. ٧٧ - ١١٧ هـ/ ٦٩٦ - ٧٣٥ م، من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. كان شديد القصر دميماً، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين، وكان مقيماً بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيراً، امتاز بإجادة التشبيه. قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته (ما بال عينيك منها الماء ينسكب) لكان أشعر الناس. عشق (ميّة) المنقرية واشتهر بها. توفي بأصبهان، وقيل: بالبادية.

[2] ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ ٤/ ص ٤٠.

[3] الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار المدني، جـ١/ ص ٢٤و٢٥.

[4] المصدر نفسه، جـ١/ ص ٤٧.

[5] الحُطَيئة، جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو ملكية. ؟ - ٤٥ هـ/؟ ٦٦٥ م، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاءاً عنيفاً، لم يكد يسلم من لسانه أحد، وهجا أمه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس.

[6] زُهَير بن أبي سُلمَى، زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، من مُضَر. ؟ - ١٣ ق. هـ/؟ - ٦٠٩ م، حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي: كان لزهير من الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. ولد في بلاد مُزَينة بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)، واستمر بنوه فيه بعد الإسلام. قيل: كان ينظم

وكان هدبة بن الخشرم[3] شاعرا فصيحا متقدما من بادية الحجاز، وكان شاعراً راوية، كان يروي للحطيئة، والحطيئة يروي لكعب بن زهير، وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير، وكان جميل[4] راوية هدبة، وكُثيِّر عزة[5] راوية لجميل بثينة، فلذلك قيل: أن آخر فحل اجتمعت له رواية الشعر كُثيِّر عزة[1].

القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمّى (الحوليات)، أشهر شعره معلقته التي مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ....

[1] كَعبِ بن زُهَير، كعب بن زهير بن أبي سلمى، المازني، أبو المضرَّب. ؟ - ٢٦ هـ/؟ ٦٤٦ م، شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم، دمه فجاءه كعب مستأمناً وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ....

فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وخلع عليه بردته. وهو من أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوّام كلهم شعراء. وقد كثّر مخمّسو لاميته ومشطّروها.

[2] الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار المدني، ص ١٠٤، والأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٢/ ص ١٥٧.

[3] هدبة بن الخشرم، هدبة بن الخشرم بن كُرز، من بني عامر بن ثعلبة من سعد هذيم من قضاعة. ؟ - ٥٠هـ/؟ ٦٧٤م، شاعر مخضرم فصيح من قبيلة عذرة وأمه شاعرة هي (حية بنت أبي بكر بن أبي حية) وقد سماها التبريزي (ريحانة). وفي الأغاني: كان هدبة راوية الحطيئة وكان جميل راوية هدبة. وليس في المصادر الكثير عن حياته وشعره إلا ما كان بينه وبين ابن عمه (زيادة) من المقاتلة التي أفضت إلى سجنه وقتله صبراً. وكان أول ما أثار الخصومة بينه وبين ابن عمه زيادة بن زيد مراهنة بين حوط بن خشرم التي جرّت الحرب بين القبيلتين. ثم ما إرتجَزه وأفحش به زيادة في أخت هدبة ثم ردّ هدبة عليه بالتفحش بأخت زيادة. ثم تقاتلا فقتل هدبة زيادة فقبض عليه وسجن، ثم حكم بتسليمه إلى أهل المقتول ليقتصوا منه فقتلوه أمام والي المدينة.

[4] جَميل بُثَينَة، جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو. ؟ - ٨٢ هـ/؟ ٧٠١ م، شاعر من عشاق العرب، افتتن ببثينة من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما. شعره يذوب رقة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر. كانت منازل بني عذرة في وادي القرى من أعمال المدينة ورحلوا إلى أطراف الشام الجنوبية. فقصد جميل مصر وافداً على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه وأمر له بمنزل فأقام قليلاً ومات فيه.

[5] كُثَيِّر عزة، كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة وأمه جمعة بنت الأشيم الخزاعية. ٤٠ - ١٠٥ هـ/ ٦٦٠ ٧٢٣ م، شاعر متيم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر ولد في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك، وتوفي والده وهو صغير السن وكان منذ صغره سليط اللسان وكفله عمه بعد موت أبيه وكلفه رعي قطيع له من الإبل حتى يحميه من طيشه وملازمته سفهاء المدينة. واشتهر بحبه لعزة فعرف بها وعرفت به وهي: عزة بنت حُميل بن حفص من بني حاجب بن غفار كنانية النسب كناها كثير في شعره بأم عمرو ويسميها تارة الضميريّة وابنة الضمري نسبة إلى بني ضمرة. وسافر إلى مصر حيث دار عزة بعد زواجها

وكانت أشعار فحول الشعراء تدون في الدفاتر، وكان العرب يحملونها فيما بينهم ويتدارسونها، وكانت النساء تتدارس الشعر وتحمله مثل رجال العرب، وكانوا بذلك ينتقون الأشعار بين مديح وغزل وغير ذلك، عن الشاعر الواحد أو عن عدة شعراء[٢].

قال أبو عبيدة، أن امرئ القيس أول من استفتح بالشعر متغزلا، وهو أول من استوقف فاستوقف الشعراء بعده، وهو أول من بكى في الأطلال والدمن، ووصف ما فيها، وهو أول من شبه الخيل بالعصا واللقوة[٣] والسباع والظباء والطير، فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف. بينما قال ابن الكلبي: أول من بكى في الديار الحارثة بن الحمام بن معاوية، وإياه عنى امرؤ القيس بقوله:

يا صاحِبَيَّ قِفَا النَّوَاعِجَ ساعَةً   نَبْكِى الدّيَارَ كما بَكَى ابنُ حُمَامِ

وقال أبو عبيدة: هو ابن خذام وأنشد:

عُوجَا على الطّلَلِ المُحِيلِ لعَلّنَا   نَبْكِي الدّيَارَ كما بَكَى ابنُ خِذَامِ[٤]

وكان امرئ القيس بن حجر يعلّم قيانه أشعار مرة بن الرواغ الأسدي[٥]، والظاهر أنّه شعر غنائي، فكان تدريس الشعر موجودا، وهذا احد أهم الشعراء على الإطلاق يبدأ حياته يعلّم الشعر للجواري، ويبدو أن هذا سبب غضب أبيه من شعره، ومع ذلك فقد كان شعره يغنى في بلاط الملوك[٦].

وفيها صديقه عبد العزيز بن مروان الذي وجد عنده المكانة ويسر العيش. وتوفي في الحجاز هو وعكرمة مولى ابن عباس في نفس اليوم فقيل: مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس.

[1] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٢١/ ص ٢٥٧.

[2] المصدر نفسه، جـ١/ ص ٨٧ .

[3] اللقوَةُ: الناقة السريعة اللِقاح. **الجوهري**، إسماعيل بن حماد، ت ٣٩٣هـ، الصحاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، مادة **لقا**.

[4] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١٩٩٤م، ص ٦٣.

[5] مُرَّة بن الرَّواع الأسدي، مرة بن سلم بن عمرو المالكي من بني مالك بن ثعلبة. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر جاهلي قديم ينسب إلى أمه (الرواع وقيل الرواغ). كانت قيان الملوك يغنين بشعره، حتى أن امرأ القيس كان يأمر قيانه أن يغنين شعر مرة بن الرواع بين يديه. وقال المرزباني: يقال أنّه كان في عصر امرئ القيس بن حجر.

[6] الآمدي، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ١٩٨٢م، ص ٣٨٢.

وأول الروايات التي يذكرها ابن عبد ربه في الغناء عن جاريتين لعاد، يقال لهما الجرادتان، وكانتا تغنيان أشعارا يبتذلونها، ثم انتشر الغناء بين العرب، فغنوا في شعر العرب عامة، ومن رقيقه خاصة، وكان بعض الشعراء يضعون الشعر لهذا الغرض بالذات. ومن الأدوات التي رافقت الغناء العود والكران والمزهر والبربط، وهي أدوات وترية متشابهة كلها قريبة الشكل بالعود. وكان أول من غنى في الإسلام الغناء الرقيق طويس، وهو علّم ابن سريج، والدلال، ونومة الضحى[1].

وتميل العرب إلى اعتبار فحول الشعراء من أهل الوبر خاصة ومن نجد خاصة. وإنَّ أهل السبع الطوال خاصة أشعرهم، ثم سبع تعدهن هن المجمهرات، ثم المنتقيات، أما المذهبات فهن للأوس والخزرج خاصة، ثم المراثي التي تعتبر عيون المراثي وهن سبع، ثم مشوبات العرب وهن التي خالطهن الكفر والإسلام، وقسموا الفحول في الشعر عامة من أهل نجد، أما أهل الحجاز فقد تميزوا بالغزل[2]. وكانت العرب تقر لقريش بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر، فإنها كانت لا تقر لها به، حتى كان عمر بن أبي ربيعة[3]، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً، ولم تنازعها شيئاً[4].

١ - تقسيمات الشعراء:

قسم العرب الشعراء عدة أقسام، فمنهم من قسمهم حسب المكان، فقالوا شعراء الحجاز وشعراء نجد، ومنهم من قسمهم حسب المدن فقالوا شعراء اليمامة وشعراء الطائف، ومنهم من قسمهم حسب القبائل فقالوا: شعراء قريش، ومنهم من قسمهم حسب التاريخ فقالوا: شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام، ومنهم من جعلهم طبقات،

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٧/ ص ٢٩.
[2] أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ١٩٨٣م، ص ٣٤-٣٥.
[3] عمر بن أبي ربيعة، عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب، ٢٣ - ٩٣ هـ/ ٦٤٣ ٧١١ م، أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق، ولم يكن في قريش أشعر منه. ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. رُفع إلى عمر بن عبد العزيز أنّه يتعرض للنساء ويشبب بهن، فنفاه إلى دهلك، ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقاً.
[4] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ١/ ص ٨٣ .

فقالوا: الطبقة الأولى هم الفحول، وهكذا نجد تباينا في التقسيمات، ولكن سنورد بعض التقسيمات التي يظهر فيها تميز مبني على أسلوب علمي في الاختيار.

فمن الأساليب العملية في تقسيم الشعراء أن يسأل أصحاب الاختصاص، فسُئِل حسان بن ثابت[1] عَنْ أشعر الناس؟ فسأل سائله أن كان يقصد شاعرا بذاته أم قبيلة، ثم بين أن اشعر أحياء العرب هذيل. وقال ابن سلام وعمر بن شَبَّة أن أشعر هذيل أبو ذؤيب[2]، وتقدّم أبو ذؤيب على سائر شعراء هذيل بقصيدته العينية ومطلعها:

أمِنَ المَنونِ ورَيبِها تَتَوَجَّعُ   وَالدَهرُ ليسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ[3]

ومن الأساليب التي يتمايز بها الشعراء أن يعرضوا شعرهم على خبير محايد، وكان النابغة الذبياني من المحكمين المشهود بنزاهتهم في تفضيل الشعراء، وهو شاعر مميز يستطيع بعلمه أن يبرز مكنونات القوة والضعف عند كل شاعر، وكان النابغة يُحكّم بين الشعراء في سوق عكاظ، وقد أخذ السوق اسمه من المماحكة

---

[1] حَسّان بن ثابت، حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد. ؟ - ٥٤ هـ/؟ ٦٧٣ م، شاعر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته.لم يشهد مع النبي (صلى الله عليه وسلم) مشهداً لعلة أصابته. توفي في المدينة. قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة وشاعر اليمانيين في الإسلام. وقال المبرد في الكامل: أعرق قوم في الشعراء آل حسان فإنهم يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام.

[2] أبو ذُوَيب الهذلي، خويلد بن خالد بن محرِّث أبو ذُويب من بني هذيل بن مدركة المضري. ؟ - ٢٧ هـ/؟ ٦٤٨ م، شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي السرح إلى إفريقية سنة (٢٦ هـ) غازياً. شهد فتح أفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان، فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها. وقيل مات بافريقية. أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد مطلعها:

أمن المنون وريبه تتوجع   ....

قال البغدادي: هو أشعر هذيل من غير مدافعة. وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة وفاته، فأدركه وهو مسجّى وشهد دفنه.

[3] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٥/ ص ١٠٤، وديوان أبي ذؤيب الهذلي، ٢٠٠٣م، الكامل، قصيدة أمن المنون.

الشعرية أكثر من التجارة، فكانوا يضربون له قبة من أدم، فتأتيه الشعراء فيعرض كل واحد عليه شعره، ثم يمايز بينهم[1].

كما كان بعض الشعراء يتحاكمون لرأي الرجل الواحد يقنعون بحياده، أو يتحاكمون إلى أول شاعر يظهر عليهم حتى لا يكون قد اتخذ موقفا سابقا من واحد منهم، كما تحاكم علقمة بن عبدة التميمي[2]، والزبرقان بن بدر السعدي[3]، والمخبل[4]، وعمرو بن الأهتم[5]، إلى ربيعة بن حذار الأسدي، فقال لهم:"أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم لا أنضج فيؤكل، ولا ترك نيئاً فينتفع به، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرد حبرة يتلألأ في البصر، فكلما أعدته فيه نقص، وأما أنت يا مخبل فإنك قصرت

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، ١١/ ص ٨.

[2] علقَمَةِ الفَحل، علقمة بن عَبدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم. ؟ - ٢٠ ق. هـ/؟ ٦٠٣ م، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصراً لامرئ القيس وله معه مساجلات. وأسر الحارث ابن أبي شمر الغساني أخاً له اسمه شأس، فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات فأطلقه.

[3] الزبرقان بن بدر، حصين بن بدر بن خلف بن بهدلة، من تميم من بني بهدلة بن عوف بن كعب. ؟ - ٤٥ هـ/؟ ٦٦٥ م، شاعر صحابي مخضرم، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وسمي بالزبرقان لجماله الشبيه بالقمر، وقيل لأنه كان يصبغ عمامته بالزعفران. وهو سيد من سادات قومه وأحد رؤساء تميم المشهورين. وأبوه بدر من زعماء تميم وأمه من باهلة وذكر أنَّها عُكلية من بني أقيش. وزوجته ذات الخمار (هنيدة بنت صعصعة) عمة الشاعر الفرزدق ويمتاز شعره بحسن العبارة وجودة المعنى ومتانة السبك، وقد حارب الزبرقان في صفوف جيش خالد بن الوليد وعاش إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان.

[4] المَخَبَّل السَعدي، ربيع بن مالك بن ربيعة بن عوف السعدي، أبو يزيد، من بني أنف الناقة من تميم. ؟ - ١٢ هـ/؟ ٦٣٣ م، شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام هاجر إلى البصرة وعمّر طويلاً ومات في خلافة عمر أو عثمان رضي الله عنهما. قال الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء: لهُ شعر كثير جيّد هَجا به الزبرقان وغيرَه، وكان يمدح بني قريع ويذكر أيام بني سعد قبيلته. وقال الفيروز آبادي: المُخَبَّل ثلاثة: ثمالي، وقريعي، وسعدي.

[5] عمرو بن الأهتم، عمرو بن سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر، من بني تميم. ؟ - ٥٧ هـ/؟ ٦٧٦ م، أحد السادات والشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام وسمي أبوه سنان بالأهتم لأن قيس بن عاصم المنقري ضربه بقوس فهتم أسنانه، وقيل هتمت أسنانه أثناء القتال في يوم الكلاب الثاني (أحد أيام العرب في الجاهلية). عاش عمرو في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم، وهو أحد الصحابة الشعراء المجيدين. قيل أنّه وفد على الرسول مع بني تميم في السنة ٩ هـ وكان صغير السن وشارك في فتح بلاد فارس، وكان في جيش الحكم بن أبي العاص. وتوفي عمرو في خلافة معاوية بعد أن عمّر وشاخ.

وكان عمر بن الخطاب قد أدرك هذه الميزة عند زهير بن أبي سلمى، فقد طلب من ابن عباس أن ينشده شعره بسبب ميزاته فقد كان "لا يُعاظِل بين القوافي ولا يَتَتَبّع حُوشيّ الكلام"، ولهذا اعتبره اشعر الناس[1]، أما النابغة فرغم قدرته على التحكيم بين الشعراء لكنه لم يكن يجاريهم، فقد كان يهاجي الشعراء فيغلب مرة بعد مرة، هاجى أوس بن مغراء وليلى الأخيلية وكعب بن جعيل فغلبوه جميعاً[2].

وكانت العرب تعتبر قريشا في آخر ركب الشعر حتى ظهر عمر بن أبي ربيعة، فقد فاق شعراء عصره وتفوق على اغلب من كان قبله وذلك لأسباب منها:"سهولة الشعر وشدة الأسر، وحسن الوصف، ودقة المعني وصواب المصدر، والقصد للحاجة، واستنطاق الربع، وإنطاق القلب، وحسن العزاء، ومخاطبة النساء، وعفة المقال، وقلة الانتقال، وإثبات الحجة، وترجيح الشك في موضع اليقين، وطلاوة الاعتذار، وفتح الغزل، ونهج العلل، وعطف المساءلة على العذال، وأحسن التفجع، وبخل المنازل، واختصر الخبر، وصدق الصفاء، ٠٠٠٠ وأعلى قاتله، واستبكى عاذله، ونفض النوم، وأهدر قتلاه، وكان بعد هذا كله فصيحاً"[3].

٢ - أنواع الشعر:

وتتمايز اللغة العربية بين فن الشعر والنثر، وكل فن له أسلوب لغوي يتباين به عن الآخر، فالحمد والدعاء والنسيب والتشبيب في الشعر شيئ وفي الخطابة شيئ آخر، ولا يقتصر الاختلاف على هذه الفنون اللغوية بل يمتد إلى باقي فنون الشعر والنثر[4].

والكلام المسجوع فقط لا يعتبر شعرا، فقد كان كثير من خطباء الجاهلية وشعرائهم يستخدمون السجع، فكان رجل قد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

1 ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٥/ ص ١١٩.
2 الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٥/ ص ١٥.
3 المصدر السابق، جـ١/ ص ١٣٠.
4 مقدمة ابن خلدون، ١٩٨٦م، ص ٥٦٧.

بمثل هذا الكلام فقال:"إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا اسْتَهَلَّ وَلَا شَرِبَ وَلَا أَكَلْ فَمِثْلُهُ يُطَلُّ" فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْجَاهِلِيَّةِ وَكِهَانَتِهَا"[١].

اما الغناء فأحتاج إلى ثلاث أنماط شعرية، فقد كان الغناء على ثلاث أشكال، منها: النصب والسناد والهزج، والنصب غناء الركبان والقينات لهذا كان الشعر فيه بسيط الطابع. أما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات، لهذا أحتاج إلى فن شعري أعمق، فربما غنوا بأشعار فحول الشعراء أو وضعوا له شعرا خاصا. وأما الهزج فهو الخفيف الذي يثير القلوب، وقد برع فيه بعض الشعراء[٢].

وكان العرب قد قسموا القصائد إلى أشكال وأنواع، فمن الأشعار ما لم يكن له ذكر إلا في قبيلة، ومنه ما اشتهر بين العرب أجمع، وقد أجمع العرب على سبع قصائد تخيروها وجعلوها أمهات القصائد، وصارت قدوة لكل شاعر، وكتبتها بماء الذهب في القَبَاطيّ المُدرجة، وعَلّقتها على أستار الكعبة، ومنها: مذهَّبة امرئ القيس، ومُذَهَّبة زُهير. والمذهبات سبع، يقال لها مذهبات لأنها كتبت بماء الذهب، وقد يقال لها المُعَلقات لأنها كانت تعلق على أستار الكعبة[٣]. ولم يكن كل العرب يعتمدون هذا التقسيم فالمعلقات في اليمامة وفي الحيرة وفي تيماء تختلف عما هي عليه في مكة، وذلك لتحيز القبائل لشعرائها، ولعل شهرة معلقات مكة جاءت من كون كل الشعراء من خارج مكة ومن خارج قريش.

٣ - ميزات الشعر:

والواضح أن الشعر العربي كان له قاعدة يسير عليها، فهو مكون من خمسة عشر بحرا، ويعتمد العرب عليها في نظمهم، ولا يخرجون عنها في أحوالهم، ويقسم

---

[1] النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، ت ٣٠٣هـ، المجتبى من السنن، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م، جـ ٨/ ص ٥١ ، والجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ١٦١.
[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٧/ ص ٢٨.
[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٥/ ص ١١٨.

البيت الواحد إلى صدر وعجز، وله قافية، فيقوم العربي بعد أن تعرف هذه القواعد بنظم الكلام بالبيت حسب المنهج لا يخرج عنه.

لكن العرب لم يستخدموا قبل الإسلام كل هذه البحور بتفريعاتها وإنما جاءت وليدة العصر، فلم يستخدموا سوى أثنى عشر بحراً هي: الطويل، والمديد، والبسيط، والوافر، والكامل، والهزج، والرجز، والرمل، والسريع، والمنسرح، والخفيف، والمتقارب[١].

وكان العرب يعرفون قبل الإسلام الشعر وقوافيه، فكانوا يعرفون بيوت الشعر، وفي حديث إسلام أبي ذر الغفاري، تكلم هو وأخوه في كون كلام الرسول صلى الله عليه وسلم شعرا أم لا، فرد أخوه وكان شاعرا، أنّه وضع آيات القرآن على كل أقراء الشعراء فلم يجد كلامه يشبه كلامهم، وهذا دليل على أن الشعراء كانوا يعرفون أوزان الشعر[٢]، وعند ابن فارس أنّه صاحب الرواية الوليد بن المغيرة، وهو الحديث الذي بلغ فيه قومه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ساحر، وأن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم لا يشبه شيئا من أقراء الشعراء[٣].

ويتبع الشاعر في شعره أساسيات منها: الالتزام بالتشبيب في أول القصيدة، واستبكاء الأصحاب ومسائلة الرسوم، وتذكر الحبيب، ومخاطبة الأطلال بدل الحبيب، وذكر المكان وما بقربه، والدعاء للأطلال بالسقيا[٤].

وكان بعض الشعراء يجمع مع الشعر فنونا أخرى من الخطابة والكهانة، وكان بعضهم قد غلب عليه فن شعري واشتهر به، فغلب على عنترة الحماسة، وعلى الأعشى التغني بالشعر، وعلى أمرئ القيس العاطفة وجمال الوصف، وعلى طرفة الحكمة، وعلى الحطيئة الهجاء، ولهذا عرف بعض الشعراء ببيت قاله مثل المرقش[٥].

---

1 الموسوعة الشعرية، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

2 النويري، نهاية الأرب، ٢٠٠٣م، ص ١٠٣٩٧.

3 **ابن فارس**، أحمد بن زكريا بن فارس، ت ٣٩٥هـ، الصحابي في فقه اللغة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١٥، والأسد، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، ص ٤٩.

4 مقدمة ابن خلدون، ١٩٨٦م، ص ٥٧٠-٥٧١.

5 الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ١٩٦.

وكان الشعراء يختبرون قبل التكلم بالشعر. فعندما بدأ كعب ينظم الشعر نهاه أبوه زهير خوفا أن يأتي بأشعار تعيبه قبل أن يستحكم، فكان يضربه ويحبسه ثم سرحه في غنم له وهو لا ينتهي، فلما لم ينتهِ اخذ يختبره ليعلّم ما عنده فكان يقول البيت ويطلب منه أن يكمله ببيت على قافيته ومعناه، فقال زهير:

إني لتعديني على الحي جسرة　　　تخب بوصال صروم وتعنق

ثم ضرب كعباً، وقال له: أجز يا لكع، فقال كعب:

كبنيانة القرني موضع رحلها　　　وآثار نسعيها من الدف أبلق

فقال زهير:

على لاحب مثل المجرة خلته　　　إذا ما علا نشزاً من الأرض مهرق

فقال كعب:

منير هداه ليله كنهاره　　　جميع، إذا يعلو الحزونة أفرق

فقال زهير:

وظل بوعساء الكثيب كأنه　　　خباء على صقبي بوان مروق

صقبي بوان: عامود من أعمدة البيت، فقال كعب:

تراخى به حب الضحاء وقد رأى　　　سماوة قشراء الوظيفين عوهق

.... فلما رأى من قدرته على مجاراته أذن له بالشعر، فكان هذا دلالة على وجود إجازة في الشعر، وأن كان الأب قد منحها لابنه، وأن الشعر لم يكن فقط إبداع فرد أخذ أو رُدَّ[1].

أما لبيد[2] فقد كان مغمورا حتى جرى بين قومه وبين الربيع بن زياد[1] هجاء، فلم يقدر أحد من قومه أن يرد عليه، فعلّم بذلك فأراد أن يتصدى له - وكان قبلها مغمورا

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ١٧/ ص ٨٩ - ٩١.

[2] لبيد بن ربيعة العامري، لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري. ؟ - ٤١ هـ/؟ ٦٦١ م، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي (صلى الله عليه وسلم). يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً. وسكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات.

-، فلم يقبل منه قومه حتى امتحنوه، فطلبوا منه أن يشتم بقلة فهجاها، فطلبوا أن يتركهم إلى الصبح ينظرون في أمره، وبعثوا يراقبونه، فوجدوه ساهرا جادا في تحضير هجائه، فعلّموا أنّه له، فلما جلسوا أمام النعمان وعنده الربيع أنشأ يقول:

مَهْلاً أبَيْتَ اللّعْنَ لا تأكلْ مَعَهْ　　　أن استّه مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ

وإنهُ يُدخِلُ فيها إصبَعَهْ　　　يُدْخِلُهَا حتى يُواري أشْجعَه

كأنما يطلبُ شيئاً ضَيَّعَهْ

فتركه النعمان والناس، وعلا صيت لبيد[2].

٤ ـ ميزات الشعر:

للشعر العربي عدة ميزات يختلف فيها عن غيره، من الفنون الأدبية، فللشعر قافية واحدة، وله صدر وعجز، وله بحر، وغير ذلك كثير، على أن في الشعر ميزة تجعل المدقق يلاحظ المنهج الفلسفي في الأشعار، ويظهر ذلك بظهور المنطق في أبيات الشعر، قال معاوية بن بكر الباهلي قلت لحماد الراوية: بم تقدم النابغة؟ قال: باكتفائك بالبيت الواحد من شعره، لا بل بنصف بيت، لا بل بربع بيت مثل قوله:

حَلَفتُ فَلَم أترُك لِنَفسِكَ رَيبَةً　　　وَلَيسَ وَراءَ اللهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ

كل نصف يغنيك عن صاحبه، وقوله: أي الرجال المهذب، ربع بيت يغنيك عن غيره[3].

وإذا ما أمعنت النظر في أشعار العرب ترى كل بيت يحوي جملة شرطية، ولهذا ترى في صدر البيت جملة الشرط مثل قولهم في البيت السابق:

إذا كان أسته من برص ملمعة　　　فإنه يدخل فيها إصبعه

ومثل قولهم:

---

[1] الربيع بن زياد، الربيع بن زياد بن سلامة بن قيس بن نوفل بن عدي بن جناب. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر جاهلي وفارس شجاع من بني كلب، أعرج، شارك في يوم الحجر ضد بني القين وقتل زعيمهم، أغار على شيبان يوم مسحلان إلا أنهم هزموه، ثم غضب من قومه وجاور في شيبان فقتلوه، فحمل ديته الربيع بن معدان السكوني.

[2] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ١٥/ ص ٣٥٤ .

[3] المصدر السابق، جـ ١١/ ص ١٠.

إذا حلفت فإنك لم تترك لنفسك ريبة

فهذا نصف بيت يحوي الشرط وجوابه، وهذا أساس في المنهج الفلسفي، فكل أشعار العرب تحوي جملا منطقية الجواب.

والى جانب هذا تجد المنهج العلّمي واضحا في أشعار العرب، فالمنهج العلّمي مبني أساسا على الملاحظة الدقيقة للوصول إلى النتائج، وإذا تتبعت أشعار العرب رأيت دقة الوصف لكل مظاهر الطبيعة، ورأيت الشاعر كثيرا ما يصل إلى النتائج بنفسه بعد سنوات من الملاحظة، خاصة في وصف المطر والريح والنجوم، ونجده يحلل ويركب ويخلص إلى النتائج لوضع القواعد، وهذه القواعد نجدها بالآلاف من الأبيات الشعرية التي تبرز الحكمة، مثل أشعار طرفة بن العبد.

ولكل نوع من الشعر محددات تعتبر الذروة فيه، وهي كالتالي:

١- الذم وذروته الإرداء.

٢- النسيب وذروته الإطراء.

٣- المدح وذروته الإسناء.

٤- والإرمال وذروته الإغزار.

٥- والرجز وذروته الإنجاز[1].

قواعد الشعر العربي:

وللشعر العربي قواعد يسير عليها، ومن هذه القواعد والضوابط الايطاء ويعني في الشعر الموافقة، وهو اتفاق قافيتين في لفظ واحد وجنس واحد، مثل قولنا: في أثعبان المنجنون المرسل، و قولنا: مد الخليج في الخليج المرسل[2].

---

[1] أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ٢/ ص ٣٤٨، وابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ ٤/ ص ٤٠.

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩٢م، جـ١/ ص ٣٧.

وللقوافي ضوابط، فالقافية الكلمة الأخيرة من البيت، والروي هو الحرف من القافية الذي تبنى عليه القافية، والوصل حرف بعد الروي يكون حرف لين مثل:"و، ا، ي، هـ"، والخروج: وهو واو أو ألف أو ياء يكون ما بعدها مضمرا إذا كانت وصلا، ومثال ذلك قول الشاعر:

عفت الديار محلها فمقامها ....فرجامها

فالميم في مقامها ورجامها هي الروي، والهاء هي الوصل، والألف هي الخروج، والردف هو حرف لين قبل الروي مثل الألف قبل الميم في رجامها[1].

وللشعر ضوابط وقواعد يسير عليها الشاعر، ومن اشكال الخلل التي قد يقع بها الشعراء ما يلي:

١- الإقواء: وكان النابغة وبشر بن أبي خازم يقويان. وكان العرب قد تبينوا ذلك في شعر النابغة، لكنهم استحوا منه فلم يخبره أحد بذلك لحسن ضيافة مثل هذا الشاعر المرموق، فلما دخل يثرب استحوا أن ينبهوه للحنه وأكفأه، فدعوا جارية لهم تغني بشعره الذي لحن فيه، فلما سمع في الغناء - وغير مزودِ- - والغراب الأسودُ-، بان له ذلك اللحن ففطن لموضع خطئه.

وأما بشر بن أبي خازمٍ فقد أخبره بخطئه أخوه سوادة. فسأله عن خطأه فقال له قولك:

أَلم تَرَ أن طولَ الدَهر يُسلي وَيُنسي مِثلما نَسِيَت **جُذامُ**

ثم قولك بعد ذلك:

وَكانوا قومَنا فَبَغَوا عَلَينا فَسُقناهُم إِلى البَلَدِ **الشَآمي**

فعلم بخطئه فلم يعد للإقواء[2].

وعد أبو عمرو بن العلاء الإقواء اختلاف الإعراب في القوافي، وذلك أن تكون قافية بالرفع وأخرى بالكسر، كقول النابغة:

قالتْ بَنُو عامِرٍ خَالُوا بَني أَسَدٍ يا بُؤْس للجَهْلِ ضَرَّاراً لِأَقوَامِ

---

[1] الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ١٩٨٩م، ص ١١١.
[2] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ١١/ ص ١٢.

وقال فيها:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمْسُ طَالِعَةً   لاَ النُّورُ نُورٌ ولا الإظْلاَمُ إظْلاَمُ

والبعض يسمي اختلاف الإعراب إكفاء، وأن الإقواء هو نقصان حرف من فاصلة البيت، كقول حجل بن نضلة[1]:

حَنَّتْ نَوَارُ ولاتَ هَنَّا حَنَّتِ   وبَدَا الّذِي كانَتْ نَوَارُ أجَنَّتِ

لمَّا رَأتْ مَاءَ السَّلاَ مَشْرُوباً   والفَرْثَ يُعْصَرُ في الإنَاءِ أرَنَّتِ

سمي إقواءً بسبب نقصان عروضه، وكان يستوي البيت بأن تقول متشرباً.

٢- السناد: هو اختلاف في إرداف القوافي، كقولك علينا في قافيةٍ وفينا في أخرى، كقول عمرو بن كلثوم:

ألاَ هُبّي بِصَحْنِكِ فاصبَحِينَا   وَلا تُبقي خُمورَ الأندَرينا

فالحاء مكسورة بكلمة فاصبحينا. وقال في بيت آخر:

كَأنَّ غُضونَهُنَّ مُتونُ غُدرٍ   تُصَفِّقُها الرياحُ إذا جَرَينا

وفيه نرى الراء مفتوحة، وهي بمنزلة الحاء في البيت السابق.

٣- الإيطاء: هو إعادة القافية مرتين، وهو ليس عيبٍ كبير عندهم.

٤- الإجازة أو الإكفاء: واختلفوا فيها فقال بعضهم: هو أن تكون القوافي مقيدةً فتختلف الأرداف، كقول امرئ القيس:

لا وَأبيكَ ابنَةَ العامِرِيِّ   لا يَدَّعي القَوْمُ أنّي أفِرّ

فكسر الردف في أفر، وقال في بيت بعده:

تَميمُ بنُ مُرٍّ وَأشياعُها   وكِنْدَةُ حَوْلي جَميعاً صُبُرْ

فضم الردف، وقال في بيتٍ آخر:

وَقَد رابَني قَولُها يا هَناهُ   وَيحَكَ ألحَقتَ شَراً بِشَرْ

[1] حَجل الباهلي، حَجل بن نَضلة الباهلي. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر جاهلي، وكان قد أسر ابنة عمرو بن كلثوم (النوار) وركب بها المفاوز. وكان المنتشر الباهلي قد قتل ابن له يسمى (سيدان) قتله بنو جعدة، وكانت باهلة من أحلافهم، فلما طلب المنتشر بن جعدة بدمه، فزعت باهلة، فلحقت فرقة منهم، يقال لهم بنو قتينة بيزيد بن عمرو بن الصعق فأجارهم، وكان حجل بن نضلة رئيسهم.

ففتح الردف.

وبينما قال الخليل بن أحمد هي أن تكون قافيةً ميماً والأخرى نوناً، كقول القائل:

يا رُبَّ جعْد منهمُ لوْ تَدْرِينْ　　يضربُ ضَرْبَ السَّبِطِ المَقَادِيمْ

أو طاءً والأخرى دالاً، كقول الآخر:

تَاللِه لوْلاَ شَيْخُنَا عَبَّـــادُ　　لكَمَرُونا عِنْدَهَا أوْ كَادُوا

فَرْشَطَ لمَّا كُرِهَ الفِرِشَاطُ　　بفيْشَةٍ كَأنَّهَا مِلْطَـــــاطُ

وتكون في الحروف قريبة المخرج[1]، وسماها الزمخشري الإكفاء، وقال أنَّها تكون قافية على الطاء وقافية على الدال، أو اللام والنون، وما يتشابه مخرجه من الحروف.

٥- الإخلال: وهو عدم أتمام معنى في بيت بسبب ضرورة البحر، قال الشاعر[٢]:

أعاذلَ عاجلُ ما أشتهي　　أحبّ من الأجل الرائث

وكان الأصل أن يكون المعنى تام كما في قوله في صدر البيت:

عاجل ما أشتهي مع القلة　　............................

٦- الحشو: وهو أن يحشى بالبيت لفظا لا يحتاج إليه إلا لصحة الوزن، كقول المؤمل:

فليتني كانت أعمى غير ذي بصر　　وأنه لم يكن ما كان من نظري

والزيادة بعد أعمى لا داعي لها بقوله: (غير ذي بصر)

٧- التذنيب: وهو تغير في كلمة لتناسب القافية، ومثال عليه تغير عبد الله إلى عبد الإله.

٨- التفصيل: وهو ألا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض، فيقدم ويؤخر، كما قال دريد بن الصمة[١]:

---

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١٩٩٤م، ص ٤٥-٤٧.

[٢] عبيد الله بن مسعود الهذلي، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب من سعد بن هذيل. ؟ - ٩٨ هـ/؟ ٧١٦ م، شاعر مجيد، وعالم مقدم بالأحكام والحلال والحرام، وهو من حلفاء بني زهرة من قريش وعداده فيهم. كان جده عتبة صحابياً، وقد ولد عبيد الله في عهد الراشدين، ونشأه أبوه نشأة إسلامية، فروى الحديث عن أبيه وعمه عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وغيرهم الكثير. وقد وصل إلى مرتبة متقدمة من العلم حتى أن عمر ابن عبد العزيز كان يقول: لأن يكون لي مجلس من عبيد الله أحب إلي من الدنيا. ولي قضاء الكوفة في ولاية المختار بن أبي عبيد الثقفي، وعمي آخر عمره.

وبلغْ نميراً، أن عرضتَ، ابن عامرٍ فأيُّ أخ في النائباتِ وطالبِ

ففرق بين نمير بن عامر بقوله: أن عرضت[2].

٩- التضمين: وهو أن يتصل آخر البيت بأول الذي يليه، ومثال عليه:

وَما أدري إذا يَمَّمتُ وَجهاً أُريدُ الخَيرَ أيُّهُما يَليني

أَالخَيرُ الّذي أنا أبتَغيهِ أم الشَرُّ الّذي هُوَ يَبتَغيني

فلا يكتمل معنى البيت إلا بالبيت التالي[3].

أما الرجز ففيه ثلاث عيوب هي: الأفجاء، والأنكاف، والنكش، وبين ذلك أبو عبيدة بقوله:"اجتمع ثلاثة من بني سعد يراجزون بني جعدة، فقيل لشيخ من بني سعد: ما عندك. قال: أرجز بهم يوما إلى الليل لا أفنج. وقيل للآخر: ما عندك. قال: أرجز بهم يوما إلى الليل لا أنكف[4]. فقيل للثالث: ما عندك. قال: ارجز بهم يوما إلى الليل لا أنكش[5]"[6].

وكان الشعراء قبل الإسلام يسرقون الشعر، والسرقة في الشعر نوعان:

١- التنخل: وهو أخذ خيار القصيدة ووضعها في شعر.

٢- التنحل: وهو انتحال القصيدة بالكامل[7].

---

[1] دُرَيد بن الصِمّة، دريد بن الصمة الجشمي البكري، من هوازن. ؟ - ٨ هـ/؟ ٦٢٩ م، شجاع من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية، كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو منة غزوة لم يهزم في واحدة منها. وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه، أدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين. وقد استصحبته هوازن معها تيمّناً به وهو أعمى.

[2] **قدامة**، قدامة بن جعفر بن قدامة، ت ٣٣٧هـ، نقد الشعر، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٢٤٨.

[3] **الخوارزمي**، محمد بن أحمد بن يوسف ت ٣٨٧ هـ، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١١٨.

[4] وفلان بحر لا يُنكف أي لا يُنزح، ابن منظور، لسان العرب مادة **نكف**.

[5] النَّكْشُ: شِبْهُ الأثي على الشيء والفراغ منه، ابن منظور، لسان العرب، مادة **نكش**.

[6] الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ٥٨١.

[7] أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ١/ ص ٩٥، والأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٥/ ص ١٥.

على أن بعض الناس خلطوا في أبيات الشعر، فنسبوا بعض الأشعار لغير أصحابها، فعندما يجدها الأديب في شعر غيره يضنه سرقها، وكان النابغة الجعدي[1] دخل على الحسن والحسين فاستنشداه، فأنشدهما:

الحَمدُ لِلهِ لاَ شَرِيكَ لَهُ   مَن لم يَقُلها فَنَفسَهُ ظَلَما

(فقالا: يا أبا ليلى، ما كنا نروي هذا الشعر إلا لأمية بن أبي الصلت، فقال: يا بني رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لصاحب هذا الشعر وأول من قاله، وإن السروق لمن سرق شعر أمية)[2].

٥- الإسلام والشعر:

لقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم الشعراء المسلمين على التصدي لشعراء العرب الذين عادوا الإسلام، ولم يكن موقف الإسلام من الشعر بذاته بقدر ما ركز على محتواه، فإذا كان الشعر يلتزم بالدين والأعراف، ويبتعد عن الفحشاء وإيذاء الناس كان الإسلام مقرا له، لهذا قدر الإسلام أشعار الحكماء والبلغاء، وقدر الرسول صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير في مدحه له بإلباسه بردته[3]. و"عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ فَقَالَ كانت أَنْشِدُ فِيهِ وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَجِبْ عَنِّي اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ قَالَ نَعَمْ"[4].

كذلك لم يقف الإسلام من النشيد والحداء والغناء موقف الناهي، بل كان الأمر فيه كما الشعر ما ابتعد عن اللفظ الفاحش، وعن العزف المودي بصاحبه للجهل، فكان أنْجَشَة وهو عَبْد الأسْوَدُ حسن الصوت بالحُدَاءِ، يحدوا بأزواج النبيّ صلى الله

---

[1] النَابِغَةِ الجَعدِيّ، قيس بن عبد الله، بن عُدَس بن ربيعة، الجعدي العامري، أبو ليلى. ٥٤ ق. هـ ٥٠ هـ/ص ٥٧٠ - ٦٧٠ م، شاعر مفلق، صحابي من المعمرين، اشتهر في الجاهلية وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثمَّ نبغ فقاله، وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام. ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم، وأدرك صفين فشهدها مع علي كرم الله وجهه، ثم سكن الكوفة فَسَيّره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها وقد كُفَّ بصره وجاوز المائة.

[2] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ١١/ ص ١٠.

[3] المصدر نفسه، جـ ١٦/ ص ٢٤٧.

[4] البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧، جـ٣/ ص ١١٧٦.

عليه وسلم في حجة الوداع، فأسرعت الإبل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ»[1].

وكانت عائشة من اشد المسلمين في طلب العلوم، فكانت تعلم بالفرائض والحديث والسنن، والى جانب ذلك كانت تحفظ الشعر، وكثيرا ما كانت تترحم على لبيد وتقول:

قَضِّ اللُّبانة لا أبالك واذهبِ ... والحق بأسرتك الكِرام الغُيَّبِ

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم ... وبقيتُ في خَلَف كجِلْدِ الأجرب

ثم تقول:"إني لأروي ألفَ بيت له، وإنه أقلُّ ما أروي لغيره"[2].

وكانت عائشة تدعو المسلمين إلى تعلّم الشعر وذلك كي يتعلّموا اللغة العربية بشكل سليم، وكانت تقول:"روّوا أولادكم الشعرَ تعذُب ألسنتهم"[3]. وكان ابن عباس يدعو إلى تعلّم الشعر خاصة شعر الحجاز لتعلّم اللغة العربية، إضافة إلى أنّه كنز من العلوم، وكان يقول:"الشعر علّم العرب وديوانها فتعلّموه، وعليكم بشعر الحِجاز"[4].

وكان عمر بن الخطاب يدعو إلى تعلّم الشعر خاصة العفيف منه، وكان السبب في ذلك لأنه يعرف الناس مكارم الأخلاق وينهى عن السيئ منها، فكان الشعر مدرسة العربي ومربيه، لهذا شجع الإسلام على تعلّمه[5].

وكان بعض العرب يتخوف من رواية الشعر وتعلّمه، لكن الخلفاء شجعوه بل أمروا به فهذا معاوية يكاشف ولدا لزياد ابن أبيه عن معرفته فوجده ملما بكل العلوم الا الشعر فأمر والده بتعليمه الشعر، وكان عبد الملك يأمر مؤدب ولده بتعليمهم الشعر، ويقول:"روّهم الشّعر يَمْجدوا ويَنْجدوا"[6].

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧، جـ ٥/ ص ٢٢٧٨، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ١/ ص ١٦٨.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٥/ ص ١٢٤.

[3] المصدر نفسه، جـ ٥/ ص ١٣٠.

[4] المصدر نفسه، جـ ٥/ ص ١٢٤.

[5] أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ٢٠٠٣، ص ٤٩.

[6] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٥/ ص ١٢٤.

الفصل السادس: الخطابة والقصص.

وأصل الخطابة من الخطب وهو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، وهو الشأن الجليل ومن ذلك قولهم:"جل الخطب: أي عظم الأمر والشأن"[1]. والخطابة تتناول أهم أمور العرب، فنرى الخطباء وقت الحرب أول المشجعين للحرب، ووقت الصلح أول المصلحين، وفي الزواج أول المتقدمين، وهكذا نرى أن الخطيب حكيم، رزين العقل، راجح في ذهنه، وفي كل أمر، ولهذا كانوا يعدون للأمر قبل الإقدام عليه بجمع الحكم والعبر من أمور العرب، وتعلّم النسب وأيام العرب وبعض المعارف وفنون اللغة، وحتى حفظ خطب غيرهم، واللطيف من القول والفكر، ويحشدونه لليوم المشهود.

كما كانت السن مهمة حتى يكون الرجل خطيباً ويسمع منه، فكلما زاد عمر الرجل كلما أحكمته التجارب ورجح عقله[2]. وذلك لصعوبة الحصول على المعرفة آنذاك إلا من أفواه الرجال.

وكانت الخطابة تحتاج من الخطيب إلى بذل مجهودات مختلفة لتحصيل عدة علوم منها، معرفة أخبار الأولين والمعاصرين، ومعرفة أشعار العرب وحكمتهم، إلى جانب ثقافة واسعة تشمل المعارف السائدة في المجتمع، وربما وقف الخطيب في محفل يضم من العرب ما يضم فيجب أن يرضي الجميع دون استثناء، وأن تكون ثقافته متناسبة مع علوم العرب، وربما احتاج أن يقف موقفا أمام غير العربي من الملوك المجاورين فيحتاج إلى ثقافة تصل إلى معارف الأمم حوله.

والخطيب بحاجة إلى التدريب، فالخطيب بحاجة إلى تدريب لسانه على مخارج الحروف، وحتى لا يتعرض للحبسة أو الرهبة من ارتقاء المنابر، كما عليه مداراة مشاعر الناس وتحمل الأخطاء والإساءة منهم دون أن يكون ذلك قدحا فيه، بل

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **خطب**.
[2] علي، المفصل، ١٩٧١م، جـ ٤/ ص ٥٦١.

يكون حاضر الإجابة وقادرا على الرد المناسب لكل واحد منهم دون الإساءة إلى قومه[1].

ومع هذا فلم يكن كل الخطباء يتمتعون بهذه الميزات كاملة، فرغم التدريب بقيت عيوب خلقية ظاهرة في الإنسان، لكن التي في اللسان كانت أشد منها في الجسد، ونتبين هذا في مواقف جرت مع عدد من الشخصيات الإسلامية، وهذا الأحنف بن قيس رغم عرجه ونحفه وكل العيوب الجسدية فيه، لكنه كان إذا تكلم أخفى كل عيوبه بسحر كلماته، وكذلك كان واصل بن عطاء رغم فصاحته وطلاقة لسانه لكنه كان ألثغ، وليعوض النقص في لسانه كان يتعمد أن لا يتكلم بالكلمات التي تحتوي حرف الراء، وهذه بعض الأمثلة على مدى اهتمام الخطباء بأن لا يظهروا للعامة عيبا يخل بقدرتهم على إقناعهم[2].

ومن أهم مقومات الخطابة البلاغة، والإلمام بأساليب النثر والنظم، فكما يجب عليه معرفة كيفية إلقاء النثر، كذلك عليه معرفة كيفية إلقاء الشعر، والخطباء كثر، فربما احتاج الشاعر أن يقف موقف الخطيب، وربما احتاج إليها السيد والوالي والأمير والفارس، وكل رجل حسب مكانه، لهذا احتاج إلى تعلّم مبادئها عدد كبير من الناس.

وتتبع الخطبة ترتيبا متتاليا، فتبدأ الخطبة بمقدمة وعادة تكون تقليدية الطابع معروفة المنهج بين العرب، كذلك للشعر الخطابي مقدمات مثل النثر، فعندما وقف كعب بن زهير بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم سار في البردة مسير الخطيب في النثر، فبدأ بمقدمة شعرية معروفة تناسب هذا الموقف، وكذلك نجد العربي يتبع في أقواله المشهور من أقوال العرب في الخطابة، وعادة يكون تمهيداً للفت نظر المستمعين لإبراز قدراته الصوتية واللفظية وصحة موقفه، لهذا يعمد أولا للكلام السهل المعروف عند الناس ليترك للناس الحكم على قدراته.

---

1 أبو زهرة، محمد، الخطابة، أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٨٠م، ص ٢٥.
2 المصدر نفسه، ص ٦٣.

ويفضل أن تكون المقدمة بسيطة الطابع سهلة الألفاظ تشد السامعين وتجذبهم وتمهد للخطبة، لذلك يفضل أن تكون المقدمة تتعلق بالخطبة، فللحماسة مقدمة، وللصلح مقدمة، وللمسلمين مثلا في خطبهم مقدمة تبدأ بالتحميد والتمجيد لله والصلاة على رسوله وصحبه، وسموا خطبة من لم يبدأ بها بالبتراء، وسموا الخطبة التي لم تتوشح بآيات من القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه، سموها بالشوهاء[1].

ثم المتن: وهو القسم الأكبر من الخطبة، وهو يشتمل على الأفكار التي يود الخطيب أن يطلع عليها المستمعين له، وهي يحتاج الخطيب ان يرتب الأفكار بشكل جيد، وسلاسة في الأسلوب، والانتقال من حال إلى حال حتى الوصول إلى الفكرة الرئيسة، كذلك يحتاج إلى وضوح المعاني، وبلاغة الألفاظ، إلى جانب المحسنات اللفظية مثل السجع والجناس والطباق، كما يورد في خطبته القصص والأمثال وأجمل الأشعار لتشويق المستمعين[2].

ثم ينتقل إلى الخاتمة وهي تحتوي موجزاً عن الخطبة، وتكون عادة مركزة وواضحة الأهداف، لأنَّ الخاتمة آخر ما يصل إلى مسامع الناس، ولهذا كان يركز على مطالبه من الناس[3].

وكتب الأدب مليئة بأسماء الحكماء الخطباء، ولعل أشهرهم قُسّ بن ساعدة الأيادي، وأكثم بن صيفي التميمي، ولقيط بن معبد، وهند بنت الخُسّ[4]، وجُمعة بنت حابس، و قيس بن عاصم المنقري وغيرهم كثير[5]، وهم من البارزين في قومهم وفي

---

[1] **القوال**، أنطوان، فن الخطابة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٣.
[2] المصدر نفسه، ص ١٤.
[3] المكان نفسه.
[4] الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨، جـ١/ ص ٤٢.
[5] انظر: (المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٦٩، و الأمالي للقالي، دار الكتب العلمية. جـ ٢/ ص ٣٧، و**البيهقي**، إبراهيم بن محمد، ت ٣٢٠هـ، المحاسن والمساوئ، تحقيق محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٤٤٨، و**التلمساني**، محمد بن أبي بكر بن عبد الله، ت ٦٨٠هـ، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، تحقيق د، محمد التونتجي، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ١٩٨٣م، جـ١/ ص ٤٧٨، و**الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ، كتاب البرصان والعرجان والعميان و الحولان، تحقيق عبد السلام

العرب، ورأيهم القاطع مسموع خاصة عند الشدائد والمحن، حيث يذكر من نسي؛ ويشحذ ذهن من فتر ويشجع من جبن ويعلّم الجاهل، ورب رجل ما سمع بالأمر حتى يقع فيه فيكون قوله أكثر تأثيرا وصدىً عند سامعه[1]. ثم يرتبط انتصاره وفخاره بتلك الصورة، حتى لو هزم يعلّم أن ذلك من مخالفته للرأي الصواب فينقص من نفسه لا من الخطيب، وقد كان العربي يقف خطيبا فيصير كلامه أمثالٍ سائرة، ثم تجد هذا الرجل وقد أصبح الناس يتمثلون بكلامه لما فيه من النفع ويقيمون كلامه مقام العلّم والمعرفة، ويصير الشاهد على أفعالهم والمقيم لأقوالهم[2].

وهناك عيوب تمنع الخطيب من الخطابة والوقوف على المنابر، مثل التهتهة والثقل باللسان - الرتة -، ومنها سقوط الأسنان، وسقوط الأسنان الأمامية اضر بالخطيب من سقوط كل أسنانه، إضافة إلى عيوب في النطق مثل: الثعثعة: وهي إبدال الثاء بالعين، والتمتمة: وهي التردد في لفظ التاء، والفأفأة: وهي غلبة الفاء على الكلام، واللثغة: وهي سوء في مخرج الراء واللام والقاف والسين، قال أبو الزّحْف:

لست بفأفاءٍ ولا تَمتام ‏ ‏ ‏ ‏ ولا كثير الهُجْر في الكلام[3]

وهناك عيوب ناتجة عن الارتباك مثل:

١- اللجلجة: وهي التردد وعدم إخراج الكلام أثر بعضه.

٢- الجلجلة: وهو تردد الكلام في الفم وعدم القدرة على إخراجه.

٣- العقلة: وهو إمساك الكلام واحتباسه.

٤- التلعثم: وهو الإبطاء بالجواب.[4]

وهناك عيوب ناتجة عن السرعة في الكلام مثل:

١-العجلة والبعبعة: وهي السرعة في الكلام مما يجعله غير واضح.

محمد هارون، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م، ص ٨٩، وابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٢/ ص ١٣٦، ودروزة، تاريخ الجنس العربي، ١٩٦١م، جـ ٥/ ص ٢٢٦).

[1] القالي، الأمالي، دار الكتب العلمية، جـ١/ ص ١٦٩.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٧، جـ١/ ص ١٤٦.

[3] المصدر نفسه، جـ ١/ ص ٣٥، والقوال، فن الخطابة، ١٩٩٦م، ص ١٧.

[4] القوال، فن الخطابة، ١٩٩٦م، ص ١٨.

٢-العطعطة: تتابع الأصوات واختلاطها في الحرب[١].

وهناك عيوب ناتجة عن خفض الصوت خوفا من الوقوع بالخطأ مثل:

١-الغمغمة: وهي أن تسمع الصوت لا تتبين مقاطعه.

٢-الهمس: وهو الكلام الخفي.

٣-الهمهمة: وهو أن يردد الكلام في صدره وعدم إخراجه.

٤-الدندنة: وهو الكلام الخفي الذي لا يفهم[٢].

وهذه العناصر تميز الخطيب المبدع من غيره، لذلك كان الخطباء يجتهدون في محاولة للتغلب على هذه العيوب بالتدريب المتواصل، وكانت القبائل تختار خطباءها وتقدمهم في المحافل مثل سوق عكاظ حيث كانوا يتعاكظون[٣] فيه بالخطب الطوال التي يذكرون فيها مفاخر القبيلة ويذمون غيرهم.

وبعد الإسلام دخلت عناصر غريبة على الإسلام، ولم يكن هؤلاء لديهم القدرة على لفظ اللغة العربية كما لفظها غيرهم، فيميل ذوو الأصول الرومية إلى استخدام السين كثيرا، بينما تختفي بعض الحروف العربية من لغتهم، وهذا يجعل التكلم بالعربية أمرا صعبا، ومن الحروف التي يظهر فيها الخلل: الحاء هاء، والقاف كافا، والسين شينا، والزاي سينا، والعين همزة، والطاء تاء، والذال دالا[٤].

وكان بعض الخطباء قد نال من التشريف مكاناً عالياً بالصلح بين قوم تفانوا بحرب ضروس بحكمة وبيان ومنطق لسان، فقد أصلح قيس بن خارجة بحرب داحس والغبراء، بين عبس وذبيان من غطفان. فأرضى كل ساخط وحرض الناس على التواصل وقبول الصلح، بخطبة من لدن طلوع الشمس حتى غروبها، حتى تراضى القوم، فضرب العرب المثل بخطبته وسموها (العذراء)، ولم تختلف مكانته يومئذ عن أولئك الذين حملوا الديات بأموالهم، وقال به عجلان بن سحبان:

---

[1] القوال، فن الخطابة، ١٩٩٦م، ص ١٩.

[2] الآمدي، المؤتلف والمختلف، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٧.

[٣] سميت عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيها فيَعْكِظ بعضُهم بعضاً بالمُفاخَرة أي يَدْعَكُ، (ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **عكظ**).

[4] القوال، فن الخطابة، ١٩٩٦م، ص ١٨-١٩.

ولا كأخي ذهل إذا قام قائلا   ولا الأسلع الحمال حين يجيب[1]

و كان بعض هؤلاء الخطباء قد نال من المكانة ما أهله للوصول إلى الملوك، وبلغ صيتهم القفار البعيدة، وأصبح لقولهم رنين يتمثل به، فعندما وفد حشم بن عمرو ابن سعد على النعمان عجب من شكله - وكان دميماً قصيراً أسود- رغم صيته وشرفه بين العرب. فقال النعمان متعجباً:"تسمع بالمعيدي خير من أن تراه"، فلما حدثه علم فضله وأن المرء بلسانه وعقله حتى نادمه[2]، وكذلك قس بن ساعدة الذي ذكر أنّه وفد على قيصر، وحادثه بحكمة وبيان، ولعل قس بن ساعدة أكثر من اشتهر من الخطباء حتى ضرب به المثل وفيه قال الأعشى:

وابلغ من قس وأجراء من الذي   بذي الغيل من خفان أصبح خادراً[3]

و ليس كل من تعامل بالخطابة اشتهر، وليس كل من امتلك الحكمة والمعرفة نجح بسعيه حتى يعد في مصاف الخطباء، فهناك شروط أخرى يجب أن تتوفر بالخطيب ومنها ما هو نفسي، ومنها ما هو جسدي وفي ذلك يقول أبو الزحف[4] يذكر صفات الخطابة:

لست بفأفاءٍ ولا تَمتام   ولا كثير الهُجْر في الكلام[5]

وقال الشاعر يذكر مساوئ خطيب:

مَليٌّ ببُهْرٍ والتفَاتٍ وسَعْلةٍ   ومسحةِ عُثنونٍ وفتل أصابع[6]

و يظهر أن الخطابة كانت اختصاصاً أكثر من كونها موهبة، حتى أن بعض القبائل اشتهرت بكثرة خطبائها وفي ذلك قال قيس بن عاصم يمدح بني منقر:

خُطَباءُ حينَ يَقومُ قائِلُهُم   بيضُ الْوجوهِ مَساقِعُ لُسنُ[7]

---

1 الجاحظ، البرصان، ١٩٨٢م، ص ٨٩.
2 التلمساني، الجوهرة، ١٩٨٣م، جـ١/ ص ٤٧٨.
3 البيهقي، المحاسن والمساوئ، ١٩٩٥م، ص ٤٤٨، والمسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٦٩، و القالي، الأمالي، دار الكتب العلمية، جـ٢/ ص ٣٧.
4 أبو الزحف الراجز شاعر عباسي، (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١٩٩٤م، ص ٤٦٢).
5 الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ٣٥.
6 ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ١/ ص ٨٨ وجـ٤/ ص ١٤٦.
7 المصدر نفسه، جـ٢/ ص ١٣٦.

ولما قدم وفد إياد على النبيّ صلى الله عليه وسلم سألهم عن قس بن ساعدة، وكان قد مات، فقال:"كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه". فقام رجل من قومه وكان يحفظ أقواله فقال:"أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. ليل داج، وسماء ذات أبراج، بحار تزخر، ونجوم تزهر، وضوء وظلام، وبر وآثام، ومطعم ومشرب، وملبس ومركب. مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا..... ثم أنشأ يقول:

في الذاهِبينَ الأوَّليـــ نَ مِنَ القُرونِ لَنا بَصائِـر

لَمّا رَأيتُ مَـــواردا لِلمَوتِ لَيسَ لَها مَصـــادِر

وَرَأَيتُ قَومي نَحوَها تَمضي الأصاغِرُ وَالأكابِر

أيقَنتُ أنّي لا مَحـــا لَةَ حَيثُ صارَ القَومُ صائِر[1]

فكان يجمع في خطبته العلوم العامة والمعارف العربية إلى جانب الحكمة، وكان يجمع إلى جانب الخطابة الشعر، والخطباء كثيرون والشعراء أكثر منهم، ومن يجمع الخطابة والشعر قليل ومنهم عمرو بن الأهتم المنقري وهو المكحل، كان شعره في مجالس الملوك حلل منشرة[2].

وليس في العرب وقبائلها أمهر من بني تميم وإياد في الخطابة والبلاغة، فعندما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر قال:"مانع لحوزته مطاع في أدنيه"فغضب الزبرقان من قوله وبين للرسول أن ما يعرفه عنه أكثر من ذلك الشرف الذي حجمه به، وإنما قال ذلك حسدا، فكأنه يبين كذبه أمام الناس، فعندها رد عليه، بما يسوءه فقال عمرو:"أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر، زمر المروءة، لئيم الخال، حديث الغنى"، فأنكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ما جرى من تبدل قوله، فلما رأى ذلك قال:"يا رسول

---

[1] المناوي، فيض القدير، ١٣٥٦هـ، جـ ٤/ ص ٢٩، والأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ١٥/ ص ٢٣٦.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ٤٢.

الله رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الآخرة، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم عند ذلك:"إن من البيان لسحرا"، فهذه الميزة عند الخطيب العربي التي يرفع بها إنسانا ويحط من قدره في مجلس دون أن يخالف نفسه أو يكذب هي الدليل على مهارة العرب في الخطابة[1].

والخطب العربية تقسم حسب الطول إلى قسمين منها الطويلة والقصيرة، ولكلٍّ منها موضعها الذي تحسن فيه أن تكون طويلة أو قصيرة، والقصار تمتاز عادة بالجودة، بينما تتفاوت الطوال بين أن تكون جيدة ككل وبين أن تكون بها فقرات جياد وأخرى دونها، ومنها لا تجد فيها إلا النتف الجياد والباقي حشو كلام[2]. ولا يستحسن من كلِّ الخطباء الإطالة إلا لمن كان لديه القبول ولكلامه استحسان عند الناس[3].

وتقسم الخطب قبل الإسلام إلى عدة أنواع منها:

١- الخطب الحماسية: وهي خطب الحرب والتشجيع لها، وعادة ما يلقيها الفرسان ورؤساء القبائل قبيل الحرب.

٢- الخطب الاستشارية: وهي خطب تتم في الأندية وتكون عادة لمناقشة موضوع خطير يحتاج إلى إقناع الأغلبية في اتخاذ قرار، مثل المناقشات التي كانت تتم لمناقشة موضوع الإسلام، مثل كيفية التعامل مع المسلمين في الحصار، أو التخلص من الرسول، أو كيفية الرد عليه وعلى أفكاره، أو لعقد حلف مثل حلف الفضول، وغيرها من الموضوعات المهمة.

٣- خطب الصلح: مثل الصلح في حرب داحس والغبراء.

٤- الخطب الوعظية: مثل الخطب التي كان يلقيها كبار خطباء العرب في المحافل والأسواق.

---

[1] ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، جـ ٧/ ص ٣٨؛ والجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ١٣٣.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ٢١٧.

[3] العمري، محمد. في بلاغة الخطاب الاقناعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، ص ٢٩.

٥- خطب المفاخرات: مثل التي كانت تحصل في الأسواق أو بين القبائل، أو بين الأفراد[1].

أما بعد الإسلام فقد تغيرت أسباب الخطابة، وظهرت لها عدة أغراض جديدة مثل:

١- الخطب الدينية: وهي الأشهر، ولها عدة أنواع، منها خطبة الجمعة، وخطبة العيدين، وخطب في مناسبات مختلفة مثل: الوفاة، وصلاة الاستسقاء، وصلاة الكسوف والخسوف، وغيرها من المواقف التي تستدعي التذكير.

٢- الخطابة السياسية: وكانت في بداية الإسلام تتم مع خطبة الجمعة، ولكن بعد ذلك صار يدعى إليها في المساجد، ثم لم يلبث القادة والخلفاء أن صاروا يجتمعون مع الجنود والرعية في أي مكان للحديث حول موضوعات تتعلق بهم، وصار الخلفاء والأمراء يتخذون بعد ذلك المناسبات الدينية وغيرها من المناسبات لطرح الأفكار السياسية، كذلك صارت المعارضة مثل الخوارج والمرجئة والشيعة تتخذ الخطابة للترويج إلى أفكارها، واشتهر منهم المعتزلة، خاصة واصل بن عطاء[2].

القصص والتاريخ وأيام العرب:

اهتم العرب قبل الإسلام بالقصص، وكانوا يعرفون عددا كبيرا من القصص، وكانت مجالسهم وسمرهم لا يخلو من القصص، واختلفت القصص وتنوعت، فالقسم الأول منها يتحدث عن العرب البائدة مثل: ثمود وعاد ومدائن صالح والعمالقة، وعن العرب خارج الجزيرة مثل قصة قصير وتدمر، وقصصا عن الدولة البابلية ودولة حمورابي، وإضافة إليه كان العرب يتناولون قصص العرب في الجنوب مثل قصة سبأ وانهيار السد، ودخول الحبشة والفرس إلى اليمن، وغزو الكعبة من قبل أبرهة،

---

[1] المصدر نفسه، ص ٤٠- ٤٥.

[2] المصدر السابق، ص ٤٦.

الفجار الأولى والثانية. إضافة إلى تاريخ العرب في الشمال مثل الغساسنة والمناذرة وبعض اشهر أيامهم، مثل: يوم حليمة بينهما، وذي قار بين المناذرة وشيبان والفرس، حيث سجل العرب فيها نصرا مؤزرا على الفرس.

إضافة إلى ما سبق نذكر قصصا أخرى كان العرب يتحدثون بها للوعظ والإرشاد، وهذا مثال عليها: ففي مجلس اجتمع به رجال مكة فتحدثوا عن نصرة الأحلاف وتداولوا أمر الغزال، فقال لهم رجل يسمى أبو احيحة: "أطيعوني ولا تعرضوا إلى أمر هذا الغزال فإن عندي منه علماً، قالوا: ما علمك؟ قال: حدثني أبي عن أبيه أن قبيلتين من العرب نزلتا مكة فأهلكوا في شأن ظبي قتله رجل منهم، فاستؤصل أحرارهم ورقيقهم، قالوا: ما سمعنا بهذا، قال: بلى وعندي به شعر قاله عبد شمس، قالوا: فأنشدهم: الرمل

يا رجلات قصي بلـــــــد	من يرد منه ملذات الظلم
يقرع السن وشيكاً ندمـــاً	حين لا ينفع عذر من ندم
طهروا الثوب لا تلتحفوا	دون دين الله منها بنقـــم"[1]

وكان العرب قبل الإسلام تتحدث عن العرب البائدة وتذكر أخبارها، وهم العرب الذين محت ديارهم الرمال المتحركة والجفاف المتواصل، فسكن مكانهم الوحش، فكانوا يذكرون تاريخهم في مجالسهم وأشعارهم، ويضربون بهم الأمثال، ويذكرون أسباب حلول الخراب في ديارهم مثل الرياح الشديدة المحملة بالرمال، ومشاكل في المياه، كأخبارهم عن وادي القرى والصُّمَّان والدهناء والرمل في يبرين، ويرون في أخبارهم عظة لهم، ويتناولوها كخبرة لهم في الحياة، إضافة إلى وسيلة للتسلية[2].

وعلم التاريخ وأخبار الأمم الماضية كثير في القرآن والسنة، قال تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} [سورة آل عمران: ٤٤]. وقال تعالى: {تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ

---

[1] ابن حبيب، المنمق، ١٩٨٥م، ص ٦٧.
[2] المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ١٤٢.

وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هذا} [سورة هود: ٩٤]. وفي الحديث النبوي نجد قصصا أخرى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في بناء البيت، وغير ذلك من أحداث جرت مع الأنبياء والأمم السالفة وما تعرضوا له من صنوف العذاب وهم محافظون على دينهم.

كما نجد القرآن قد تحدث بهذه القصص ردا على قصاص العرب، خاصة تلك الفئة التي لم تكتف بإيراد قصص العرب بل حاول بعض القصاص أن يأتي بالغريب لاستثارة الناس، فمالوا إلى ترجمة قصص كسرى واسفنديار واخذوا يتحادثون بها في مجالسهم، فرد عليهم القرآن بقوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَص)(يوسف: من الآية٣)، وبعد هذا نجدهم يميلون إلى تحدي الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بقصص كانوا قد سمعوا عنها من الأحبار واليهود ومن أهل الكتاب، وكل ذلك يدل على أن العرب كانوا يهتمون كثيرا بقصص العرب وغيرهم.

الفصل السابع: علّم الأنساب.

قسم علّماء الأنساب العرب الناس على ما أعتمد عليه العرب منذ ما قبل الإسلام، فقسموا الشعوب والقبائل إلى أقسام من الأكثر إلى الأقل عددا، وبينوا أن القسيم الى قبائل عند العرب خاصة[1]، فكان ابن الكلبي يقول: (الشّعب أكبرُ من القبيلة ثم العِمَارة ثم البَطْن ثم الفَخِذ ثم العَشِيرة ثم الفَصِيلة)، بينما مال البعض إلى القول: (الشّعوبُ العَجَم والقبائل العرب)[2]، وسمي الشعب بذلك لأنّ القبائل تتشعب منه[3].

وسميت القبائل قبائل لأنها تتقابل أي تتناظر في النسب والمكانة وتتكافأ بالدماء، وقيل للشعب شعبا بسبب تشعب القبائل منه، بينما سميت العمائر من الاعتمار وهو الاجتماع، وقيل للبطون بطون حسب تقسيم جسم الإنسان، فتكون الجمجمة الأساس، ويتفرع عنه البطن، ثم الفخذ، ثم العَشيرة، وهي رَهط الرجل، ثم الفَصيلة، وهي أهلُ بيت الرجل خاصة. قال تعالى: (وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ) (المعارج:١٣)، وقال تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء:٢١٤)[4].

أما تقسيم الأرحاء والجماجم فقد كانت أرْحاء العَرَب سِتّاً وجَماجمها ثمانياً، فالأرحاء الست تقسم كالتالي:

١ـ مُضَر منها اثنتان:

أـ تَميم بن مُرّ.

بـ أسد بن خُزَيمة.

٢ـاليمن:

---

[1] **مونس**، د، حسين، تاريخ قريش، دراسة في تاريخ أصغر قبيلة عربية جعلها الإسلام أعظم قبيلة في تاريخ البشر، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٨م، ص ٢١٦.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلّمية، جـ٣/ ص ٢٩٠.

[3] **القلقشندي**، أحمد بن عبد الله، ت ٨٢١هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق د. يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، جـ١/ ص ٣٦٠ ص.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلّمية، جـ٣/ ص ٢٩٠.

أ- كَلْب بن وَبْرة.

ب- طيئ بن أدد.

٣- ربيعة: وفيها اثنتان.

أ- ضبيعة.

ب- خثعم.

وسُميت هذه أرْحاء لأنها كانت قادرة على حفظ دورها ومياهها، ولم تغادر دورها بل استمرت في منازلها ودارت حول مياهها كالرحى حول محورها، ولم ترتحل للنجعة[1] في سنوات الجدب[2].

وقيل للجَماجم جماجم لأنها يَتفرع من كلّ وَاحدة منها قبائل اكتفت بأسمائها دون الانتساب إليها، فصارت كأنها جَسَد قائم وكلّ عُضْو منها مُكْتَفٍ باسمه مَعْروف بمَوْضعه، والجماجمُ ثمانٍ تقسم كالتالي:

١- اليَمن: وفيها اثنتان:

أ- مَدْحج، وهو مالك بن أدد بن زَيْد بن كَهلان بن سَبَأ.

ب- وقُضاعة بن مالك بن زيد بن مالك بن حِمْير بن سبأ.

٢- رَبيعة: وفيها اثنتان:

أ- بكر بن وائل.

ب- وعبدُ القَيْس بن أقصى.

٣- مُضر: وفيها أربعة:

أ- اثنتان في قَيْس:

١- غَطَفان.

٢- وهَوَازن.

ب- اثنتان في خِنْدف:

---

[1] نجع: والنُجْعَةُ بالضم: طلبُ الكلأ في موضعه. والمُنْتَجَعُ: المنزلُ في طلب الكلأ، (الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، مادة **نجع**).

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٣/ ص ٢٨٩.

١- كنانة.

٢- وتَميم[1].

فتَغْلب ليس لها بطون تُنسَبَ إليها كما تُنسب إلى بطون بكْر بن وائل لأنَّ بكراً جُمْجمة، وتَغْلب ليست جُمْجمة[2].

وجمرات العَرب أرْبعة وهمْ:

١- بنو نُمير بن عامر بن صَعْصعة.

٢- بنو الحارث بن كَعْب.

٣- بنو ضبَّة.

٤- بنو عَبْس بن بَغِيض.

وقيل لها الجَمَرات لاجتماعهم، والجَمْرة الجَماعة، والتَّجْمِير التَجْمِيع[3]، وسميت هذه القبائل جَمَرات، لأنها تجمّعت في أنْفسها ولم يُدْخِلوا معهم غيرَهم، ومنه قيل: جَمْرة العَقبة، لاجتماع الحَصىَ فيها. واختفت جمرتان من جمرات العرب، منها بنو ضَبَّة، لأنها تحالفت مع الرِّباب، وبنو الحارث لأنها حالفت مَذْحج، وبَقيت بنو نُمير لأنها لم تتحالف مع غيرها[4].

ويقسم العرب النسب حسب ترتيب معروف عندهم ويكون على النحو التالي:

١- الشعب: وهو النسب الأبعد مثل عدنان.

٢- القبيلة: وهي ما انقسم فيها الشعب، مثل: ربيعة ومضر.

٣- العمارة: وهي أقسام من القبيلة مثل: قريش وكنانة.

٤- البطن: وهو أقسام في العمارة، مثل: بني عبد مناف.

٥- الفخذ: وهو ما انقسم عن البطن مثل: بني هاشم.

٦- الفصيلة: وهي قسم من الفخذ، كبني العباس.

---

[1] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٢٩٠.

[2] المصدر السابق، جـ٣/ ص ٣١١.

[3] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٢٩١.

[4] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٣١٩.

٧- العشيرة: وهم القرابة القريبة.

٨- الأسرة: وهي جزء من العشيرة. و"أسرة الرجل"رَهطه الأدنون، و"فَصيلَته"، و"عِتْرته" كذلك، وهي اصغر الوحدات في النسب[١].

كذلك كان العرب يقسمون النسب حسب المنازل والمدن، والفرق بين القبيلة والحي أن القبيلة ينسب لها بني فلان، ولا ينسب للحي ببني فلان ذلك لأنهم من آباء مختلفين، ومثال الأحياء: قريش، وثقيف، ومعد، وجذام[٢].

وكان العرب يعلّمون النسب لبعضهم البعض حسب مقتضيات الحال، فكانت قريش تهجو المسلمين، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعراء من يرد عليهم، فلم يقبل من أحد حتى دخل عليه حسان ثابت" فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ فَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَعْجَلْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي فَأَتَاهُ حَسَّانُ"[٣]، فكان أبو بكر يدله على أنسابهم؛ فكان يقول له: (كُفّ عن فلانة وفلانة، واذكر فلانة وفلانة)، فكان يهجوهم حسب ما علّمه أبو بكر، فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا:"هذا شعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة"[٤].

وكان أبو بكر اعلم قريش بأنسابها، وأعلم قريش بالأحداث التي جرت في سالف الزمن، وكان رجال قريش يأتونه لطلب علمه ومعرفة تجاربه، ويتعلّمون النسب والتاريخ منه[٥].

---

[1] الجندي، م، اللهجات، ١٩٨٣م، ص ٨١، والقالي، الأمالي، بيروت، جـ١/ ص ٢١، **ابن قتيبة الدينوري**، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦هـ، أدب الكاتب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٢١٤.

[2] الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ١٩٨٩م، ص ١٤٢.

[3] **مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت ٢٦١هـ، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د، ت، جـ ٤/ ص ١٩٣٥.

[4] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٥٤٩.

[5] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٤٨٠.

وكان عَقِيل بن أبي طالِب من أعلَم رجال قريش بأنسابهم، وأيَّامِهَا، لكنهم كانوا يبغضونه لأنه كان يَعُدُّ مَسَاوِيَهُم، وكثيرا ما كان يذكر مثالبهم بدل مفاخرهم، وكانت لـه بعد الإسلام طِنْفسة تُطْرَحُ له في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويجتمع الناس إليه في علم النسب وأيام العرب[١].

وكان دغفلُ النسابة قد تعلّم النسب وأيام العرب والعربية من خلال الاجتماع بأهل العلم من العرب، وكانت مجالسهم تحوي العلماء حيث يجتمع الناس فيها، وكان دغفل النسابة واحدا من العرب الذين نقلوا علوم الأوّل بالسؤال، مع امتلاكه لملكة الحفظ، وكان معاوية قد طلب منه أن يعلّم يزيد انساب العرب، وعلم النجوم، واللغة العربية[٢].

وكانت العرب تعلّم النسب كغيره من العلوم، فقد علّم أبو بكر الصديق عددا من الصحابة منهم جبير بن مطعم بن عدي، فصار من أنسب العرب لقريش وللعرب[٣]، وكان سَعيد بن المُسيِّب نَسابة، وقال رجل: أريد أن تعلّمني النسبَ؛ فقال: إنما تُريد أن تُسَابَّ الناس، فلم يعلّمه[٤].

وكان النسب ينقل ويتعلّم من الأب إلى الابن، أو من معلّم إلى تلميذ، وكان عمر ابن الخطاب، فقد أخذ ذلك عن الخطاب، والخطاب عن نفيل. أما جبير فكان أنسب العرب، وكان أخذ النسب عن أبي بكر الصديق، وعن جبير أخذ سعيد بن المسيب، وروى عن بعض ولد طلحة[٥].

ومن النساب عدد كبير معروف ومشهور مثل: دغفل بن حنظلة، وعميرة أبو ضمضام، وصبح الحنفي، وابن الكيس النمري[٦]. وزيد بن القيس النمري، وصعصة

---

1 المصدر السابق، جـ٣/ ص ٥٦٠.
2 المصدر نفسه، جـ٢/ ص ٧.
3 ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩٢م، جـ١/ ص ١٢.
4 ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٣/ ص ٢٨٠.
5 الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ١٧٠.
6 المكان نفسه.

ابن صوحان العبدي[1]. ومنهم عدد آخر مغمور نستطيع أن نعرفه من بيت شعر يقال هنا أو هناك، سِمَاكٌ العِكرميّ:

فسائِلْ دَغفلاً وأخا هلال   وحمّاداً يُنَبُّوك اليَقينا

وقد ذكرنا دَغْفَلاً، وأخو هلال هو زيد بن الكيِّس، وبنو هلال: حيٌّ من النَّمر بن قاسط، وقال مِسكين بن أنَيف الدّارميّ[2] في ذلك:

وعند الكيّس النَّمَريّ علْم   ولو أمسى بمنُخرَق الشَّمال

وقال ثابتُ قطنة[3]:

فما العِضّان لو سُئِلا جَميعاً   أخو بَكرٍ وَزَيدُ بَنــــي هِلال

وَلا الكَلبيُّ حَمّادُ بنُ بِشـــر   وَلا مِن فادَ في الزَمَنِ الخَوالي

وكان إياس النصري نسابة علامة بأخبار الأول، وكان أبو نوفل بن أبي عقرب - من كنانة- عالما بالنسب مع كونه خطيبا فصيحا، ومن بني كنانة ثم من بني الشداخ، يزيد ابن بكر بن دأب وكان عالما بالأنساب إضافة إلى كونه شاعرا راوية[4].

وكان العرب قد تميزوا بالنسب، فكانت الأمم حولهم لا يعرف الرجل إلا أباه أو جده، وكان العربي قادرا على ربط نفسه بكل قبائل العرب، فلا ينتسب الرجل إلى غير قومه، فحفظوا نسبهم بذلك الحال، حتى صار للعرب هوية يعرف كل رجل

---

[1] **الرافعي**، د، مصطفى، حضارة العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م، ص ٥٨.

[2] مسكين الدارمي، ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عدس بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم المعروف بمسكين الدارمي التميمي. ؟ - ٨٩ هـ/؟ ٧٠٨ م، شاعر عراقي شجاع من أشراف تميم، لقب مسكيناً لأبيات قال فيها:

أنا مسكين لمن أنكرني   ولمن يعرفني جد نطق

له أخبار مع معاوية، وكان متصلاً بابنه يزيد وزياد بن أبيه وكانت بينه وبين الفرزدق والأخطل وعبد الرحمن بن الحكم وعبد الرحمن بن حسان وشائج مودة وهجاء.

[3] ثابت قُطنة، ثابت بن كعب بن جابر العتكي الأزدي أبو العلاء. ؟ - ١١٠ هـ/؟ ٧٢٨ م، من شجعان العرب وأشرافهم في العصر المرواني، يكنى أبا العلاء، وقطنة لقبه لقب به لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه أثناء اشتراكه في حروب الترك، فكان يضع على العين المصابة قطنة فعرف بها. له شعر جيد، شهد الوقائع في خراسان (سنة ١٠٢هـ) حيث أصيب فيها بعينه ولما غزا أشرس بن عبد الله بلاد سمرقند وما وراء النهر، كان ثابت معه، ووجهه في خيل إلى "آمل" لقتال الترك، فقاتلهم وظفر. واستمرت معاركه معهم إلى أن قتلوه في حدود عام ١١٠ هـ.

[4] الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ ١/ ص ١٩٥.

مكانه منها، ليس هذا فحسب؛ بل كان علّم النسب يسير سيرا حثيثا مع السيرة الذاتية للآباء والأجداد، فكان ذلك بداية لنقل التاريخ والمعرفة[1].

ولبيان علاقة النسب بالسيرة والتاريخ لكل القبائل نذكر مثالا محاورة معاوية مع عبد الله بن عبد المدان، (سأل معاوية، عبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان: كيف علمك بقومك؟ قال: كعلمي بنفسي: قال: ما تقول في مراد؟ قال: مدركو الأوتار، وحماة الذمار، ومحرزو الخطار. قال: فما تقول في النخع؟ قال: مانعو السرب، ومسعرو الحرب، وكاشفو الكرب. قال: وما تقول في بنى الحارث ابن كعب؟ قال: فراجو اللكاك، وفرسان العراك، ولزاز الضحاك؛ تراك تراك. قال: فما تقول في سعد العشيرة؟ قال: مانعة الضيم، وبانو الريم، وشافو الغيم. قال: ما تقول في جعفى؟ قال: فرسان الصباح، ومعلّمو الرماح، ومبادروا الرياح. قال: ما تقول في بنى زبيد؟ قال: كماة أنجاد، سادات أمجاد، وقر عند الذياد، صبر عند الطراد. قال: ما تقول في جنب؟ قال: كفاة يمنعون عن الحريم، ويفرجون عن الكظيم. قال: فما تقول في صداء؟ قال: سمام الأعداء، ومسايعر الهيجاء. قال: فما تقول في رهاء؟ قال: ينههون عادية الفوارس. ويردون الموت ورد الخوامس، قال: أنتَ أعلَم بقومك)[2].

ويمكن أن يفيد علّم النسب في معرفة تاريخ العرب، وبيان أيامهم وصناعتهم وطبيعة حياتهم الاجتماعية، وقف مجموعة من الأنصار على دغفل النسابة فحاول معرفتهم، فذكر ميزات كل القبائل حولهم، (فقال: أمن أهل مَجْدها القديم وشَرفها العَمِيم كِندة؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الطّوال"أقْصَباً" المُمَحصَّون نَسباً بنو عبد المدان؟ قالوا: لا؛ قال: فأنتم أقودُها للزُّحوف وأخْرقُها للصفوف، وأضربُها بالسُّيوف رهطُ عمرو بن مَعْد يكرب؟ قالوا: لا قال: فأنتم أحضرها قراء وأطيبُها فِنَاء، وأشدُّها لِقاءً رَهْط حاتم بن عبد الله؟ قالوا: لا؛ قال: فأنتم الغارسون للنّخل، والمُطْعِمُون في المَحْل، والقائلون بالعَدْل الأنصار؟ قالوا: نعم)[3].

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ١/ ص ١٣٦.
[2] القالي، الأمالي، بيروت، جـ١/ ص ١٥٩.
[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٣/ ص ٢٨٢.

وكان علّم النسب معروف عند العرب قبل الإسلام، ليس هذا فحسب بل استخدم كوثيقة تقدم العربي لغيره، أو كجواز سفر يعرف من خلالها، ليس بين العرب بل حتى إلى ما وراء العرب، فعندما أوفد النعمان بعض العرب لكسرى جعلهم حسب النسب، ورتبهم منازلا في كتاب حوى معلومات مفصلة عنهم، فكان كسرى قد أجلسهم حسب المنزلة والنسب والولاء والمراتب التي رتبهم بها النعمان[1].

وكان النساب يقومون بمحاورات بليغة تكشف عن قدراتهم، وكانوا يتخذون النسب للتفاخر والتساب، وكان هذا داعي إلى تقوية هذا العلّم، فكلما كان النسابة أعلّم استطاع الوصول إلى غايات لا يدركها خصمه فيغلبه، وكان أبو بكر ودغفل النسابة قد تلاقوا في الموسم فدار بينهم حوار غلب فيه دغفلٌ أبا بكر، (وكان أبو بكر مُقَدَّماً في كل خبر وكان رجلاً نسَّابة- فقال: ممَّن القوم؟ قالوا: من رَبيعة، قال: وأيّ ربيعة أنتم؟ أمن هامَتها؟ قالوا: من هامتها العُظمى؛ قال: وأي هامَتها العُظمى أنتم؟ قالوا: ذهل الأكبر؛ قال أبو بكر: فمِنْكم عَوْف بن محلّم الذي يقال فيه: لا حُرَّ بوادِي عَوْف؟ قالوا: لا؛ قال: فمنكم جَسّاس بن مرة الحامي الذِّمار والمانعُ الجار؟ قالوا: لا؛ قال: فمنكم أخوالُ المُلوك من كِنْدة؛ قالوا: لا؛ قال: فمنِكم أصْهار المُلوك من لَخْم؟ قالوا: لا؛ قال أبو بكر فلستم ذُهلاً الأكبر، أنتم ذهل الأصْغر. فقام إليه غلام من شَيْبان حين بَقَل وَجْهه، يُقال له دَغفل، فقال:

إنّ على سائلنا أن نَسْأله   والعِبْءُ لا تَعْرفه أو تَحْمِلَه

يا هذا، إنّك قد سألتَنا فأخبرناك ولم نكْتُمْكَ شيئا، فممَّن الرجل؟ قال أبو بكر: من قُريش؟ قال: بَخ بَخ أهل الشَرف والرياسة؛ فمن أيّ قُريش أنت؟ قال: من ولدَ تَيْم بن مُرَّة؛ قال: أمكنتَ والله الرامي من سَوَاء الثُغرة، أفمنكم قُصيٌّ بن كلاب الذي جمع القبائل فسمي مجمعا؟ قال: لا، قال: أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف قال: لا؛ أفمنكم شَيْبة الحَمْدِ وعبدُ المطلب مُطعم طيْر السماء الذي وَجْهه كالقمر في الليلة الظَلْماء؟ قال: لا؛ قال: فمن أهل الإفاضة بالنّاس أنت؟ قال:

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ١/ ص ٢٨٠.

لا؛ قال: فمن أهل السقاية أنت؛ قال: لا.فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ورَجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الغلام:

صادف دَرٌّ السيل دراً يدفعه   يَهيضُه حيناً وحِيناً يَصْدَعه)[1]

وكانت العرب تربط نسبها بنسب الأنبياء، وكان ذلك بسبب علماء النسب، فقد أخذوا من الكتب القديمة على أشكالها، فكان رجل من أهل تدمر يكنى أبا يعقوب قد قرأ في كتب آرامية ما يثبت نسب عدنان، فترجمه ووضعه في كتبه، ثم صار في كتب العبرانية مثبت في أسفارهم مترجمة عن الآرامية، فصار العرب بذلك يأخذون هذا العلم من الكتب الآرامية والعبرانية، وفيها خلاف بسيط[2].

وكان العرب يعرفون بعضهم لدرجة معرفة اسم الرجل الواحد بين قومه، إضافة إلى نسبه الأعلى، فعندما مر يزيد بن شيبان بن علقمة ببني مهرة انتسبوا له، فتركهم، فطلبوا منه أن ينتسب، فقال لهم أنّه لا يعرفهم وهم لا يعرفونه، فقال له شيخ أن كانت من العرب عرفتك، فسأله من أي فرق العرب هو ربيعة أم مضر أم قضاعة أم اليمن، فكان من مضر، فسأله من الارحاء أم الفرسان يقصد خندف وقيس، فكان من خندف، ثم سأله من الأزمَّة أي مدركة، أم الجمجمة يقصد طابخة، فأجاب طابخة، فسأله من الصميم أم الوشيظ، يقصد تميم والوشيظ: الرباب وحميس ومزينة. فكان من تميم. فسأله من الأكثرين أم الأقلين أم الأحزمين، يقصد زيد مناة وبني الحارث وهم بني شقرة، وعمرو بن تميم، فكان من زيد مناة. فسأله إذا كان من الجدد أي سعد بن زيد مناة، أم البحور أي مالك بن زيد مناة، أم الثماد أي امرؤ القيس بن زيد مناة، فكان من زيد مناة، فسأله إذا كان من الذرى أي حنظلة بن مالك، أم الجراثم أي ربيعة ومعاوية وقيس ومالك بن زيد مناة، فكان من الذرى. فقال له إذا كان من البدور أي مالك بن حنظلة، أم الفرسان أي يربوع بن حنظلة، أم الجراثيم أي البراجم، فكان من البدور، فسأله أن كان من الأرنبة أي دارم، أم من اللحيين طيهة والعدوية، أم من القفا أي ربيعة بن مالك، فكان من الأرنبة. فسأله أن كان من اللباب أي عبد الله، أم الشهاب

---

[1] المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٢٨٠-٢٨١.
[2] الطبري، تاريخ الطبري، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٥١٦.

أي نهشل، أم من الهضاب أي مجاشع، فكان من اللباب، فسأله إذا كان من البيت أي عدس بن زيد، أم الزوافر أي الأحلاف من بني زيد وعبد الله، فكان من البيت، فعرف أنَّه من بني زرارة، فقال له، أن زرارة ولد عشرة أولاد وذكرهم له فكان من بني علقمة، فقال له أن علقمة ولد رجلين شيبان والمأموم، فابن من أنت، فكان من بني شيبان، فقال له أن شيبان تزوج بثلاث نسوة: وذكرهن له، وهن مهدد بنت حمران وولدت له يزيد، وعكرشة بنت حاجب وولدت له المأموم، وعميرة بنت بشر وولدت له المُقعد، فسأله ابن من هو منهن، فقال أنَّه ابن مهدد[1].

فكان له القدرة على معرفة نسبه ونسب غيره، فكان هذا العلم بكل تأكيد علم له أصول وقواعد، ويتدارسه الناس بشكل عميق لكي يصلوا إلى هذه المعرفة، وهي التي استمرت بعد الإسلام حتى وصلت إلى واضعي الدواوين، ثم مؤلفي الكتب المتخصصة في النسب.

وكان بنو مالك من عبيد إلى الكيس كلهم نسابون يعملون بالنسب. قال مسكين الدارمي:

حكم دغفلا وارحل إليـــه   ولا تدع المطي من الكلال

أو ابن الكيس النمري زيدا   ولو أمسى منخرق الشمال[2]

أما النسب الذي كان النسابة يوصلون حلقاته إلى آدم! فقد وقف عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفا مشككا. حيث كان الناس ينسبون إلى آدم، فنهى عن ذلك وأمر النسابة أن يتوقفوا عند معد، ونهى عن تجاوزه واعتبر ما بعده كذبا، (عَنْ أبي رَيْحَانَة أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ كُفَّارٍ يُرِيدُ بِهِمْ عِزًّا وَكَرَمًا فَهُوَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ)[3]، وقال:"كَذَبَ النسَّابون"[4]. كما بين الإسلام

---

1 الكلبي، جمهرة النسب، ١٩٨٦م، ص ٢٧٣ -٢٧٧.
2 المصدر نفسه، ص ٥٨١.
3 مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، جـ ٤/ ص ١٣٤.
4 **ابن خياط**، خليفة بن خياط أبو عمر الليثي العصفري، ت ٢٤٠هـ، الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٢م، ص ٣، وابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، جـ١/

الهدف من علم الأنساب وهو التعارف وليس التساب والتهاجي، قال تعالى: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا أن أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أتْقَاكُمْ)(الحجرات: من الآية١٣).

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين بتعلّم النسب ليتعارفوا فيما بينهم، وفي الحديث: (تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم .)[1]. وقال:"اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم......"[2]، ولهذا ظهر منصب نقيب الأشراف فيما بعد ليكون رقيبا على الأنساب الشريفة[3].

وكان علم النسب عند العرب يشبه دائرة للأحوال الشخصية في الوقت الحالي، وقد برز ذلك بشكل مدروس بعد أن دون عمر بن الخطاب الديوان فدعا اشهر النسابة، فكان منهم عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، فكتبوا الناس على منازلهم، وطلب منهم أن يبدأوا ببني هاشم ثم القبائل حسب القرابة من بني هاشم. فأصبح العرب بذلك يمتلكون نسبا عاما بعد أن كان يختص بالقبيلة، فصار للمسلمين بذلك مركز لتحديد الهوية محفوظة بسجلات بعد أن كانت شفهية الطابع[4].

وكان عمر يقوم سنويا بتوسيع الديوان بتسجيل المزيد من السكان من أهل الريف والبادية، وكان يعِدُ أن يرزق بالديوان كل مسلم، وكان ديوان حمير على عهد عمر على حدى، ولعل ذلك بسبب وجود ديوان سابق اعتمدوا عليه أو لصعوبة التعامل مع

ص ٥٦، وتفسير القرطبي، ١٣٧٢هـ، جـ ٩/ ص ٣٤٤، والمسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ٢٧٠.

[1] سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، جـ ٤/ ص ٣٥١، وابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٢/ ص ٢٦٥.

[2] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ١٩٩٠م، جـ ٤/ ص ١٧٨.

[3] **الماوردي**، علي بن محمد بن حبيب، ت ٤٥٠هـ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق د، خالد رشيد الجميلي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩م، ١٥٣، **والطيالسي**، سليمان بن داود أبو داود، ت ٢٠٤هـ، مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، د، ت، جـ١/ ص ٣٦٠.

[4] البلاذري، فتوح البلدان، ١٩٨٣م، ص ٤٣٢.

هذه القبائل[1]، وقال عمرُ بن الخطّاب: (تَعلّموا النّسَب ولا تَكونوا كَنبيط السَّواد إذا سُئِل أحدُهم عن أصلْه قال: من قَرْية كذا وكذا)[2].

كما أن عمر قام بإلحاق الموالي بالعرب فجعلهم في الديوان[3]، ثم اتبع العبيد بمواليهم في الديوان، ولم يكتفي بذلك حتى وضع منبوذا في الديوان ليكون شاملا لكل المسلمين[4].

وكان عمر بن الخطاب يحث على تعلّم النسب ويقول:"رب رحمٍ مجهولة قد وصلت بنسبها"[5]، وقال:"أرووا من الشعر أعفه، ومن الحديث أحسنه، ومن النسب ما تواصلون عليه، وتعرفون به"[6].

وقد أصبح هذا العلم بعد الإسلام له أهمية بالغة، فقد احتاج الولاة له لمعرفة السكان، ومعرفة طباعهم، ومعرفة من يجب أن يقرب ومن يبعد، ومن يتخذ جليسا ومن يتخذ حارسا، ومن يتخذ عدوا، (سأل زيادٌ دَغفلاً عن العَرَب، فقال: الجاهليّة لليَمن، والإسلامُ لِمُضر، والفِتنة بينهما لرَبيعة؛ قال: فأخبِرْني عن مُضر؛ قال: فاخِرْ بِكنانة وكاثر بتَميم وحارِبْ بِقَيْس، ففيها الفُرسان والأنجاد، وأما أسَد ففيها دَلٌّ وكِبْر. وسأل مُعاوية بن أبي سُفيان دَغفلاً، فقال له: ما تقولُ في بني عامر بن صَعْصعة؟ قال: أعْناق ظِبَاء، وأعجاز نِساء؛ قال: فما تقول في بني أسد؟ قال: عافة قافة، فُصحاء كافة، قال: فما تقول في بني تميم؟ قال: حَجَر أخْشَن أن صادقتَه آذاك، وإن تركتَه أعْفاك؛ قال: فما تقول في خُزاعة؟ قال: جُوع وأحاديث؟ قال: فما تقول في اليَمن؟ قال: شِدَّة وإباء)[7].

---

[1] المصدر نفسه، ص ٤٣٥.
[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٢/ ص ٢٦٥.
[3] البلاذري، فتوح البلدان، ١٩٨٣م، ص ٤٣٧.
[4] المصدر نفسه، ص ٤٤٢.
[5] ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ١/ ص ٤١٢.
[6] أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ٢٠٠٣م، ص ٤٩.
[7] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٣/ ص ٢٨٣.

ومن النسابة الذين ورثوا العلّم عمن قبلهم، أبو عمرو مكي بن سوادة[1]، وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبي[2] - وكان نائب عيسى بن شبيب المازني على شرط البصرة-، وأبو عمرو بن لبيد، وكان عقيل بن أبي طالب ناسبا عالما بالأمهات بين اللسان شديد الجواب لا يقوم له احد، وكان أبو الجهم بن حذيفة العدوي[3] ناسبا شديد العارضة كثير الذكر للأمهات بالمثالب، ومن هؤلاء حمل محمد بن السائب وهشام ابن محمد بن السائب وشرقي بن القطامي النسب، وكان أعلاهم في هذا العلّم حماد ابن بشر[4]، ومنهم الحنتف[5] بن زيد بن جعونة من تميم[6].

---

[1] بصري، معاصر لخالد بن صفوان، المرزباني، معجم الشعراء، ٢٠٠٣م، ص ٨٨٢.
[2] سكن البصرة، وتوفي بعد المائة الأولى.
[3] معاصر لهشام بن عبد الملك، وكان يحضر مجالسه، (البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، ت ٤٨٧هـ، اللآلي في شرح أمالي القالي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٦٧٠).
[4] الجاحظ، البيان والتبيين، دار صعب، جـ١/ ص ١٧١.
[5] الحنتف بن زيد بن جعونة: أحد بني المنذر بن جهمة بن عدي بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، وكان أنسب بني تميم، وله مع دغفل النسابة أخبار، وسقط له ثلاثة بنين في حفرة لجمع الماء فماتوا، فحلف ألا ينزل البادية، فباع إبله وتوجه للبصرة وأقام بها، (الآمدي، المؤتلف والمختلف، ٢٠٠٣م، ص ٢٦٠).
[6] المرزباني، معجم الشعراء، ١٩٨٢م، ص ١٠٧.

الباب الثاني: العلوم العقلية.

ويحتوي:

الفصل الأول: علوم الجغرافيا

الفصل الثاني: التعدين والصناعة

الفصل الثالث: علوم الفلك والتقويم

الفصل الرابع: الهندسة والحساب والمساحة

الفصل الخامس: الطب البشري والبيطرة

الفصل السادس: النقود والموازيين والمكاييل

الفصل الأول: علوم الجغرافيا.

اهتم العرب بمعرفة الأرض والطرق والمفاوز المختلفة، ويعود ذلك لعدة أسباب منها ما يتعلق بالرحلات التجارية، ومنها ما له علاقة بموسم الحج والعمرة، ومنها ما له علاقة بالغزو، ومنها ما له علاقة بالترجال وراء الكلأ والماء، إضافة إلى معرفة حدود كل قبيلة، فلا يتعدى احدهم على مرابع غيرهم، وبعد ظهور الإسلام صار ضرورة لمعرفة طرق الفتوح، وكل هذا في جانب معرفة التضاريس الدالة على المسالك.

ولأن أرض العرب واسعة واغلبها أراضي سهلية الطابع حيث لا أمارة بها ولا هادي، احتاج العرب لمعرفة الأنواء ونجوم الاهتداء لحاجتهم لمعرفة مسالك الأرض ومياهها، وهذه النجوم أكثر ما يرى في ليله الطويل حيث لا ضوء ينير طريقه سواها، فكان يعرف الثابت منها والمتحرك، والمنفرد منها والمجتمع فتهديه الطريق[1].

ونجد أن العربي يهتم بمعرفة معالم الأرض فقسم التضاريس إلى عدة أشكال منها، العروض، وتهامة، ونجد والغور، والفيافي، والمفاوز، واللابة، والحرة، وغيرها من المعالم. والى جانب هذا كان العرب يعرفون الأودية ومواقعها، إلى جانب الصحراء ما كان منها على شكل رمال أو صخور، فنجد ذلك واضحا في أشعارهم وأخبارهم، والى جانب ذلك نجدهم على معرفة وإطلاع كبير على نباتات الأرض ومنها يستدلون على خصوبة الأرض، وعلى توفر الماء. هذا وكان العربي يحفظ المعالم في حله وترحاله، وخاصة معلم واضح يستدل به على الماء، فكانوا يتخذون الطرق على منابع وآبار المياه، ولا شيء سواه، لهذا نجدهم ينحرفون عن استقامة الطريق وأن طالت لتكون على مشاربهم.

---

[1] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ ٦/ ص ٣٠.

وكان العرب يحتاجون إلى أدلة في الطرق التي يسلكونها لأول مرة، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم قد استعان بعبد الله بن أريقط دليلا له في هجرته إلى المدينة[١]، وكان عَلْقَمَةُ بن الفَغْوَاءِ دليل النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى تبوك[٢]. وكانوا لا يسيرون في النهار مخافة الحر، فينتظرون إلى أن يطلع القلب والسماكان لأنهما يطلعان من أول الليل، فيقتدون بهم[٣].

وامتاز بنو مدلج وأحياء من مضر من نزار بن معد بالقيافة[٤]. وعندما خرج القافة وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعوه رغم تمويه الرعاة عليهم بآثار الغنم، تبعوه على الرمل وعلى الأرض وعلى الحرار ثم على حجارة صلد حتى وقفوا على باب الغار[٥].

ولما كتب أبو بكر لخالد بن الوليد بالمسير الى الشام ممددا لأبي عبيدة، سلك السّماوة إلى قراقر، وبينهما خمس ليال في مفازة، فلم يعرف الطريق، فدلّ على رافع ابن عميرة الطائي وكان دليلاً خرّيتاً[٦]، فطلب رافع من خالد أن يظمئ عشرين جزورا، فأظمأهن ثم سقاهن حتى روين ثم كعمهنّ[٧] لئلا تجترّ، ثم قال لخالد: (سر بالخيول والأثقال، فكلما نزلت منزلاً نحرت من تلك الجزر أربعاً ثم أخذت ما في بطونهم من الماء فسقيته الخيل وشرب الناس مما تزوّدوا)، ففعل. فلما وصل إلى آخر الأيام الخمسة أجهد الناس من العطش، فطلب منهم أن ينظروا له شجرة عوسج

---

[1] ابن هشام، السيرة، ١٩٩٢م، جـ٢/ ص ٩٧، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٩٤م، جـ١/ ص ١٥٥.

[2] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٥٨٢.

[3] **أبو تمام**، حبيب بن أوس الطائي، ت ٢٣١هـ، نقائض جرير والأخطل، تحقيق أنطوان صالحاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٢٢م، ص ١٠٢.

[4] والقائفُ: الذي يعرف الآثار، والجمع القافةُ. تقول: قُفْتُ أثره إذا أتبَعْته، مثل قَفَوْتُ أثره. واقتافَ أثره، الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، مادة **قاف**.

[5] المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ١٦٩.

[6] (وفي الحديث:"استأجَر رجُلاً، من بَني الدِّيلِ، هادياً خِرِّيتاً". الخِرِّيتُ: الماهرُ الذي يَهتدِي لأخْراب المَفاوز، وهي طُرُقُها الخَفِيفةُ ومَضَايقُها. وقيل: أراد أنَّه يهتدي في مِثْل ثَقْبِ الإبْرة من الطريق ٠٠٠٠٠٠)، (الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **خرت**).

[7] الكِعامُ: شيءٌ يجعل في فم البعير. يقال: كَعَمْتُ البعير، إذا شددت به فمه في هياجه، فهو مَكعومٌ. وكَعَمْتُ الوعاء، إذا شددتَ رأسه، (الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، مادة **كعم**).

ويحفرون في أصلها فأنهم سيجدون تحتها الماء، فوجدوا واحدة فشربوا وتزودوا، فكان رافع قد مر بالطريق مرة مع والده في صغره، فقال حسان بن ثابت:

لِلّهِ دَرٌّ رافِعٍ أنّى اهتَدى فوَّزَ مِن قَراقِرٍ إلى سُوى

أرضاً إذا سار بهم الجيش بكى ما سارهم قبلك من إنس أرى[1]

وكانت العرب أكثر ما تخشى في سفرها قلة الماء، وكان من القافة من برع في معرفة النجوم ومسالك الأرض، وأماكن المياه، وعندما خافت قريش أن يغير المسلمون على قوافلهم بعد بدر طلبوا العون من ابرز دليل عند العرب، فاستأجروا فرات بن حيان من بني سعد، وكان من أهدى الناس بالطريق واعرفهم بها[2].

وكان العرب يحافظون على حدود القبيلة من أي انتهاك بواسطة القافة الذين كانوا يطوفون حول المضارب لاكتشاف أي اثر لغريب، وكان الحرس الذين يطوفون حول قبة فاطمة بنت المنذر خوفا من أن يصل إليها المرقش، ينثرون التراب حول الخيمة، فإذا جاء الصباح ينظرون إذا ظهرت عليه أي آثار يعرفون من دخل إليها رجل أو امرأة غريب أو قريب[3].

وكانوا يحددون الاتجاه ليلا عن طريق النجوم، وكان عامر بن الطفيل[4] لا يضل حتى يضل النجم[5]، وكان السليك[6] من أشد رجال العرب وأمكرهم وأشعرهم، وكانت العرب تدعوه سليك المقانب وكان أدل الناس بالأرض، وأعلَمهم بمسالكها[1].

---

[1] ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ١/ ص ٢٢٨.

[2] تاريخ الطبري، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ٥٥، وابن قتيبة، المعارف،١٩٨٧م، ص ١٨٩.

[3] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٦/ ص ١٤٦.

[4] عامِر بن الطُفَيل، عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، أبو علي، من بني عامر بن صعصعة. ٧٠ ق. هـ ١١ هـ/ ص ٥٥٤ - ٦٣٢ م، فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرانهم وساداتهم في الجاهلية. ولد ونشأ بنجد، خاض المعارك الكثيرة. أدرك الإسلام شيخاً فوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه، فدعاه إلى الإسلام فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة وأن يجعله ولي الأمر من بعده، فرده، فعاد حانقاً ومات في طريقه قبل أن يبلغ قومه.

[5] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ١٧/ ص ٦٧.

[6] السُلَيك بن السَلَكَة، السليك بن عمير بن يثربيّ بن سِنان السعدي التميمي. ؟ - ١٧ ق. هـ/؟ ٦٠٦ م، والسلكة أمه، فاتك عدّاء، شاعر أسود، من شياطين الجاهلية يلقب بالرئبال، كان أعرف الناس بالأرض وأعلَمهم بمسالكها. له وقائع وأخبار كثيرة إلا أنَه لم يكن يغير على مُضَر وإنما

ولا أدل على معرفة العرب بجغرافية الأرض إلى جانب النجوم في تحديد الاتجاهات، ومعرفة الطرق من هذه الرواية، (خرج سليك في الشهر الحرام حتى أتى عكاظ، فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه، ثم خرج متقضلاً مترجلاً، فجعل يطوف بالناس ويقول: من يصف لي منازل قومه، وأصف له منازل قومي؟ فلقيه قيس بن مكشوح المرادي، فقال: أنا أصف لك منازل قومي، وصف لي منازل قومك، فتوافقا، وتعاهدا ألا يتكاذبا. فقال قيس بن المكشوح: خذ بين مهب الجنوب والصبا، ثم سر حتى لا تدري أين ظل الشجرة؟ فإذا انقطعت المياه فسر أربعاً حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق، فإنك ترد على قومي مراد وخثعم. فقال السليك: خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء، فثم منازل قومي بني سعد بن زيد مناة)[2].

وكان الشعراء وخاصة الطوافون يسجلون المعلومات حول الآبار والمياه في قصائدهم يبينون أنهم مروا هناك، وكان قوم قد أقبلوا من اليمن يريدون النبيّ صلى الله عليه وسلم، فضلوا الطريق ومكثوا ثلاثة أيام لا يجدون الماء، فمر بهم راكب فأنشده بعضهم:

لمّا رَأتْ أن الشَّريعَةَ هَمُّهـــا وأنَّ البَيَاضَ من فَرَائِصِهَــا دامِي

تَيَمَّمَتِ العَيْنَ التي عِنْد ضَارِج يَفِيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طامِي

فسألهم عن قائل البيت فأخبروه أنّه أمرؤ القيس، فقال: والله ما كذب، وأشار إلى النبع فإذا هو على ما وصف فشربوا وحملوا الماء معهم[3].

وكان العرب يستطيعون تحديد الجهات الأربع بسهولة، ليس هذا فحسب بل كانوا يستطيعون تحديد القبلة، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال

يغير على اليمن فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة. قتلهُ أسد بن مدرك الخثعمي، وقيل: يزيد بن رويم الذهلي الشيباني.

[1] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٢٠/ ص ٣٩٠.

[2] المصدر السابق، جـ ٢٠/ ص ٣٩٣.

[3] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١٩٩٤م، ص ٥٦.

فهو عذي[1]، وكل نبات زاد حجمه وأظل غيره سموه شجر، وسموا ما اجتمع منه غابة[2].

ويقسم عرب نجد والحجاز في معرفة النبات إلى قسمين: قسم رعاة، وقسم مزارعون، ولكل منهم حاجة وخبرة في نبات بيئته، وكانت تسمياتهم لبعض المواقع حسب النبات فيه، فالقصيمة تعني ما كثر نبته من الأرض، ومثله الغابة لكنها أكثر كثافة، فالغابة فيها أشجار كبيرة، لكن القصيمة[3] بها منبت الغضى والارطى والسلم، وهي من الشجيرات، وتربتها رملية[4].

أما الملا[5]، فهي تربة سهلة بيضاء ليست رملية ولا صخرية تنبت العرفج والبركان والغلقى والقصيص والقتاد والرمث والصليان والنصي[6]، وهي اعشاب حولية تنبت بعد سقوط الامطار.

والضفار[7] هي مجتمع الكثبان الرملية المرتفعة في الدهناء، وهي تنبت الأرطي والعلقي والآلاء والعلجان والعلندي والقصب. أما الضفار الزعر، فتنبت المصاص وورق الثداء والثمام والارطي، أما الضفار العجم، فلا نبات بها[8].

ويطلق العرب على الأرض المستوية التي لا رمل فيها ولا جبل اسم الدو، وهي أرض تنبت النصي والصخبر والثغام والصليان والغرز والشرى وهي نباتات كبيرة الحجم مثل ما ينبت الآن في السافانا[1].

---

[1] المصدر نفسه، ص ٤٣.
[2] القرطبي، تفسير القرطبي، ١٩٨٧م، جـ ٤/ص ١٩١.
[3] القصيمةُ من الرمل ما أنبت الغَضَى وهي القَصائِمُ. أبو عبيد: القصائمُ من الرمال ما أنبت العِضاه. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **قصم**.
[4] **سنكري**، محمد نذير، مبادئ التراث العربي في البيئة النباتية والصحراوية وتقسيم النباتات الرعوية، الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مطبعة جامعة حلب، حلب، ١٩٧٧م، ص ٢٢١.
[5] والمُلأةُ: فلاةٌ ذات حرّ وسراب، **الفراهيدي**، الخليل بن أحمد، ت ١٧٠هـ، العين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، مادة **ملا**.
[6] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **برث**.
[7] الضَّفِيرةُ: أرضٌ سَهْلَةٌ مستطيلة مُنْبِتَة تَقُودُ يوماً أو يومين. الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **ضفر**.
[8] سنكري، البيئة النباتية الصحراوية، ١٩٧٧م، ص ٢٢٢.

وكانت القيعان بدورها تنبت النبات الخاص بها، فكان الأراك والسدر والعلب، ونباتات العقدة - وسمي للمكان الذي تجتمع فيه شجيرات الثمام- والضعة، والسليل وهو الوادي الذي ينبت السلم والسمر والجوأب والسحبل والجلواخ، وهي نباتات قصبية. وكان العربي يعرف أماكن نمو النبات الطبيعي، قال زهير بن أبي سلمى:

وَهَل يُنبتُ الخَطّيَّ إلا وَشيجُهُ وَتُغرَسُ إلا في مَنابِتِها النَخلُ[2]

والدهناء رملة يعيش فيها الارطي وأنواع العجرم والشعران، لا يعيش فيها الحمض، ويعيش الشيح والنقد والبطم في المناطق القريبة من الشام بسبب شتاءه المعتدل[3].

وقسموا المواقع النباتية كالآتي:

١- ذو أراط: أرض رملية ينبت فيها الارطي والثمام.

٢- ذوات الطلح: وهي الأودية التي تنبت الطلح.

٣- وادي السرح: وهو وادي ينبت السرح.

٤- وادي الحاذ: وهو وادي ينبت الحاذ في بلاد ربيعة.

٥- هجل النصي[4]: ما كان ينبت النصي، وهو نبات رملي.

٦- ذو الغضا: وهو مكان نمو الغضى.

٧- الرمثاء: حيث ينبت نبات الرمث.

٨- العبلاء: وهي الأرض التي تكون فيها المياه الجوفية قريبة من جذور النبات، مثل تربة نبات العبل.

٩- العكرشية: وهي التربة الشاطنية التي تدعم نبات العِكرِش، وتسمى بالسباخ.

١٠- تل الشيح: وهي التربة التي تدعم نبات الشيح في وادي القرى.

---

[1] المصدر نفسه، ص ٢٢٣.

[2] ديوان زهير بن أبي سلمى، ٢٠٠٣م، الطويل، قصيدة صحا القلب، وسنكري، البيئة النباتية الصحراوية، ١٩٧٧م، ص ٢٢٣.

[3] سنكري، البيئة النباتية الصحراوية، ١٩٧٧م، ص ٢٢٤.

[4] النَّصِيُّ: نَبت معروف، يقال له نَصِيٌّ ما دام رَطباً، فإذا ابْيضَّ فهو الطَّرِيفة، فإذا ضَخُمَ ويَبِس فهو الحَلِيُّ، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **نصا**.

ويعرف العربي التجمعات النباتية كما ذكرنا، وهو مع ذلك لديه قدرة على تقسيمها إلى أقسام كثيرة، مثل: الغريف حيث يجتمع الاراك. والفرس: وهو منبت العرفط، والقتاد. والأيكة: وهي تجمع الأثل، وغيرها. إضافة إلى النباتات المائية، مثل الطرفة: وهي تربة الطرفاء، والغرقدة: وهي الماء التي تنبت الغرقد، والصخبرة، وهي السبخة التي تنبت الصخبر، والخذيقة: وهي مياه مالحة تنبت حولها الحموض، والخريزة: وهي مياه مالحة تنبت الخريزي، والخصافة: وهي المياه التي ينبت حولها النخل[1].

وقسم العرب النباتات حسب المكان إلى خمسة أقسام هي:

أ- نباتات السباخ: وهي نباتات تعيش على المياه المالحة مثل القرمل، والعكرش، والقلام، والخريزي.

ب- نباتات الرمال: مثل الغضى، والارطى، والامطى، والرخامى، والعلقى، والمصاص، والألاء.

ج- نباتات الحجاز: مثل الغرقد والسدر والعوسج واللصف والكبر والشفلح.

د- نبات نجد: الثغام والحمض والشريان والقسور والبشام والبطم والشرشر والقتاد والحرشف.

هـ- نبات جبال السراة: مثل الشث والعرعر، والعتم (الزيتون البري)، والطباق، والصوم، والغريف، والحماط(التين)، والأثب: وهو يستعمل في الأدوية، وأثب أبها، والظيان، والضبر (جوز الجبل)، والمظ (الرمان البري)، والقان، والنشم، والشوحط[2].

كما قسم الرعاة العرب النباتات إلى مجموعات كثيرة وكلها تتعلق بما يرعى وما يستفاد منه للعلاج، وما هو عديم الفائدة للإنسان والحيوان على حد سواء، ومنها مجموعات الحمض والمرار، والكحليات: وهي نباتات ضارة تنتشر في أراضي الرعي الجائر، والحارات مثل الفجل، والدهامين، وتمتاز بدكونة ألوانها، ومجموعة

---

[1] سنكري، البيئة النباتية الصحراوية، ١٩٧٧م، ص ٢٢٥- ٢٢٩.
[2] المصدر السابق، ص ٢٢٩.

البقل، وتقسم إلى قسمين: منها الأحرار مثل نبات السعدان والحربث، وهو ما طاب ورق، ومنها الذكور وهو ما خشن ملمسه وغلظ على الأكل، مثل القراص والحرشاء والأقحوان، وغيرها كثير[١].

واستخدم أهل نجد والحجاز الكثير من النباتات المحلية والأجنبية التي استوردوها للعلاج، فكانوا قد عرفوا من خصائص النباتات العلاجية الكثير لدرجة استيراد نبات من أوروبا كان السريان واليونان قد ذكروه ضمن الأدوية، أو مما عرفه أهل الهند مثل التمر الهندي والكافور والعود الهندي، وغيرها[٢].

ومن الأساليب العلمية التي اتبعها العرب في الزراعة، التأبير وهو أن يتم حمل حبوب اللقاح من الأزهار المذكرة إلى المؤنثة ليضمنوا بذلك التلقيح، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل الأنصار عن ذلك هل يجدي نفعا، ولما جاء العام التالي لم تحمل النخل، فطلب منهم العودة إلى ما كانوا عليه[٣]. إلى جانب معرفة أساليب للزراعة مثل: الزراعة بالفسائل التي كانت تؤخذ من الجذور الهوائية للنخل لتعطي ميزات تطابق الأم، فتتم عملية انتقاء طبيعي للنخل لإحلال الصفات المحسنة بالنخل باستمرار.

ولقد كان العرب يعرفون اثر دخول الحبشة إلى مكة، فقد نقلوا معهم الإمراض المختلفة، كذلك ظهر في الجزيرة العربية أشجار المرار مثل: الحرمل والحنظل والعشر لأول مرة بعد دخولهم، فكانوا يعرفون إن الحبشة هم الذين نقلوه معهم بما حملوه من غبار الطلع وحبوب اللقاح التي علقت بمتاعهم، أو ما كان في جوف حيواناتهم[٤].

---

[1] المصدر نفسه، ص ٢٣١ - ٢٣٦.

[2] **الشطي**، د. أحمد شوكت، حول علم النبات عند العرب وعالمية الشفرة والصورة، أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مطبعة جامعة حلب، حلب، ١٩٧٧م، ص ٢٤٧.

[3] مسلم، صحيح مسلم، ١٩٩٣م، جـ ٤/ ص ١٨٣٥، ويحيى بن آدم، الخراج، دار المعرفة، ص ١١٤، والجاحظ، البرصان، ١٩٨٢م، ص ٤١٣.

[4] ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩٢، جـ١/ ص ٤٦، **والأزرقي**، أبو الوليد محمد بن عبد الله، ت ٢٤٤هـ. تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٤٨.

الرياح والأمطار:

كما كان للعرب علم بالرياح، فقالوا عن الريح التي تهب بين الشمال والصبا - الشرق - الريح النكباء، وما هبت من جهة الجنوب والصبا فهي الجربياء، فإذا هبت من جهات مختلفة فهي المتناوحة، وقسموها حسب سرعتها، فقالوا إذا جاءت لينة سميت الريدانة، وإذا جاءت ضعيفة سميت النسيم، فإذا كان لها حنين سميت الحنون، وإذا كانت شديدة سميت النافحة، فإذا ابتدأت شديدة فهي العاصف والسيهوج، فإذا كانت شديدة لها زفزفة فهي الزفزافة، وإذا اشتدت حتى اقتلعت الخيام فهي الهجوم، فإذا حركت الأغصان بشدةا واقتلعت الأشجار فهي الزعزعانع، فإذا جاءت بالحصى فهي الحاصبة، فإذا كان لها ذيل في الرمل فهي الدروج، فإذا كانت شديدة المرور فهي النئوج، وإذا كانت سريعة فهي المجفل والجافلة، فإذا هبت من الأرض نحو السماء فهي الإعصار، فإذا هبت بالعبرة فهي الهبوة، فإذا حملت والتراب وجرت ذيلا فهي الهوجاء[١].

وقسموا الرياح حسب الرطوبة والحرارة فقالوا: إذا كانت باردة فهي الحرجف والصرصر والعرية، فإذا كان مع بردها ندى فهي البليل، فإذا كانت حارة فهي الحرور والسموم، فإذا كانت حارة واتت من قبل اليمن فهي الهيف، وإذا كانت باردة تخرق الثوب فهي الخريق، فإذا كانت حارة شديدة تحرق البيوت فهي الحريق، فإذا ضعفت وجرت فوق الأرض فهي المسفسفة، فإذا لم تلقح الأشجار ولم تحمل المطر فهي العقيم، وإذا كانت من الشمال وحارة في الصيف سميت البوارح، فإذا كانت مختلفة شديدة فهي الرياح الحواشك، فإذا كانت محملة بالأمطار فهي المعصرات، فإذا كانت تأتي بالسحاب والغيث فهي المبشرات، والتي تسقي التراب تسمى السواقي[٢].

---

[1] المبارك، فقه اللغة،١٩٩٢، ص ٢٩٥.

[2] المصدر نفسه، ص ٢٩٦.

وتقسم الرياح إلى أربعة أقسام:

١- الصبا: وهي ما تهب من الشرق، وهي حارة جافة.

٢- الدبور: وهي تهب من المغرب، وهو باردة رطبة.

٣- الشمال: وهي تهب من جهة برج الجدي الفرقدين، وهي باردة جافة.

٤- الجنوب: وتهب من جهة الجدي وسهيل، وهي حارة رطبة[1].

واغلب ريحها النكباء بالليل، والصبا عند انقلاب الشمس، أما ريحها فهي على أربع حالات، إذا انحرفت واحدة سميت نكباء، وإذا هبت ما بين سهيل إلى طرف بياض الفجر فهي جنوب، وما بإزائها من ناحية المغرب شمال، وما جاء من وراء الكعبة فهي دبور، وما جاء من الشرق فهي صبا[2].

وقسمت الغيوم فقالوا: أول ما ينشأ السحاب فهو النشر ثم السحاب، فإذا نشأ من قطع صغيرة متقاربة فهو النمرة، فإذا كان مستدق رقيق فهو الطخارير، فإذا كان متفرق فهو القزع، فإذا ارتفع ولم ينبسط فهو النشاص، وإذا كان خفيفا تسفره الرياح فهو الزبرج، فإذا تغيرت السماء فهو الغمام، فإذا كان بعيداً تسمع رعده ولا تراه فهو العقر، وإذا كان حوله قطع من السحاب فهي سحب مكللة، فإذا أظل السماء فهو العارض، فإذا ظهر البرق والرعد فهو العراص، فإذا كان متراكم فهو الكرفئ، فإذا كان كالجبال فهو قلع، وإذا ظهر مثل الجنل قبل أن يغطي السماء فهو الحبيّ، فإذا كانت سوداء فهي طخياء، فإذا غلظ السحاب وركب بعضه بعضا فهو المكفهر، فإذا غطى إطراف السماء وتلبد فوق بعضه فهو القرد، وإذا ارتفع وحمل الماء وكثف وأطبق فهو العماء والعمامة والطحاء والطخاء، فإذا تدلى وقرب من الأرض مثل هدب الثوب فهو الهيدب، فإذا هطل منه ماء كثير فهو القنيف، وإذا كان ابيض فهو المزن والصبير، وإذا كان باردا وليس به مطر فهو الصراد والجهام[3].

---

[1] المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٨١م، ص ٣٢.
[2] المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ١٢١-١٢٢.
[3] المبارك، فقه اللغة، ١٩٩٢، ص ٢٩٧.

وقسموا صوت الرعد فقالوا: إذا كان لرعده صوت فهو الهزيم، فإذا اشتد صوته فهو الأجش، فإذا كان صوته شديدا فهو الصيت[1]، وتقول العرب رعدت السماء، فإذا زاد قيل ارتجست، فإذا زاد قيل ارزمت ودوت، فإذا زاد واشتد قيل قصفت وقعقعت، فإذا بلغ النهاية قيل جلجل وهدهد[2].

وتكلموا في البرق فقالوا أنكل إذا رايته من السواد البعيد كأنه تبسم، فإذا بدا في السماء كأنه يسير قيل أوشم، فإذا برق بشكل ضعيف قيل خفى، فإذا شاهدته لمحاً قيل أومض، فإذا تشقق في السماء قيل انعق، فإذا ملئ السماء وتكشف واضطرب قيل تبوح، فإذا كثر وتتابع قيل ارتعج، فإذا لمح واطمح ثم عدل قيل له خلب[3].

وتسمي العرب أول المطر بالوسمي، لأنه يأتي بعد انقطاع المطر فيسم الأرض[4]، والغيوم الملثة التي يستمر مطرها لأيام، والغبية الشديدة لساعة ثم تقلع[5]. وإذا أتت السماء بالمطر الخفيف قيل حفشت وحشكت، وإذا استمر قيل هطلت وهتنت، فإذا صب صبا قيل همعت وهضبت، فإذا ارتفع صوت المطر قيل أهطلت واستعملت، فإذا سال بكثرة قيل انسكب وانبعق، فإذا سال وركب بعضه بعضا قيل أثعنجر واتعنجج. إلى غير ذلك من أوصاف المطر والسحاب مما يدل على علّم واسع بعلّم الطقس وأحواله[6]. وأفضل من وصف المطر من شعراء العرب قبل الإسلام، عبيدٍ[7] وأوس[8] وامرئ القيس في قوله:

---

[1] المكان نفسه.

[2] المصدر نفسه، ص ٢٩٨.

[3] المكان نفسه.

[4] المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٨١م، ص ٣١.

[5] أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ٢/ ص ٢٢٦.

[6] المبارك، فقه اللغة،١٩٩٢م، ص ٢٩٩.

[7] عَبيد بن الأبرَص، عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، أبو زياد، من مضر. ؟ - ٢٥ ق. هـ/؟ ٥٩٨ م، شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، وهو أحد أصحاب المجمهرات المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. عاصر امرؤ القيس وله معه مناظرات ومناقضات، وعمّر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه.

[8] أوس بن حَجَر، أوس بن حجر بن مالك التميمي أبو شريح. ٩٥ - ٢ ق. هـ/ ٥٣٠ ٦٢٠ م، شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها، أبوه حجر هو زوج أم زهير بن أبي سلمى، كان

دِيمَةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ　　　طَبَقُ الأرْضِ تَحَرَّى وتَدُرّ[1]

وصف الأرض:

تقسم معالم الارض الى عدة اقسام، منها الجبال والهضاب والتلال والاغوار والأودية والسهول، وغيرها من الاوصاف، لكن العرب كان لهم تسميات لضورة الارض من فهمهم لبيئتهم، فقسموا جزيرة العرب الى تهامة وهي سواحل البحر الاحمر، والحجاز وهي الجبال الساحلية للبحر الاحمر، ونجد وهي الهضبة في وسط الجزيرة، وعسير وهي الجبال الوعرة جنوب الحجاز، والاحساء وهي السهول الساحلية للخليج العربي.

وقسموا شكل السطح فقالوا: الأوعار اذا كان ذا غلظ وخشونة، والبطنان إذا انخفض. فإن كان رطبا مثل السبخة فهو غمقة، وقيل:"إن الأردن أرضٌ غمقة، وإن الجابية أرضٌ نزهة". والغدقة كثيرة البلل والماء. والرانخ المفرطة اللين، والسانخ التي تسوخ الارجل فيها من لينها، والظهران ما ارتفع يسيراً، والمستوسقة الارض المنتظمة، والرقاق الأرض اللينة من غير رمل[2].

والتلاع: مسيل الأرض المرتفعة إلى بطن الوادي، فإذا صغرت التلعة فهي شعبة، فإذا زادت التلعة حتى تصل الى اكثرمن نصف الوادي أو ثلثيه فهي ميثاء، فإذا زادت عن ذلك فهي ميثاء جلواخ[3]. والأصبار: نواحي الوادي مما علا منه[4].

والأحساء: أرض رملية تحتها أرض صلبة، فإذا أمطرت السماء على الرمل نزل الماء تحت الرمل، فتمنعه الإرض الصلبة أن يغيض، ومنع الرمل الرياح الحارة أن تبخر المياه، فإذا حفرت الرمل وجدت الماء على ارتفاع قليل[5].

كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة. عمّر طويلاً ولم يدرك الإسلام. في شعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدمه على سائر الشعراء العرب. وكان غزلاً مغرماً بالنساء.

1 ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١٩٩٤م، ص ٥٦.

2 القالي، الأمالي، بيروت، جـ١/ ص ١٨٢.

3 المصدر السابق، جـ٢/ ص ٣١٧.

4 المصدر نفسه، جـ١/ ص ١٨٢.

5 المبرد، الكامل في الأدب، دار الفكر، جـ ١/ ص ٩١.

وقد علّم العرب معنى الجو الصحي، فاختاروا لأنفسهم الأرض ذات الهواء النظيف، وعملوا على تخير منازلهم بدقة، فألفوا منازلهم وصاروا جزءا من البيئة حولهم. ودليل على معرفة العرب الجو الصحي، أن بعض العرب وفد على كسرى فسأل عن منازلهم. فقال بعضهم له: أن العرب قد ملكوا منازلهم ولم تملكهم، يَردون خيارها، ويقصدون ألطفها جوا[1].

كما اختار العرب لسكناهم مكانين، الأول منازل للشتاء ومنازل للصيف، فينزلون في الشتاء في تهامة، وفي الصيف في نجد، وكل قبيلة لها ماء مشهور يفتخرون في نقاءه وصحة ماءه[2].

وسموا بلاد اليمامة والبحرين وما والاها- وفيها نجد وغور- لقربهما من البحار وانخفاض مواضع مجرى مسايل الأودية بها (العروض)، وسموا ما خلف بلاد مذحج تثليث وما بقربها إلى صنعاء وما بجانبها من البلاد إلى حضرموت والشحر وعمان وما يليها إلى اليمن (اليمن) اسماً لكل المنطقة.

وسأل الهيثم بن عدي عن جزيرة العرب فقال: ما بين القادسية إلى حضرموت، فضم لهل جزء من العراق. وقال معمر بن المثنى: جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، وأما العرض فما بين رمل يبرين إلى منقطع السماوة. وقال الأصمعي: جزيرة العرب من أقصى عدن إلى اطرار الشام طولا، وأما العرض فمن جدة ريف العراق وفسر أبو عبيد حديث رسول الله بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب[3]، بأن عمر بن الخطاب استجاز إخراج أهل نجران من اليمن وكانوا نصارى إلى سواد العراق، وأجلى أهل خيبر إلى الشام وكانوا يهوداً من أجل هذا التحديد[4].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ١٢١-١٢٢.
[2] نفس المكان.
[3] **الدارمي**، عبد الله بن عبد الرحمن، أبو محمد، ت ٢٥٥هـ، سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، جـ٢/ ص ٣٠٥.
[4] **الوزير المغربي**، الحسين بن علي بن الحسين، ت ٤١٨هـ، أدب الخواص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٧٥.

الفصل الثاني: التعدين والصناعة.

التعدين:

استطاع عرب نجد والحجاز أن يستخدموا مصادر الطبيعة المتاحة لهم، فقد عملوا باستخراج المعادن المختلفة من حديد ونحاس ورصاص وغيرها من المعادن، كما استطاعوا التمييز بين المعادن وما هو مناسب لأغراضهم، مثل الحديد للسيوف والنحاس للأدوات المنزلية. كما تبينوا أساليب مختلفة لاستخراج المعادن من باطن الأرض وأعماق الجبال. وقال ابن عبد ربه عن الخامات في جزيرة العرب: (ومعادنهم الذهب والفضة، وحجارة جبلهم الجزع)[1].

وكان لعرب نجد والحجاز أسلوب في معرفة متى يحفرون ومتى يتوقفون، فكانوا على مر الأيام يدخلون معهم النار لتضيء لهم ظلمة الآبار التي يحفرونها، أو المغر التي ينجمون بها عن المعادن، ونحو ذلك فإذا انطفأت النار علّموا أن الهواء سينفد فيخرجون من المكان بسرعة قبل أن يختنقوا، أو كانوا يحفرون ساعة ويتركون المكان لليوم التالي ليتجدد فيه الهواء، ويراعون أن تكون رائحة الهواء مناسبة خوفا من خروج غازات ضارة بهم[2].

وكان أهل نجد والحجاز يعرفون أسلوب تنقية الحديد بواسطة صهره حيث ينفصل الحديد الخام عن الخبث، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"... كما تُذهِب النارُ خَبَثَ الذهب والفضة»[3]. ولزيادة فاعلية الإحراق في فرن الصهر كانوا يزيدون كمية الهواء الداخلة بواسطة كير الهواء، فتزيد كمية الاحتراق خلال وقت قصير مما يسبب ارتفاع كبير في الحرارة يؤدي إلى صهر الحديد وسواه من المعادن، قال

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ١/ ص ١٣٦.

[2] الجاحظ، الحيوان، ٢٠٠٣، جـ٢/ ص ٢٨٠، وابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ٢/ ص ٧٦، وابن الأعرابي، محمد بن زياد، أبو عبد الله، ت ٢٣١هـ، أسماء خيل العرب وفرسانها، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٦٧.

[3] سنن أبي داود، دار الفكر، جـ٣/ ص ١٨٤، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٦/ ص ٣٨٣.

رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الأنصار يقال لها "أم المسيب":«.......

كما يذهبُ الكِيرُ خَبَثَ الحديد»[1].

وكانت الصناعات تتباين من بلد إلى آخر، ومن نوع من الخامات إلى نوع آخر، وقد أهتم العرب بجودة المعدن بسبب الاستخدام المصيري للسلاح، فأي خطأ في التصنيع أو في جودة المعدن يودي بحياة صاحب السلاح، لهذا مدح الشنفرى[2] سلاحه:

حُسامٌ كَلَونِ المِلح صافٍ حَديدُهُ   جُرازٍ كَأقطاعِ الغَديرِ المُنَعَّتِ[3]

وكان العرب قبل الإسلام يكشفون عن الذهب في الصباح الباكر، يخرجون ينظرون عقب المطر أو الندى فيلاحظون لمعانه فيجمعونه، قال ربيعة بن مقرم الضبي[4]:

هجان الحي كالذهب المصفى ..   صبيحة ديمة يجنيه جان

(قال أبو عمرو: الذهب في معدنه إذا جاءه المطر ليلا لاح من غد عند طلوع الشمس فيتتبع ويؤخذ)[5].

ويتم تصنيع الحديد على شكلين: فأما أن يكون لينا قابلا للطرق ويمكن إعادة تشكيله، أو يكون قاسيا شديد الصلابة وهو شكل الفولاذ، وسماها العرب كالتالي، فالذكور: السيوف التي عملت من حديد غير أنيث، قال الشاعر[6]:

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، دار أحياء التراث العربي، جـ ٤/ ص ١٩٩٣، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٦/ ص ٤١٠.

[2] الشنفرى، عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان. ؟ - ٧٠ ق. هـ/؟ ٥٥٤ م، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية وكان من فتاك العرب وعدائيهم، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتلهُ بنو سلامان، وقيست قفزاته ليلة مقتلهِ فكان الواحدة منها قريباً من عشرين خطوة، وفي الأمثال (أعدى من الشنفرى).

[3] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٢١/ ص ١٩٤.

[4] ربيعة بن مقروم الضبي، ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي. ؟ - ١٦ هـ/؟ ٦٣٧ م، من شعراء الحماسة، ومن مخضرمي الجاهلية والإسلام. وفد على كسرى في الجاهلية، وشهد بعض الفتوح في الإسلام وحضر وقعة القادسية.

[5] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٢٢/ ص ١٠٣.

[6] هو المهلهل بن ربيعة، عدي بن ربيعة بن مرّة بن هبيرة من بني جشم، من تغلب، أبو ليلى، المهلهل. ؟ - ٩٤ ق. هـ/؟ ٥٣١ م.

ومن أشهر المعادن التي استخرجها العرب النحاس والذهب، وكان العرب يتتبعون عروق المعدن في الصخور ويسيرون معها على شكل أنفاق، أما إذا تبين وجود كميات كبيرة من المعدن فإن المنجم يتحول إلى حفرة مفتوحة، وكانت الأزاميل وسيلة الحفر وراء المعدن، ويتم سحق الخام بواسطة مطارق ومدقات من صخور الديوريت القادر على طحن صخور المرو، وبعد ذلك يتم نقله إلى أفران الصهر التي تبنى بجانب المناجم[1].

ونجد أفران الصهر العائدة للعرب قبل الإسلام مبنية من طبقات من حجارة الآجر، ونجد قصبات النفخ تمتد على جوانب الفرن لزيادة كمية الاحتراق إلى جانب الفحم، ونرى منازل السكان من العاملين في المنطقة حيث يحتاج العمل في المناجم إلى أيدٍ عاملة كثيرة، لهذا نرى تجمع للسكان يزيد على مساحة القرى، كما نجد مناجم جانبية إلى جانب مناجم النحاس حيث يستخرج الذهب والفضة، وتستخدم الرحى لسحق خامات الذهب والفضة بدل المطارق الكبيرة[2].

واختلفت مطاحن الصخور من حيث الفاعلية، فكانت المطاحن الدائرية الكبيرة تستخدم لطحن صخور الكوارتز والمرو، وكانت عبارة عن عجلة كبيرة من الصخر وبداخلها قطعة خشبية وتجر فوق الصخور لتفتتها، كما استخدمت المطاحن دائرية الشكل، كما استخدمت المطاحن ذات السرج لطحن الصخور، ويستخرج الخام بشكل آخر من التربة الغرينية، فكان يكفي غربلة الخام من التراب ويصهر، وربما غسل الخام ليتم تصفية المعدن حسب وزنه ووزن الشوائب[3].

---

[1] **ديجيسوس**، د، برنتس، وكسناوي، أحمد، والريحاني، بسيم، والصقيران، السعدي، وتوبلين، مايكل، وأنكاجنولي، جوزيف، تقرير مبدئي عن مسح مناطق التعدين، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، ع.٢، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، الرياض، ١٩٧٨م، ص ٦٧.

[2] المصدر نفسه، ١٩٨٢م، ص ٧٦.

[3] **كنساوي**، أحمد، وديجيسوس، برينتس، وريحاني، بسيم، تقرير مبدئي عن مسح مناطق التعدين القديمة شمال غرب الحجاز، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، ع.٧، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، الرياض، ١٩٨٢م، ص ٦١.

الصناعة:

وكان الهالك بن عمرو بن أسد، أول من عمل بصناعة الحديد من العرب، وأخذت عنه الصنعة حتى تعلّم العرب طريقة التعامل مع الحديد[1]. وكان أهل مكة يجيدون صناعة المعادن، فعندما وجد عبد المطلب الأسياف سكبها بابا للكعبة، وجعل الغزالين - وهما من الذهب - صفائح غطى بهما الباب[2].

وكانت قلعة[3] وهي موقع في بادية العرب تشتهر بصناعة السيوف، واليها تنسب السيوف القلعية[4]. وكان بنو حنيفة يقيمون بها يصنعون السيوف[5]. وكانت السيوف تصنع من معدن غير قابل للثني، وكانت موشاة ويتفنن في النقوش عليها، ويختار لمقابضها أيدٍ من العاج والأبنوس[6].

وكان في بني قشير من يحسن صناعة الرماح، والرماح القضعبية تنسب إلى رجل من بني قشير كان يمتهن بصناعة الرماح[7]، والرماح العصفورية نسبة إلى رجل يدعى عصفور يصنعها، ورماح يصنعها رجل يدعى ماسخ، ويطلق عليها الماسخية[8].

كما ظهرت عدة دروع عربية منها: الداودية وكان يصنعها اليهود في خيبر، والعادية وهي دروع عربية قديمة، ومنها الخطمية نسبة إلى خُطمة بن محارب العبدي، وهو من عبد القيس، ومنها دروع صنعها بنو سليم[9].

---

[1] الكلبي، جمهرة النسب، ١٩٨٦م، ص ١٨٦.
[2] تاريخ الطبري، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٥٠٣.
[3] قرب بادية العراق، بجانب حلوان، ياقوت، معجم البلدان، ٢٠٠٣م، مادة قلعة.
[4] درادكة، د. صالح موسى، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار شيرين للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٨م، ص ١٥٤.
[5] المصدر نفسه، ص ١٦٢.
[6] المصدر نفسه، ص ١٥٦.
[7] المصدر نفسه، ص ١٧٣.
[8] المصدر نفسه، ص ١٧٤.
[9] المصدر نفسه، ص ١٩٨.

وكان العرب يحاولون تطوير صناعاتهم باستمرار، ولو اضطروا إلى السفر لتعلّم الأساليب من بلدان مجاورة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث عروة ابن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جُرش[1] لتعلّم صنع الدبابات والمجانيق والضبور[2].

وكان سبب اختراع الدبابة تقدم التحصينات في الجزيرة العربية بعد أن بنيت الأسوار العالية من الطين، فلم يكن بالإمكان اقتحام الأسوار بشكل مباشر، وكانت عملية التسلق ينجم عنها خسائر بشرية فادحة عند الطرف المهاجم بسبب تفوق المدافعين وراء تحصيناتهم، فكان عبد الله بن جعدة أول من صنع الدبابة، وكان السبب تمرد عبد كودان عليه بأن اسر أولاده ونسائه وتحصن في أحد القصور، فكان كلما أقتربوا منه رماهم بالسهام، فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دبابة على جذوع النخل وألبسها جلود الإبل، ثم حملوها حتى أسندوها إلى القصر، ثم حفروا تحتها حتى خرقوا الجدار فقتلوا العبد ومن سانده من العبيد وانقذ الصبية والنساء[3].

ومن الصناعات العربية صناعة الخزف والفخار، وهو مزخرف ومزين وله عدة ألوان، وكانت قطع الفخار تصنع بشكل رقيق جدا، وكانت تحرق لزيادة متانتها، وبعضها كان مطليا بالخزف[4]، وكانت العجينة مختلفة المحتويات فربما كانت من الطين، وربما كانت مخلوطة بحبيبات الرمل أو الجرانيت، وربما كانت من عجينة الآجر، وكانت تصقل وتطلى بالرش، ولها عدة أحجام من الأدوات البسيطة وحتى الأواني الكبيرة، كذلك تم صقل الجزء الداخلي وتلوينه[5].

---

[1] جُرَش: من مخاليف اليمن من جهة مكة، وهي مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، مادة **جرش**).

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩٢م، جـ ٤/ ص ٩٦، و تاريخ الطبري، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ١٧١، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٩٤م، جـ١/ ص ٢١٣.

[3] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٥/ ص ٢٧.

[4] **بودن**، جارت، وميللر، روبرت، وايدنز، كريستوفر، التنقيبات الأولية في تيماء، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، ع. ٤، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، الرياض، ١٩٨٠م، ص ١٠١.

[5] المصدر نفسه، ص ١٠٦.

استنباط المياه:

كان العرب أول أمرهم يشربون من حياض وبرك صنعوها لجمع الماء، فكان في خيبر حوض ماء كبير مقسم إلى ثلاث برك، ويؤخذ ذلك الماء من نبع عظيم يقع بمنطقة النطاة تسمى اللحيحة[١]. وكان أهل مكة يشربون من حياض ومصانع في رؤوس الجبال، ثم تعلّموا حفر الآبار حتى برعوا فيه، فحفر عبد شمس بئر الطوى، وحفر هشام ابن عبد مناف بئر بذر، وحفر المطعم بن عدي بئر سجلة، وحفر أمية بن عبد شمس بئر الحفر، وحفرت بنو أسد بن عبد العزى بئر سقية، وحفرت بنو عبد الدار بئر أم أحراد، وحفرت بنو جمح بئر السنبلة، وبئر حفرها ميمون بن الحضرمي، وغيرها من الآبار التي حفرتها قريش من القدم مثل رم وخم والجفر واليسيرة والروى والعجول وسجلة، فلما حفر عبد المطلب بئر زمزم طغت على كل الآبار[٢]، وبعض تلك الآبار لا تزال مستخدمة حتى الوقت الحالي[٣].

وكان استخراج المياه بذاته علم، ومن العلّماء عبد الله بن عامر بن كريز[٤]، كان لا يعالج أرضا ألا استنبط بها الماء[٥]. وكانوا يستدلون على وجود المياه بعدة طرق منها: أن يتعرفوا على طبيعة الأرض والتلال والجبال حولها فتدلهم على وجود المياه، وكذلك من النباتات حولها، ويتعرفون على وجود الماء من طبيعة تبخر الماء من الأرض، فإذا ظهر الندى والبلل على الأرض أول النهار أو آخره استدلوا على وجود الماء، ويستدلون على الماء من السماع بواسطة وضع الأذن فوق الأرض ليسمعوا خرير الماء أو صوت حفيفه[٦].

---

[1] **ابن عبد المنعم الحميري**، محمد بن محمد بن عبد الله، ت ٩٠٠هـ، الروض المعطار في خبر الأقطار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١١٢٩.

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩٢م، جـ١/ ص ١٢١-١٢٤، والبلاذري، فتوح البلدان، ١٩٨٣م، ص ٥٦-٥٧.

[3] علي، المفصل، ١٩٧١م، جـ ٨/ ص ٤٢٢.

[4] صحابي، ابن دريد الاشتقاق، ٢٠٠٣م، ص ٤٣١.

[5] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٩٩٠م، مادة **بستان ابن معمر**.

[6] ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ١٩٩٣م، ص ٥٧.

ويمكن الاستدلال على وجود الماء من خلال لون التربة وتركيبتها، فإذا كانت سوداء مغبرة فتكون ذات ماء، أما إذا كانت خشنة مليئة بالحجارة فتكون جافة، ويمكن الاستدلال على الماء من خلال طعمها، فإذا كانت بدون طعم فإنها ذات ماء، أما إذا كانت مالحة أو مرة فإنها لا تحوي الماء، كذلك يمكن أن توضع في اليد فإذا تماسكت أو عجنت كانت ريانة وتحوي كثيرا من الماء[1].

ومن النباتات التي تدل على وجود الماء نبات حب الزَلَم، ونبات لسان الكلب، أو الحماض، والخبازيا، والعوسج الصغير، أما الكبير فينبت في الأراضي الجافة، ومن أدل النباتات نبات لسان الثور، كذلك نبات الحبق البري، والبردي ويدلان على وجود ماء قريب، أما أصناف القصب فإنها تنمو على ماء غزير وقريب، وكذلك نبات الحرشف البري، ونبات كرفس الماء، ونبات قرع البر، وغيرها، ولكن كانوا يتأكدون من أنّها ليست نابتة بعد المطر ويتبينون ذلك بالوقت وعمر جذورها[2].

وللبئر أسماء حسب مدى التقدم في الحفر فكانوا إذا بدأوا في الحفر سموه بدءً، أو قالوا فطر البئر، وإذا زاد عمقه قالوا اعتمق البئر، فإذا زاد كثيرا قالوا معيق وعميق، وإذا حفروا ووسعوا الجوانب قالوا لجف البئر، قال الشاعر في صفة حافر بئر:

.... إذا انتحى معتقا أو لجفا

فإذا بلغوا الماء واستخرجه قالوا استنبط الماء[3].

وللعرب أسلوبان في حفر البئر، فإذا كان في أرض صلبة وسَّعوا الحفرة من الأعلى ليستطيعوا الحفر، أما إذا كانت الأرض لينة فكانوا يضيقون المدخل، وإذا حفروا فعليهم أن يعملوا ساعة بعد ساعة ليتجدد الهواء، فإذا ظهر الماء فعليهم أن يتذوقوه، فإذا كان مالحا تركوه، ويعودون إليه من اليوم التالي ويتذوقوه، فإذا تغير طعمه وتحسن أكملوا الحفر ووسعوا له، أما إذا كان مراً أو كان طعمه رديء فعليهم

---

1 المصدر نفسه، ص ٥٨.
2 المصدر نفسه، ص ٥٨-٦١.
3 ابن الأعرابي، البئر، ١٩٨٣م، ص ٥٥.

أن يتركوه، وإذا شاهدوا في البئر بخارا سيئا لم يدخلوه، ولكنهم يحملون شمعة ويدخلونها في البئر مرة بعد مرة، فإذا انطفأت تركوه، وغطوه، لأنَّ مياهه فاسدة وكذلك هواءه فمن يحفر فيه ميت لا محالة[1].

وكانوا إذا حفروا جعلوا رأس البئر ضيقة لمنع انهيار التراب، فإذا تعمقوا في الحفر وسعوه قليلا، وكانوا يخرجون مرة بعد مرة للتأكد من سلامة الهواء، وينزلون من حافة البئر عدة خيوط ليتأكدوا أن البئر على استقامة واحدة، وإذا اعترض طريقهم صخر أو ما شابه كانوا يشعلون حوله النار، وينزلون قطعة قماش في البئر ويحركونها ليتحرك الهواء فيه حتى لا تنطفئ النار، فإذا أرادوا أن يعرفوا إذا كان الهواء صالحا أم لا ادخلوا كلبا فيه ورجموه ليعوي، فإذا عاش دخلوا وألا انتظروا مدة وادخلوا كلبا آخر[2].

أما إذا جف البئر فكان العرب يقومون بزيادة عمق البئر، ثم يعملون على إشعال كميات كبيرة من الحطب حتى إذا صارت جمراً ألقيت في قاع البئر، ثم يغطى البئر ويغطى بالتراب ويحكم غلقه، ويفعل ذلك عدة أيام[3]. والهدف من هذا العمل رفع حرارة التربة في جدران البئر حتى تتشقق فتدخل المياه إلى البئر، وهذا العمل يناسب الآبار التي تعتمد على المياه الجوفية، وليس آبار الجمع من الأمطار، فآبار العرب كانوا يتتبعون بها مستوى المياه الجوفية.

وربما عمدوا إلى السرطانات يرمونها في البئر لأنها تحفر في جوانب البئر كوىً تختبئ بها، وهذا الكوى تسمح للماء بالتسرب إلى داخل البئر دون أن يضطروا إلى النزول وحفر البئر، وتفيد بأنها تأكل العوالق والحشرات داخل الماء[4].

ولهم حيلة في البئر المختلط ماءه حار وبارد، فكانوا يصنعون أنبوبين من نحاس ويجعلون مدخليهما على البئر ويكون واحد منهما أعلى من الآخر فيخرج الماء البارد

---

[1] ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ١٩٩٣م، ص ٧٠-٧١.
[2] المصدر نفسه، ص ٧٣ -٧٤.
[3] المصدر السابق، ص ٦٨.
[4] المصدر نفسه، ص ٧٦.

من الأسفل ويخرج الحار من الأعلى، وليكون الأنبوب مثبتا بأحكام وحتى لا يحت الماء الكلس كانوا يعجنونه بالزيت بدل الماء فيدوم مدة أطول، ثم يجعلون مخارج كل ماء على حدة ليصب في بركة يستخدمونها حسب الحاجة، وإذا أرادوا وصل أنبوب بآخر وصلوه بالرصاص، حتى ربما جعلوه قناة تسير بها المياه[1].

وتقسم الآبار إلى عدة أقسام حسب العمق:

١- النزوع: التي يستقى منها باليد[2].

٢- المتوح: التي يستقى منها على بكرة[3].

٣- الجرور: البعيدة القعر التي لا يستقى عليها ألا بسانية[4].

٤- والماتح: التي يستخرج ماءها رجلان كل رجل على طرف[5].

وتقسم الآبار إلى عدة أنواع حسب طريقة تغطية جدرانها، فالجفر البئر قبل أن تطوى، فإن طويت سميت مزبورة[6]. والطوى: التي تطوى جدرانها بالحجارة[7]. والمعروشة: التي غطيت جدرانها بعضها من الحجارة وبعضها من الخشب[8]. أما إذا لم تحتج أن تطوى قيل:"بئر شديدة الجراب"[9].

أما عملية الاستخراج نفسها فكانت تتم بعدة طرق، فإما أن تنزع المياه بدلو بواسطة اليد، أو أن يقوم بذلك جمل، فكانت الآبار العميقة خاصة يركب عليها عدة أخشاب متقاطعة وتركب عليها بكرة، فإذا كانت كلها من الخشب سميت قعو، وإذا

---

1 المصدر نفسه، ص ٧٩-٨١.
2 المبارك، فقه اللغة،١٩٩٤م، ص ٣٠٣.
3 المصدر نفسه، ص ٣٠٣.
4 أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ٢/ ص ١١٥.
5 ابن الأعرابي، البئر، ١٩٨٣م، ص ٥٨.
6 أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ٢/ ص ٧٧.
7 المبارك، فقه اللغة، ١٩٩٤م، ص ٣٠٣، وأبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ١٩٨٣م، ص ٦٤.
8 المبارك، فقه اللغة،١٩٩٤م، ص ٣٠٣، وأبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ١٩٨٣م، ص ٦٤.
9 ابن الأعرابي، البئر، ١٩٨٣م، ص ٥٨.

كان جنباها من الحديد سميت خطاف[1]، وتسمى البئر التي يستخرج ماءها على بكرة بالمتوح[2].

وكانت الآبار العميقة كثيرة الماء تستخرج مياهها بواسطة جمال تربط بها دلو وتنضح بها الماء مرة بعد مرة[3]، والسانية هي الناقة التي يستقى بها من البئر[4].

وحتى يمنعوا انهيار حواف البئر كانوا يصنعون غطاءاً مستديراً للبئر من الخشب واحد كبير يغطي أطرافه البعيدة، ويجعلون لها أسنانا تثبت في التراب حتى لا تتحرك الخشبة، وواحد آخر فوقه حتى لا ينكسر الخشب نفسه ويسقط من يريد الماء بالبئر، ثم يركبوا عليه ما شاءوا من الدواليب لنشل المياه منه[5]. وربما وضعوا حجرا يسمونه التعلية ليقف عليه الرجل إذا أراد سحب الماء[6]، فإذا طال عليه النهار وهو ينشل الماء كان يجعل للبئر غطاء من الثمام وهو جريد النخل يستظل به، وتسمى البئر عند ذلك معروشة[7].

والآبار البوائن التي يصيب الحبل أطرافها، فكانوا يربطون الحبل بحبل يجنبونه أطراف البئر لئلا ينقطع[8]. ويقال عنه شطون إذا كانت الركايا في جرابها عوج وتحتاج إلى رجلين كل واحد معه حبل لتخرج دون أن تسكب ماءها[9]. ومن الآبار ما حفر بالصخر وما حفر بالطين ولكل منها أسلوب بالحفر، وأسلوب لاستخراج المياه،

---

1 أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ٢/ ص ٢٢٠، وابن الأعرابي، البئر، ١٩٨٣م، ص ٧٢.

2 المبارك، فقه اللغة،١٩٩٤م، ص ٣٠٣.

3 الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ٣/ ص٦.

4 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **سنا**.

5 ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ١٩٩٣م، ص ٨٤، وابن الأعرابي، البئر، ١٩٨٣م، ص ٧٠.

6 ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ١٩٩٣م، ص ٨٤، وابن الأعرابي، البئر، ١٩٨٣م، ص ٧٠ و ٦٤.

7 ابن الأعرابي، البئر، ١٩٨٣م، ص ٦٧.

8 أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ٢/ ص ٢٣٦.

9 ابن الأعرابي، البئر، ١٩٨٣م، ص ٥٩.

فالطوي من الآبار ما حفرت بالطين والأرض اللينة، والخسيف التي حفرت بالصخر[1].

وتقسم الآبار حسب كمية الماء فيها إلى أقسام منها: (البضوض من الآبار: التي يخرج ماؤها قليلاً قليلاً، وكذلك البروض والرشوح والمكول، والعرب تقول: قد اجتمعت في بنرك مكلة فخذها؛ أي ماء قليل)[2]، والبئر الخضارم: البئر غزيرة المياه[3].

---

1 المبارك، فقه اللغة،١٩٩٤م، ص ٣٠٣.
2 القالي، الأمالي، بيروت، جـ١/ ص ١٨٤.
3 أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ٢/ ص ١٤٤.

ومما يدلل على علّم العرب بالنجوم أنهم عرفوا سبب عدم ظهور الكواكب نهارا، فكانوا يزعمون أن الغبار ارتفع يوم حليمة حتى سد عين الشمس فظهرت الكواكب، ولا يعنينا صدق الرواية بقدر ما يدلل على معرفتهم أن ضوء الشمس هو الذي حجب النجوم[١].

وأخذ على امرئ القيس ضعفه في علّم الفلك، ومما يعاب عليه من شعره قوله:

إذا ما الثُريّا في السَّماءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أثنَاءِ الوشَاحِ المُفَصَّلِ

فالثريا لا تعرُّض لها، وإنما ذلك للجوزاء[٢]، فكأنه أراد ضبط الشعر فغلط بالفلك[٣].

ومن معرفة العرب بالنجوم أن النصائح الطبية التي قدمها الحارث بن كلدة كانت تعتمد على معرفة العرب بالنجوم، فكان يقول:"إياكم والقعود في الشمس، فإن كنتم لابد فاعلين فتنكبوها بعد طلوع النجم أربعين يوما، ثم انتم وهي سائر السنة"[٤].

ويبرر أبو حنيفة الدينوري معرفة العرب بعِلْمِ النجومِ فيقول: (٠٠٠٠ لأنَّ جلهم قطان بواد، وسكان عدوات قفار، أهل عمد سيارة، تبَّاع غيث ٠٠٠ فأبصارهم إلى السماء طامحة، وبنواحيها موكلة، يطببهم البرق إذا لمع، والغيث إذا وقع، والماء إذا نقع، ويظعنهم الحر إذا وهج، ويجهدهم البرد إذا ركد، فهم بين نجعة وحضور، لهم في كل ريح تهب، وكوكب يطلع، ونجم ينوء، أمر مسهر أو منيم ٠٠٠ ففي الناس أمم غيرهم أهل عمد وبواد، وما في أحد منهم علّم الحساب الذي أوغلوا إلى لطائف دقائقه، وأدركوه على حقائقه)[٥].

---

[1] **الزمخشري**، محمد بن عمر بن محمد، ت ٥٣٨هـ، المستقصى في أمثال العرب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٣٤٨.

[٢] قال الأصمعي: الجوزاء تمرُّ على جنبٍ وتُعارِضُ النجوم مُعَارَضة ليست بمستقيمة في السماء. قال لبيد:

فاقطعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصلُهُ فلَخَيْرُ واصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُها

أي تعوَّج، (الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، مادة **عرض**).

[3] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١٩٩٤م، ص ٥٦.

[4] **الزمخشري**، محمد بن عمر بن محمد، ت ٥٣٨هـ، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٩٣.

[5] المصدر نفسه، ص ٩٤.

ويعود سبب تطور علم الفلك ذاتيا عند العرب أن ليس لهم تاريخ يسيرون عليه ولا كتب تنقل لهم العلوم، بلادهم قفار فيرون الشمس والنجوم اغلب ايام السنة، كما كانوا إذا ساروا في البراري لم يجدوا دليلا يرشدهم الا هذه النجوم، لهذا احتاج كل واحد منهم في سفره الى الاعتماد على فكره بأن يحدد مكانه بدقة ليتمكن من أكمال رحلته؛ كما أن اعتمادهم على مياه الامطار في زرعتهم وفي أطعام حيواناتهم جعلهم يهتمون بمعرفة مواعيد سقوط الامطار، فوضعوا الفصول والأنواء لتحديد مواعيد الهطول بدقة، فيعلمون متى يحلون ومتى يرحلون، كما أن بلادهم مترامية الأطراف، فكانوا يعتمدون نجوم السماء أدلة على أطراف الأرض وأقطارها، فسلكوا بها البلاد[1].

وكان العرب يهتمون كثيرا بمواقع النجوم، لأنها دليلهم الأوحد في الصحراء، وحدث قبل ولادة الرسول أن مر في جو الأرض عدد كبير من النيازك والشهب، فخافت ثقيف أن أمرا حل بالنجوم، وأن مواقعها قد تغيرت فجاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج، وكان من أعلم العرب في النجوم، فبين لهم أنّها أجرام سماوية وليست من النجوم لأنَّ كل معالمهم وأنوائهم لا تزال مكانها[2].

وما تعرف العرب من نجومها، له علاقة بالاهتداء بها في مسيرها، وما تعرفه عن أنوائها لتحديد وقت نزول الغيث، فقال تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) (البروج: ١)، واقتصر على ذكر الفلك المعروف عند العرب ببروجه، وإنما عرفت الأنواء بالقمر لحلوله في المنازل، ومسير القمر ظاهر في السماء، والعرب كثيراً ما تتأمله، لسفرها وسراها، وعرفت الكواكب السيارة لقرب مسيرها بالنسبة للقمر[3].

ولا أدل على اعتماد العرب على النجوم في مسيرهم من قوله تعالى: {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ }[النحل: ١٦]، ولا يهتدي العرب بجَمِيع النُّجُوم أنما هناك عدد

---

[1] **أبو حيان التوحيدي**، علي بن محمد بن العباس، ت ٤٠٠هـ، الإمتاع والمؤانسة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١٠٣.

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، ١٤١١هـ، جـ١/ ص ٣٤٥، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٩٤م، جـ١/ ص ١١٠.

[3] ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ٢٠٠٣م، ص ٦٣٤.

منها معروف ويهتدي العرب بِالْجَدْيِ وَالْفَرْقَدَيْنِ ؛ لأنها نجوم ظاهرة أبدا في السماء، ثابتة عَلَى الْقُطْبِ.

وكان العرب لديهم القدرة على تميز النجوم الثابتة والكواكب المتحركة، والشهب التي تسقط على الأرض، وكان عمرو بن أمية عالما بها، وكانت عدة شهب قد ظهرت في ليلة ففزع أهل الطائف له، فطمئنهم أنّها مجرد شهب وان النجوم ما تزال في مكانها، وشكل معالمهم ما يزال على حاله[1].

ويظهر الاهتداء بالنجوم جليا في القرآن كقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الأنعام: ٩٧] وقوله: {وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل: ١٦] وقوله: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ* الْقَدِيمِ لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَآ أن تدرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وكلٌ في فلكٍ يسبحون} [يس: ٣٩ و٤٠] الآية.

وكان العرب يعرفون طبيعة انحراف الأرض عن محورها حيث كانت الشمس والقمر يغيران مشرقهما ومغربهما كل يوم ينزاح إلى الجنوب والى الشمال، ويظهر ذلك في قوله تعالى: (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) (الرحمن:١٧) فالمشرقان: مشرقا الصيف والشتاء، والمغربان: مغربا الصيف والشتاء؛ فمشرق الشتاء: مطلع الشَّمس في أقصر يوم من السنة وهو في ١٢/٢٣ من كل سنة، ومشرق الصيف: مطلع الشَّمس في أطول يوم من السنة في ٦/٢٣ من كل سنة، والمغربان على نحو من ذلك. ويظهر إدراك العرب للإزاحة المستمرة في فلك الشمس بقوله تعالى: (فَلا أُقسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) (المعارج:٤٠)[2].

وكان المسلمون يحددون صلواتهم بالنسبة للنجوم، فكانوا لا يصلون المغرب حتى يروا الشاهد وهو النجم وليس بعد مغيب الشمس، فقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر، فلما أنهى الصلاة قال: «إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فتوانوا فيها وتركوها، فمن صلاها منكم ضوعِفَ له في أجرها ضعفين، ولا

---

[1] ابن هشام، السيرة، ١٤١١هـ، جـ٢/ ص ٣٠.
[2] ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٩٧-٩٨.

صلاة بعدها حتى يُرَى الشاهد، والشاهد: النجم»[1]، فكانوا ينتظروا بصلاة المغرب اشتباكَ النجوم[2].

وقسم العرب الفجر إلى فجرين: يسمى الأول منهما "ذَنَب السَّرْحان" وهو الفجر الكاذب، شُبِّه بذنب السرحان لأنه مُسْتَدِقٌ في عرض السماء، والفجر الثاني هو"الفجر الصَّادق"الذي ينتشر طولا وعرضا، وهو عامود الصبح[3].

ويحدد العرب القبلة من خلال برج الجَدْي وهو جَدْي بنات نَعْشٍ الصغرى، و"بنات نعش الصغرى"بقرب"الكبرى"على مثل شكلها: أربع منها نعش، وثلاث بنات؛ فمن الأربع "الفَرْقَدَان" وهما المتقدِّمان، ومن البنات "الجَدْيُ" وهو آخرها، و"السُّهى" نجم خفي في بنات نعش الكبرى، والناس يمتحنون به أبصارهم، وفيه جرى المثل فقيل:"أُريها السُّهَى وتُريني القَمَرَ"[4].

وكانت العرب تزعم أنَّه يحدث عند نوء كل منزل مطرٌ أو ريح، أو حر أو برد، وهذا الذي روي في الحديث. أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:"أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة"[5]، وهو أن تضيف المطر إلى الكوكب الذي ينوء[6].

ويظهر التقدم في علم الفلك عند العرب من خلال معرفتهم بالفلك وطبيعته، فقسموا معرفتهم فقالوا: السماء: كلُّ ما علاك فأظلَّك، والفَلَك: مدار النجوم الذي يضمها، قال الله عزّ وجلّ: (لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أن تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس: ٤٠) سمَّاه فلكا لاستدارته، ومجرَّة النجوم: سميت مجرَّة لأنها كأثر المَجَرِّ، وبُرُوج السماء: واحدها بُرْج، وأصل البروج

---

1 مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، جـ ٦/ ص ٣٩٦، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٥/ ص ٣٥.

2 ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٥/ ص ٢٠١.

3 ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٩٩.

4 ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ١٠٠.

5 مسلم، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، جـ٢/ ص٦٤٤.

6 عبد القادر البغدادي، عبد القادر بن عمر، ت ١٠٩٣هـ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣، ص ١٤٧٧.

الحصون والقصور، قال الله تبارك وتعالى: (وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)(النساء: من الآية٧٨) وأسماؤها: الحَمَل، والثور، والجَوزاء، والسَّرَطان، والأسد، والسُّنبُلة، والميزان، والعَقرب، والقَوْس، والجَدْي، والدَّلو، والحُوت[1].

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس طبيعة الأجرام السماوية وعدم علاقتها بأحداث البشر، فيروى أن الشمس انكسفت يوم مات ابنه إبراهيم، فقال الناس: انكسفت الشمس لموته، فقال عليه الصلاة والسلام:"أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته"، وكان علي بن أبي طالب يدعو الناس إلى تعلّم النجوم ويقول:"من اقتبس علما من علم النجوم من حملة القرآن ازداد به إيمانا ويقينا"، ثم يتلو: (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ) (يونس:٦)[2].

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاعتقاد بقدرة الأنواء على أن تأتي بمطر أو ريح، وان الاستشهاد بها في تقدير الوقت جائز؛ لأنَّ العرب كانت تقول: (إنما هو من فعل النجم) ولا يرون به قدرة من الله تعالى. فأما من أراد الوقت فذلك جائز، كما رُوي عن عمر والعبّاس فكان سؤاله، كم بقي من نَوْء الثُّريّا؟ فبين أن العلماء يرون أنّها تسبق نجم الثريا فلا تمر سبعة أيام حتى تظهر وتهطل الأمطار[3].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أبلغ الناس بكراهية وحرمة الاعتقاد بقدرتها وكان ذلك بعد ليلة ماطرة، فلما صلى الصبح أقبل بوجهه على المسلمين وقال: { أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ}[4]، وأوجف عمر بن الخطاب بشيخ من بني تميم كان سمعه يقول

---

[1] ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٩٢-٩٣.
[2] الزمخشري، ربيع الأبرار، ٢٠٠٣م، ص ٩١.
[3] العباب الزاخر واللباب الفاخر، ٢٠٠٣م، مادة نوا.
[4] صحيح ابن حبان، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٤١٧.

بعد يوم ماطر: (أجَادَ مَا أقرَى المِجْدَحُ البَارِحَة)، لأنه أضاف المطر إلى النوء ولم يضفه إلى قدرة الله[1].

وكان العباس عالما بالفلك وكان عمر بن الخطاب يسأله علّمه، فقال للعباس وهو يستسقى: (يا عم رسول الله كم بقي من نوء الثريا؟ فأن العلماء بها يزعمون أنّها تعترض في الأفق سبعا ...)[2].

وكان العرب يتنافسون في العلوم، ومن علومهم الذي يفتخرون به علّم النجوم، واستمر ذلك بعد الإسلام، قال ابن عباس لعكرمة مولاه: (اخرج فانظر كم بقي من الليل). فقال: (أنى لا أبصر النجوم). فقال ابن عباس: (نحن نتحدى بك فتيان العرب، وأنت لا تبصر النجوم). وأستمر هذا العلّم حتى العصر الأموي وما بعده، وكان علّما يفتخر به الملوك ويعتبر من العلوم الأساسية التي يتعلّمها الخلفاء، قال معاوية لدغفل ابن حنظلة العلامة، حين ضمه إلى يزيد: (علّمه العربية، والأنساب والنجوم)[3].

ووقف عكرمة على رجل يسأله عن حساب النجوم، والرجل يتحرج أن يخبره، فقال عكرمة:"سمعت ابن عباس يقول: هو علّم عجز الناس عنه، ولوددت أني علّمته"، وكان ابن عباس يحدث أنّه علّم من علوم النبوة، ويقول:"ليتني كانت أحسنه.."[4].

منازل القمر - وهي ثمانية وعشرون منزلاً-:

وقد قسم العرب السماء إلى أنواء، ويعني غياب نجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله في المشرق، ويحصل ذلك كل ثلاثة عشر يوما، والأنواء ثمانية وعشرون، جميعها ثلاثة عشر يوما ما عدا الأخير أربعة عشر يوما، ومجموعها ٣٦٥ يوما، ومع

---

[1] **الشافعي**، أبو عبد الله محمد بن إدريس ، ت ٢٠٤ هـ، الأم، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م، جـ١/ ص ٢٥٢.

[2] الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٢٠٠٣م، ص ٩٢.

[3] **المرزوقي**، أحمد بن محمد بن الحسن، ت ٤٢١هـ، الأزمنة والأمكنة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١٦٨، الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٢٠٠٣م، ص ٩٢.

[4] الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٢٠٠٣م، ص ٩١.

انقضاء السنة يرجع الأمر إلى النجم الأول في استئناف السنة المقبلة، وكانوا يقولون: إذا سقط منها نجم وطلع آخر وكان عند ذلك مطر أو ريح أو حرٌ أو برد نسبوه إلى الساقط إلى أن يسقط الذي بعده، فإن سقط ولم يكن معه مطر قيل: "قد خَوَى نجم كذا"، "وقد أخْوَى"[1].

ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلة، منها أربع عشرة منزلة شامية، وهي الناطح، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثر، والطرف، والجبهة والزبرة، والصرفة والعواء والسماك. ومنها أربع عشرة منزلة يمانية، وهي: الغفر، والزباني، والإكليل والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرع الدلو الأعلى والفرع الأسفل والحوت[2].

وهذا تفصيل بكل منزل من منازل القمر، وما يحدث بظهوره:

١- **الناطح:** وهو من الشرطان، والشرطان وهما الناطح والبطين[3]. وهما مفترقان مع امتداد الشمال، وهما نجمان كبيران والبطين أصغر من الناطح، وسميا بهذا الاسم لأنّ سقوطهما علامة لبداية سقوط الأمطار واستمراره[4]. والغَفْرَ رَقِيبُ الشَّرَطَيْنِ، لا يَطْلُع الغَفْرُ حتى يَغِيبَ الشَّرَطان[5]؛ وهما من برج الحمل، والحمل عدد كبير من النجوم تشكل أعضاء للحمل، الشرَطان قَرْناه، و البُطَيْن بَطنُه، والثريا ألْيتُه[6].

٢- **البطين:** وهو ثلاثة نجوم طمس خفيات، وهو بطن الحمل، إلا أنّه قد صغر[7]، والعرب تقول أن البطين لا مطر به ولكن به ريح[8]. والزُّبَانَان رَقِيبُ البُطَيْنِ[9]، والبُطَيْن، ثلاثة نجوم صغيرة تشكل مثلث مثل أثافي القدر، وهو بطن الحَمَل[10].

---

[1] ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٩٥.
[2] الحور العين، ٢٠٠٣م، ص ٤٣و٤٤، واليعقوبي، تاريخ، ١٩٩٥م، جـ١/ ص ٢٢٨.
[3] أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ١/ ص ٣٧٢.
[4] ابن رشيق القيراوني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨٤.
[5] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **رقب**.
[6] المصدر نفسه، مادة **بطن**.
[7] ابن رشيق القيراوني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨٤.
[8] ابن دريد، جمهرة اللغة، ٢٠٠٣م، مادة **بطن**.
[9] الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **رقب**.

٣- **الثريا:** وإذا طلعت الثريا أشتد الحر وترك الناس مرابعهم وعادوا إلى مياههم[٢]. وتقول العرب: إذا طلع النجم فالعشب في حطم والهواجر في حدم، يعنون الثريا[٣]، والثريا أول نجوم الوسمي، ونجوم الوسمي سبعة: الفروع المؤخر، والجوبت، النجم وهو الثريا، والدبران التابع، يتبع الثريا الدهر لا يفارقها[٤]. قال المضرس المزني[٥]:

سقاك وإن أصبحت وانية القوى　　　شقائق مزنٍ ماؤهن فتيـق

بأسحم من نوء الثريّا كأنمـــا　　　سفاه إذا جنّ الظلام حريق[٦]

وصورتها ستة نجوم متقاربة تكاد تتلاصق، وأكثر الناس يجعلها سبعة، وقد جاء الشعر بسبعة وستة، سميت بهذا لأنَّ بمطرها تكون الثروة وكثرة العدد والغنى، وهي تصغير ثروي[٧].

و(الثُريَّا رَقِيبُهَا الإِكْلِيلُ، إذْ طلعَتِ الثُريَّا عِشَاءً غَابَ الإِكْلِيلُ، وإذا طلَعَ الإِكليلُ عِشَاءً غَابَتِ الثُريَّا)[٨]، وقالوا في أمثالهم: (إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء)[٩].

٤- **الدبران:** نجم وقاد بعد نجوم تسمى القلاص، وقيل له "دبران" لأنه يتبع الثريا، أي: جاء خلفها، ويقال له أيضاً "الراعي" و"التالي" و"التابع" و"الحادي" و"المجدح"[١]، قالوا: إذا طلع الدبران توقدت الحزان، واستعرت الدبان، ويبست الغدران[٢].

---

1 ابن منظور، لسان العرب، ٢٠٠٣م، مادة **بطن**.
2 أبو تمام، نقائض جرير والأخطل، ١٩٢٢م، ص ٤٨.
3 المصدر نفسه، ص ٥١.
4 أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ١/ ص ٣٧٢.
٥ أبو سلمى المزني، ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن عثمان المزني، أبو سلمى. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر جاهلي، عاش في القرن السابق لظهور الإسلام. وهو والد زهير وأوس والخنساء وكلهم شعراء مقدمين. مات أبوه وهو صغير فتربى في كنف أخواله، وشارك مع خاله أسعد بن الغدير وابنه كعب في ناس من بني مرة في غارة على منازل طيء، فأصابوا نعماً كثيراً وأموالاً، فرجعوا حتى انتهوا إلى أرضهم، فامتنع خاله عن إعطائه حقه في الفيء، فتحول إلى تحريض قومه للإغارة على بني ذبيان.
6 القالي، الأمالي، ٢٠٠٣م، ص ١٣٥٥.
7 ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨٥.
8 الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **رقب**.
9 ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٤٩.

غَيَّرَها بَعْدِيَ مَرُّ الأنْوَاءْ   نَوْءُ الثُّرَيَّا أو ذِرَاعُ الجَوْزَاء[2]

وقالوا عنها: (إذا طَلَعَتِ الذّراع، حَسَرَتِ الشَّمْسُ القِناع، وأشْعَلَت في الأفق الشُّعاع، وتَرقرَقَ السَّرابُ في كلّ قاع)[3].

والذراع المَقبوضَـة من جهة الشّامَ، ويَنزِلُ بها القمرُ، والمَبسوطةُ من جهة اليَمَنَ. ورُبَّما نزل بها القَمَرُ. وتَطلُعُ في سَبْعةِ تَمُّوزَ، وتغرب في السادس من كانون الثاني، قال ذو الرُمَّة[4]:

فأرْدَفَتِ الذّراعُ لها بغَيْثٍ   سَجُومِ الماءِ فانْسَحَلَ انْسِحالا[5]

والبَلْدَةُ رَقِيبُ الذّرَاع يَطْلُعُ الأول ويغيب الثاني[6].

٨- **النثرة:** وهي تشبه اللطخة بين نجمين، وهي بين فم الأسد وأنفه، وتشبه الفرجة عند بين الشاربين عند الإنسان، وربما سميت نثرة لأنها مثل قطعة سحاب نثرت[7].

٩- **الطرف:** وهما عينا الأسد، وهما نجمان صغيران بينهما مسافة بسيطة[8].

١٠- **الجبهة:** وهي، أربعة نجوم مائلة، الجهة الجنوبية ذات بريق، وهي جبهة الأسد[9]، وظهورها في العاشر من شباط، وهي رقيب سعد السعود، فعندما تغرب يطلع سعد السعود من المشرق. وفيه ينمو العشب، وتسمع فيه أصوت الطير، ويورق الشجر،

---

[1] غَيلان بن الرَبيع، ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر من اللصوص ورد اسمه وبعض من شعره في معجم البلدان، له شعر في كتاب أشعار اللصوص وأخبارهم.

[2] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٢٠٠٣م، مادة **ذرع**.

[3] ابن رشيق القيرواني، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٢٠٠٣م، ص ٩٥، وابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٤٨ و٤٨٤٩.

[4] ذو الرُمَّة، ٧٧ - ١١٧ هـ/ ٦٩٦ - ٧٣٥ م.

[5] الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **ذرع**.

[6] المصدر نفسه، مادة **رقب**، وابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **ذرع**، وعبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، دار صادر، ص ١٤٧٥.

[7] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨٦.

[8] المصدر نفسه، ص ١٢٨٦.

[9] المصدر نفسه، ص ١٢٨٧.

ويهطل فيه مطرٌ غزير، وقال العرب:"إذا طلعتِ الجبهة، تحانت الولهة، وتنازت السفهة"[1].

١- **الزبرة:** وهي نجمان يرى أحدهما أكبر من الآخر، ويقال لهما"الخرتان"كأنهما نفذا إلى جوف الأسد[2].

٢- **الصرفة:** وهو نجم وقاد عنده نجوم طمس، سمي بذلك لانصراف البرد بسقوطه[3]، وقال العرب:"إذا طلعت الصرفة، احتال كل ذي حرفة، وجفر كل ذي نطفة، وامتير على الماء زلفة"[4].

٣- **العواء:** وقال العرب:"إذا طلعت العواء، ضرب الخباء، وطاب الهواء، وكره العراء، وشنن السقاء، وإذا طلَعَتِ العَوَّاءُ وجَثَم الشِّتاءُ طاب الصِّلاءُ"[5]. وتقول العرب: عويت الشيء، إذا عطفته، وهي كأنها خمسة أكلب تعوي خلف الأسد، قال ابن دريد:"هي دبر الأسد، والعواء في كلامهم الدبر"[6].

وهو من أنْواءِ البَرْدِ؛ والعَوَّاءُ يَمانِيٌّ، وجاءت مُؤَنَّثَة عن العرب، وتُدْعى وركي الأسَد، وعُرْقوبَ الأسَد، والعرب لا تُكْثِرُ ذِكْرَ نَوْئِها، لأنَّ السِّماكَ أشهر منها، وطلوعها في الثاني والعشرين من أيلولٍ، وغروبها في الثاني والعشرين من آذار[7].

٤- **السماك الأعزل:** وهما سماكان: أحدهما السماك الأعزل، نجم وقاد، شبهوه بالأعزل من الرجال، وهو الذي لا سلاح معه، والآخر: نجمان أحدهما يتقدم الآخر، شبهوه

---

[1] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ١٤٧٦، والزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٢٠٠٣م، ص ٩٥.
[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ١٢٨٧.
[3] المصدر نفسه، ٢٠٠٣م، ١٢٨٧.
[4] الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٢٠٠٣م، ص ٩٦، وابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ٤٨٤٩، والمرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ٢٠٠٣م، ص ١٠٧٥.
[5] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ٤٨٤٩، وابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **عوي**، والزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٢٠٠٣م، ص ٩٦.
[6] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٧٨.
[7] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **عوي**، و**أبو العلاء المعري**، أحمد بن عبد الله بن سليمان، ت ٤٤٩هـ، الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٦٤٦، وابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٩.

بالرمح، وهما ساقا الأسد، وسمي سماكاً لعلوه، ولا يقال لغيره إذا علا سماك[1]، والأعْزَلُ من نجوم الأنْواءِ، وهو إلى جِهَةِ الجَنُوبِ وهُو في بُرجِ المِيزانِ، وطُلُوعِ السِّماكِ الأعْزَلِ فـي تَشْرينَ الأوّلِ، وهُو والرامح رجْلا الأسَد. وتقول العرب:"إذا طَلَعَ السِّماكْ، ذَهَبَ العِكاكْ، فأصْلِحْ فِناكْ، وأجِدَّ حِذاكْ، فإنّ الشّتاءَ قد أتاك"[2].

وبه ينزل القمر وهو شَامي، وسمي أعزلَ: لأنه لا شيء بين يديه من النجوم، كالأعْزَلِ الذي لا رمح معه[3]، وتقول العرب:"إذا طلعت السماك ذهبت العكاك، وقل على الماء اللكاك"[4]، وكانوا يكرهون نوء السماك ويقولون فيه داء الإبل[5].

والرّامِحُ ليسَ من مَنازِلِ القمر، ولا نَوْءَ له، وهو إلى جِهَةِ الشَّمالِ، وطُلُوع السِّماكِ الأعْزَلِ في تَشْرينَ الأوّلِ[6].

قال لبيد يرثي أخاه أرْبَد وقد أحرقته الصاعقة:

أخشى علَى أربَدَ الحُتوفَ وَلا   أرهَبُ نَوءَ السِماكِ وَالأسَدِ[7]

وهذان الكوكبان من منازل القمر، مطلعهما في آخر الرَّبيع وأول الصيف[8].

قال المتلمس الضبعي[9]:

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٧٩.
[2] الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **سمك**.
[3] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **سمك**، **وابن الجواليقي**، موهوب بن أحمد بن محمد، ت ٥٤٠هـ، شرح أدب الكاتب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٠.
[4] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٤٨ و٤٨٤٩.
[5] المصدر نفسه، ص ٤٨٠٨.
[6] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٢٠٠٣م، مادة **سمك**، وابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٠.
[7] مأخوذ من: ناء ينوء، إذا نهض متثاقلاً. والعرب تجعل النوء للغارب، لأنه ينهض للغروب متثاقلاً، وعلى ذلك أكثر أشعارها. وبعض العرب يجعله للطالع، وهذا هو مذهب المنجمين، لأن الطالع له التأثير والقوة، والغارب لا قوة له، ولا يتفق ذلك لكل واحد منهما إلا مرة في السنة.
[8] **الخالديان**، سعيد ومحمد ابنا هشام بن وعلة، توفيا ٣٨٠هـ، ٣٩٠هـ، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٤٢.
[9] المتلمس الضبعي، جرير بن عبد العزى، أو عبد المسيح، من بني ضُبيعة، من ربيعة. ؟ - ٤٣ ق. هـ/؟ ٥٨٠ م، شاعر جاهلي، من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد. كان ينادم عمرو بن هند ملك العراق، ثم هجاه فأراد عمرو قتله ففرَّ إلى الشام ولحق بآل جفنة، ومات ببصرى، من أعمال حوران في سورية. وفي الأمثال: أشأم من صحيفة المتلمس، وهي كتاب حمله من عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين وفيه الأمر بقتله، ففضه وقُرأ له ما فيه فقذفه في نهر الحيرة ونجا.

فلتَتْرُكَنَّهُمُ بليلٍ ناقتي   تَذَرُ السِماكَ وَتَهتَدي بالفَرقَدِ[1]

١- **الغفر**: وهو ثلاثة نجوم غير ساطعات، منها نجمان أمام الزبانين[2]، والزبانان قرنا العقرب، وبعضهم يسميها يدي العقرب، وسميت من قولنا:"غفرت الشيء، إذا غطيته"، ويقول البعض:"إنما سميت – الغفر - من الغفرة، وهو الشعر الذي في طرف ذنب"[3]. والغَفْرَ رَقِيبُ الشَّرَطَيْن[4].

٢- **الزبانان:** نجمان مفترقان، وهما قرنا العقرب، وقيل: يداها، وسميا "زبانان" لبعد كل واحد منهما عن صاحبه، من قولهم: زبنت كذا، كأن كل واحد يدفع الآخر عنه، ومنه اشتقت الزبانية لأنهم يدفعون أهل النار إليها[5]. وتقول العرب:"إذا طلعت الزبانى أحدثت لكل ذي عيال شانا، ولكل ذي ماشية هوانا، وقالوا كان وكان، فاجمع لأهلك ولا توان"[6]، الزُّبَانَـيَـيْن رَقِـيبُ البُطَيْن[7].

٣- **الإكليل:** وهو ثلاثة نجوم على رأس العقرب، وبذلك سميت إكليلاً[8]. وتقول العرب:"إذا طلع الإكليل، هبت الفحول، وشمرت الذيول، وخيفت السيول"[9]، و(الثُرَيَّا رَقِيبُهَا الإِكْلِيلُ إذ طلَعَتِ الثُرَيَّا عِشَاءً غَابَ الإِكْلِيلُ، وإذا طلَعَ الإكليلُ عِشَاءً غَابَتِ الثُرَيَّا)[10].

---

[1] ديوان المتلمس الضبعي، ٢٠٠٣م، بحر الكامل، قصيدة أن الحبيبة.

[2] واشتقاق الزبانان من الزبن، وهو الدفع لأن كل واحد منهما مرتفع مندفع عن صاحبه غير مقارن له.

[3] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م،١٢٧٩، وابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٣٠١.

[4] الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **رقب**.

[5] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨٠.

[6] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٤٧.

[7] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **رقب**.

[8] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨١، وابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **كلف**.

[9] الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٢٠٠٣م، ص ٩٦، وابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٤٧.

[10] الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **رقب**، وابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **رقب**.

١- **القلب:** نجم أحمر وقاد، جعله العرب قلباً للعقرب[1]. وتقول العرب:"إذا طلع القلب، جاء الشتاء كالكلب، وصار أهل البوادي في كرب، ولم تكن البخل إلا ذات ثوب"[2].

١- **الشولة:** نجمان أحدهما أخفى من الآخر، وهما ذنبا العقرب، وذنب العقرب شائل أبداً، فشبه به، وأهل الحجاز يجعل الشولة الإبرة التي في ذنب العقرب[3]. وهو من منازل القمر، وإذا طلع اشتد البرد، قال العرب:"إذا طلعت الشولة، أخذت الشيخ البولة، واشتدت على العيال العولة، وقيل شتوة زولة[4]"[5]. والشَّوْلَةُ رَقِيبُ الهَقْعَةِ[6].

١- **النعائم:** وهي ثمانية نجوم نيرة: أربعة منها في المجرة تسمى الواردة، وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة[7]. والنَّعَائِمُ: رَقِيبُ الهَنْعَةِ[8].

٢- **البلدة:** وهي فرجة صغيرة في السماء لا شيء فيها، لكن بجوارها نجوم تسمى القلادة، وإنما قيل لتلك الفرجة البلدة تشبيها بالفرجة التي بين الحاجبين، إذا لم يكونا مقرونين[9]. والبَلْدَةُ رَقِيبُ الذِّرَاعِ[10].

٢- **سعد الذابح:** وهما نجمان صغيران أحدهما مرتفع في الشمال، ومعه نجم آخر يقال هو شاته التي تذبح، والآخر هابط في الجنوب[11].

٢- **سعد بلع:** وهما نجمان صغيران مستويان في المجرة، شبها بفم مفتوح يريد أن يبتلع شيئاً، وقيل: إنما قيل بلع كأنه بلع شاته[1].

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨١.
[2] الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٢٠٠٣م، ص ٩٦، وابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٤٨.
[3] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣، ص ١٢٨١.
[4] أي عجيبة.
[5] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٤٨، والزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. ٢٠٠٣م، ص ٩٧.
[6] الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة رقب.
[7] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨١.
[8] الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **رقب**.
[9] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨١.
[10] الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **رقب**.
[11] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣، ص ١٢٨٢، وأبو العلاء المعري، الفصول والغايات، ٢٠٠٣م، ص ٦٤٧.

٢- **سعد السعود:** وهما نجمان: أحدهم اشد ضياء من الآخر، سمي بذلك لأنَّ وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع، واكتمال نمو الحيوانات والنبات[٢]. وتقول العرب:"إذا طلع سعد السعود، ذاب كل جمود، واخضر كل عود، وانتشر كل مصرود"[٣].

٣- **سعد الأخبية:** وهما نجمان عن شمال الخباء، والأخبية أربعة نجوم: واحد منها في وسطها يسمى الخباء؛ لأنها على صورة الخباء، وربما سمي بذلك لأنه وقت انتشار وخروج الأفاعي والحشرات، وما كان مختبئاً من حيوان[٤].

٤- **المِرْزَم:** نجمٌ من نجوم الأنواء، وهو مِرزَم الجوزاء. وأسدٌ رُزَامٌ، إذا كان يجثِمُ على فريسته فلا يفارقها كأنه رزم[٥].

قال المثقب العبدي[٦]:

إذا الريحُ جاءَت بالجَهامِ تَشُلُّهُ　　هَذا ليلَهُ شَلَّ القِلاصِ الطَرائِدِ

وَأعقبَ نَوءَ المِرزَمَين بِغُبـرَةٍ　　وَقَطرٍ قَليلِ الماءِ بالليلِ بـارِدِ[٧]

وهو فرع الدلو الأعلى.

٢- **الرشاء:** أو فرع الدلو المؤخر، ويسمى عند عرب نجد والحجاز: الرشاء أو بطن الحوت.

٢- **الحوت:** وهو السمكة، ونجومه في مثل حلقة السمكة، وفي موضع البطن منها، من الشق الشرقي نجم منير ينزل به القمر يسمونه بطن السمكة. والمنجمون يسمونه: قلب

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨٢.
[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨٣.
[3] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٤٨، والزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٢٠٠٣م، ٩٧، والمرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ٢٠٠٣م، ص ٣٨١.
[4] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨٣.
[5] ابن دريد، الاشتقاق، ٢٠٠٣م، ص ٢٨٨.
[6] المُثَقِّب العَبدِي، العائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس، من ربيعة. ٧١ - ٣٦ ق. هـ/ ص ٥٥٣　٥٨٧ م، شاعر جاهلي، من أهل البحرين، اتصل بالملك عمرو ابن هند وله فيه مدائح ومدح النعمان بن المنذر، في شعره حكمة ورقة.
[7] القالي، الأمالي، ٢٠٠٣م، ص ١١١٦.

الحوت[1]. ولما كانت العرب تقدم الشتاء كان أول أنوائها مؤخر الدلو، وهو الفرع المؤخر، ونوءه محمود وهو أول الوسمي، ثم بطن الحوت وهو الذي يسميه الرشاء[2].

وكان للعرب أمثال معروفة يتناقلونها كمعارف في علم النجوم، ولهم فيها أسجاع محفوظة متداولة، بعضها في الأنواء وبعضها بنجوم السماء، وبعضها بالبروج، فكانوا يقولون: إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء وأوفى على عوده الحرباء، وكنست الظباء، وعوق العلباء، وطاب الخباء. وتقول إذا طلع سهيل، طاب الليل، وحدى النيل، وامتنع القيل، وللفصيل الويل، ورفع كيل، ووضع كيل. وقالوا: إذا طلع الهراران، هزلت السمان، واشتد الزمان، وجوع الولدان أو وحوح الولدان. والهراران - قلب العقرب- والنسر الواقع يطلعان معاً. وقالوا: إذا طلع الحوت، خرج الناس من البيوت، إذا طلعت الشعرى، نشفت الثرى، وأجن الصرى، وجعل صاحب النحل يرى[3].

ولم ينكر الإسلام هذا العلم بل أكده وبين أن منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل القمر كل ليلة بمنزل منها، قال تعالى: (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)(يس:٣٩)، والعرب تزعم أن الأنواء لها، وتسميها نجوم الأخذ، لأنَّ القمر يأخذ كل ليلة في منزل منها[4].

الفصول الأربعة ومواسم سقوط الأمطار:

السنة أربعة أجزاء، لكل جزء منها سبعة أنواء، لكل نوء ثلاثة عشر يوماً، إلا نوء الجبهة فإنه أربعة عشر يوماً، زيد فيه يوم لتكمل السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، وهو المقدار الذي تقطع الشمس فيه بروج الفلك الأثنى عشر، وتستر الشمس

---

[1] المرزوقي، الأزمنة، ٢٠٠٣م، ص ٣٨٤.
[2] المصدر نفسه، ص ٣٦٣.
[3] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٤٨ و٤٨٤٩، والزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٢٠٠٣م، ص ٩٥-٩٧.
[4] ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٩٣.

البروج الستة أمامها، لكن القمر يظهر جليا في الليل ولا يستر إلا منزله، لهذا أعتمد كثير من العرب في معرفة الأبراج من القمر[١].

فإذا نزلت الشمس منزلة من هذه المنازل سترته، لأنها تستر ثلاثين درجة، خمس عشرة درجة خلفها، وخمس عشرة درجة أمامها، فإذا انتقلت عنه ظهر[٢].

فالربع الأول الربيع: يبدأ في العشرين من آذار، وفيه استواء الليل والنهار، وفيه يطلع فرع الدلو الأسفل ويسقط العواء، والعرب تنسب نوءه إلى العواء وهو الغارب، ويبدأ بالعواء، والثاني السماك وهما سماكان الأعزل والرامح. ثم الغفر[٣] ثلاثة كواكب باهتة منها نجمان يسميان الزبانيين[٤] وهما قرنا العقرب، وبعضهم يسميها يدي العقرب، ثم الإكليل وهو ثلاثة كواكب مصطفة على رأس العقرب، فلذلك سميت الإكليل، ثم القلب وهو نجم أحمر نير، وسمي بذلك لأنه في قلب العقرب. ثم الشولة[٥] وهو نجمان مقترنان أحدهما مضيء والآخر أقل سطوعا، فهذه السبعة هي أنواء الربيع[٦]. والمَرابيعُ: الأمطار التي تجيءُ في أوّل الربيع؛ قال لبيد يصف الديار:

رُزِقَتْ مَرابيعَ النُّجومِ، وصابها وَدْقُ الرَّواعِدِ جَوْدُها فرهامُها[٧]

والربع الثاني الصيف: وأول أنوائه النعائم[٨] وهي ثمانية كواكب مضيئة أربعة منها في درب التبانة - وتسمى الواردة -، وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة. والثاني من

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٧٦، وابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٨.
[2] نشوان الحميري، الحور العين، ٢٠٠٣م، ص ٤٤.
[٣] وإنما سمي الغفر من الغفرة وهو الشعر الذي في طرف ذنب الأسد.
[٤] واشتقاقها من الزبن وهو الدفع لأن كل واحد منهما مرتفع مندفع عن صاحبه غير مقارن له.
[٥] سمي بذلك لأنه يشبه ذنب العقرب، وذنب العقرب شائل أي مرتفع ومنه يقال شال الميزان أي ارتفع وأهل الحجاز يسمون الشولة الإبرة.
[6] ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٩٤، وابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٩-٣٠١، وابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٧٨.
[7] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **نوا**.
[٨] وسميت النعايم تشبيها بالخشبات التي تكون على البئر أربعٌ كذا وأربعٌ كذا أي كهيئة الخشب الذي على البئر تعلق فيه البكرة والدلاء.

أنواء الصيف البلدة[1]، وليست بنجم وإنما هي مساحة بين النعائم وسعد الذابح خالية من النجوم ينزل بها القمر، فعدت مع النجوم التي هي منازل القمر. والثالث سعد الذابح، وهو نجمان صغيران أحدهما مرتفع في الشمال، والآخر هابط في الجنوب مع الشمالي، والأعلى منهما نجم صغير يقال أن ذلك النجم شاته التي تذبح. والرابع سعد بلع وهو نجمان صغيران مستويان في درب التبانة وسمي بلع لأنّ الذابح معه نجم بمنزلة شاته، وهذا لا نجم معه كأنه قد بلع شاته[2].

وسعد السعود ثلاثة نجوم واحد منهم أشد ضياء من الآخرين، وسمي سعد السعود لأنّ طلوعه يحدث عند انخفاض الحرارة وابتداء الأمطار، ورعي الماشية، وهو الوقت الذي يبتدئ به حياة النبات والحيوانات والحشرات والزرع، واستكمال بلوغه، وسعد الأخبية نجمان شمال الخباء، والأخبية أربعة نجوم الأوسط يسمى الخباء لأنه يشبه خباء المنزل، وقيل سمي سعد الأخبية لأنه إذا طلع خرجت حشرات الأرض وهوامها من جحورها. وفرع الدلو[3] الأعلى أو عرقوة الدلو العليا، وهما نجمان ساطعان[4].

والربع الثالث الخريف: وأول أنوائه فرع الدلو الأسفل ويقال عرقوة الدلو السفلى، وهو نجمان ساطعان مفترقان يتبعان عرقوة الدلو العليا، وسمي بذلك لأنه ابتداء المطر. والحوت وهو نجمان ساطعان يسمى قلب السمكة. ثم الشرطان[5] وهما نجمان متباعدان نحو الشمال نجم منهما صغير، ثم البطين[6] ثلاثة نجوم متقاربة غير نيرة، ثم الثريا[7] وهي ستة نجوم متجمعة باهتة، ثم الدبران[1] وهما نجمان أحمران براقان،

---

[1] وإنما سيمت البلدة تشبيها بالفرجة بين الحاجبين الذين هما غير مقرونين يقال رجل أبلدّ إذا كان مفترق الحاجبين.

[2] ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٩٤، وابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٦ و٣٠٧.

[3] سميا عرقوة تشبيها بعراقي الدلو وسيما فرغا لأن فيهما تأتي الأمطار الكثيرة وقيل سميا بذلك لأنهما على صورة صليب الدلو.

[4] ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ٩٤، وابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٨.

[5] سميا شرطان لأنهما كالعلامتين لابتداء سقوط المطر.

[6] سمي بذلك لأنه بطن الحمل.

[7] سميت بذلك لأن مطرها تكون منه الثروة والغنى وهي تصغير ثروى ولم تستعمل في كلامهم إلا مصغرة لم ينطق بمكبرها.

ويسميان الفنيق، وتسمى النجوم الصغار بينها وبين الثريا القلاص، وبعضهم يسميه الراعي، ثم الهقعة[2] وهي ثلاثة نجوم متقاربة صغار[3].

والربع الرابع **الشتاء**: أول أنوائه الهنعة[4]: وهي نجمان أبيضان مقترنان بين الجوزاء والذراع المقبوضة، ثم الذراع: ذراع الأسد المقبوضة، وهما نجمان نيّران بينهما كواكب صغار يقال لها الأظفار لأنها في مواضع مخالب الأسد، وقيل لها الذراع المقبوضة لأنها ليست مثل الذراع الأخرى، ثم النثرة: لطخة صغيرة بين نجمين وهي بين فم الأسد ومنخريه، ثم الطرف[5]: وهو نجمان صغيران مفترقان، ثم الجبهة: وهي أربعة نجوم وأحدهما برّاق وهو الثاني منها وسميت بذلك لأنها بمكان الجبهة من برج الأسد، ويسمى هذا النوء أيضاً نوء الأسد[6].

وعلينا التفريق بين منطقة نجد والحجاز والمناطق الواقعة جنوبا منها، والمناطق الشمالية من الجزيرة العربية، فموسم سقوط الأمطار في الجنوب يبدأ مع بداية برج الجوزاء، وإذا ظهرت الجوزاء تبين للناس موسم سقوط المطر[7]. لكن موسم سقوط الأمطار في الشمال يبدأ مع ظهور الثريا وهي آخر نجوم الجوزاء.

وبسبب عدم وجود دولة واحدة لم يعتمد العرب طريقة واحدة في تقسيم الفصول الأربعة، بل إنهم اختلفوا أيضا حسب المكان في الشمال والجنوب، ونجد أن الفصول في وسط وجنوب الحجاز ونجد مختلفة عن الشمال، ونجدها كما يلي:

---

[1] وسمي الدبران لأنه دبر الثريا، والثريا تسمى النجم.

[2] وهي رأس الجوزاء وصورتها كأنها أثر ثلاثة أصابع في تراب ندٍ، كأنك جمعت بين السبابة والإبهام ونكتَّ بأطرافها في الأرض، وسميت الهقعة تشبها بهقعة الدابة وهي دائرة تكون عند رجل الفارس في جلد الدابة.

[3] ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٩٤، وابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٩، وابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨٤.

[4] وسميا هنعة من قولك هنعت الشيء إذا عطفته وثنيت بعضه على بعض فكأن كل واحد منهما منعطف على صاحبه.

[5] وسمي الطرف لأنهما عينا الأسد.

[6] ابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٣١٠ و ٣١١، وابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨٥.

[7] أبو تمام، نقائض جرير والأخطل، ١٩٢٢م، ص ١٤١.

وأول فصل عند العرب الوَسْمِيُّ، ويقدمه العرب لأنَّ المطر يبدأ به، وربما يمطر وربما لا يمطر، و أنواؤه العَرقُوتان المُؤَخَّرتان، وهما الفَرْغُ المُؤَخَّر ثم الحوت ثم الشَّرَطان ثم البطين ثم الثُرَيَّا ثم الدبران والهقعة والهنعة[1].

ويسمى الوسمي العهاد، وكل ما تبعه من مطر يسمى الولي حتى تنتهي السنة، ثم يكون الوسمي الدفيء وهو مطر الشتاء وهو الربيع في وقتنا الحالي، وأنجمه الهقعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة وهي الخراتان والصرفة آخر مطر الشتاء. ويقال:"إذا سقطت الجبهة نظرت الأرض بإحدى عينيها، فإذا سقطت الصرفة نظرت الأرض بعينيها كلتيهما"لانكشاف السماء وحلول الصيف وجفاف الماء وشدة سطوع الشمس[2].

ثم الفصل الثاني وهو الشَّتَوِيُّ، وأول أنواؤه الجَوْزاءُ، ثمَّ الذّراعان، ونَثْرَتُهما، ثمَّ الجَبْهةُ، وهي آخِر الشَّتَوِيِّ وأوّلُ الدَّفِيّء والصَّيْفِي[3].

ثم الصَّيْفِيُّ، و أنواؤه السِّماكان الأوّل الأعْزَلُ وهو العواء، والغفر والزبانيان والإكليل والقلب والشولة والآخرُ الرَّقيبُ، وما بين السِّماكَيْن صَيف، وهو نحو أربعين يوماً، ثمَّ الحَمِيمُ، وهو نحو عشرين يوما يبدأ عند طُلوع الدَّبَرانِ، وهو بين الصيفِ والخَريفِ، وليس له نَوْءٌ[4].

فإذا مرت هذه النجوم أمل الناس بالمطر وذلك لحصول نوع جديد من المطر وهو الأمطار الموسمية، وهي تعتمد على التصعيد الحراري، والفرق بين حرارة القارات والمحيطات، ويكون ذلك في شدة الحر. ولهذا سماه العرب مطر الحميم وهو أربعة

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **نوا**، وأبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ١/ ص ٣٧٢.
[2] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٥٠، والهمداني، صفة جزيرة العرب، ٢٠٠٣م، ص ٣٤٨.
[3] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **نوا**.
[4] المصدر نفسه، مادة **نوا**، وأبو تمام، نقائض جرير والأخطل، ١٩٢٢م، ص ٨٤.

أنجم، وهو مطر الفيض عند العرب حيث تكون الأمطار غزيرة جداً، وأول نجومه النعائم ثم البلدة ثم سعد الذابح ثم سعد بلع[1].

وما بين السِّماكَيْن صَيْفٌ، وهو نحوُ أربعينَ يوماً[2].

ثمَّ الـخَريفِـيُّ و أَنْـواؤُه النَّسْران، ثمَّ الأَخْضَرُ، ثم عَرْقُوتا الدَّلْو الأُولَـيان. قال أبو منصور: وهما الفَرْغُ الـمُقَدَّمُ. قال: وكلُّ مطرٍ من الوَسْمِيِّ إلـى الدَّفَيِّء ربـيعٌ[3].

وبين الشرع موقفه من علوم الأنواء، وأوقات نزول الأمطار، وإنشاء السحاب، وهبوب الرياح المثيرة لها، فبيّن الشرع حقّها من باطلها، فقال تعالى: {هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ* وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ} [سورة الرعد: ١٢ - ١٣]. وقال: {أَفَرَءَيْتُمُ الْمَآءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ* ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ} [سورة الواقعة: ٦٨ - ٦٩]. وقال: {وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجاً} [سورة النبأ: ١٤]. وقال: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [سورة الواقعة: ٨٢]. فسرت الآية بقول العرب مطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا. وقال تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ} [سورة الحجر: ٢٢] الآية. وقال: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [سورة فاطر: ٩].

النسيء:

أما النسيء فانه قد وضع لتعديل الفرق بين السنة الشمسية والقمرية، فالسنة الشمسية يبلغ عدد أيامها ٣٦٥,٢٥ يوما، بينما القمرية تبلغ ٣٥٤ يوما، ويبلغ الفرق بين السنتين أحد عشر يوما في السنة، فإذا مرت ثلاث سنوات صار الفرق شهرا، فيزيدون شهرا قمريا كل ثلاث سنوات، فتكون سنيتهم بذلك مقاربة للسنين الشمسية[4].

---

1 ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٥١.
2 الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **نوا**.
3 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **نوا**.
4 المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٨١م، ص ٢٠٢.

والسبب في مطابقتهم سنتهم القمرية مع السنة الشمسية، أن السريان كانوا يعتمدون التقويم الشمسي، وكون المواسم التجارية ترتبط بنمو المحاصيل، والمحاصيل ترتبط في نموها بالسنة الشمسية صار عليهم التوفيق بين التقويمين. وكان النسئة يقومون بتعديل السنوات بأن يقوموا بإضافة شهر من السنة كل ثلاث سنوات، فيكون أول ثلاث سنين صفر، فتكون السنة فيها محرم مرتين، ثم تتبع باقي الاشهر. أما النسيئ القادم فتبدأ السنة بصفر، فمحرم ثم صفر ربيع أول ٠٠٠وهكذا كل ثلاث سنين يضاف شهر من الاشهر الاثنا عشر.

وكان هناك عدة علماء فلك عند العرب، وبرز دورهم في إقرار الشهر المناسب لعامة العرب، فمن العرب من أراد أن يكون شهرا حراما، وهم من قريش والحمس من العرب ليعم الأمن وتتحرك التجارة، ومنهم من أراده حلا، وذلك لكراهتهم امتناع الغزو عدة شهور، كما كانوا يحددون مواعيد الحج، إلى غير ذلك من التقويم للعرب، وكان الذي يقوم بهذا الدور يسمى القلمس، وكانوا يتوارثون ذلك، فكان أولهم حذيفة ابن عبد فقيم، ثم صار ذلك في ولده، فحل بعده عباد بن حذيفة، ثم قلع بن عباد، ثم أمية بن قلع، ثم عوف بن أمية، ثم جنادة بن عوف وهو أبو ثمامة، وهو آخر من نسأ منهم[1].

وكان الناسئ يقول اللهم أني قد أحللت أحد الصفرين الصفر الأول، وأنسأت الآخر إلى العام المقبل[2].

وكانت الشهور في نجد والحجاز تتطابق في تسمياتها مع أحوال الطبيعة، فسمي محرم لتحريم القتال، وسمي صفرا بذلك لأنّ العرب تخرج للغزو فتصفر مساكنهم، أو تصير صفرا من الناس، وسمي ربيع الأول والثاني لحلول الربيع، وسمي جمادى لتجمد الماء في وقت تسميت الشهور، وربما لغير ذلك فضاع سبب تسميتها، ورجب لتخوفهم فيه من نضوب المياه، وشعبان لتشعب الناس في الغارات وطلب المياه، ورمضان لشدة حر الرمضاء، وشوال لأنّ الإبل كانت تشول فيه للضراب، وذو

---

1 اليعقوبي، تاريخ، ١٩٩٥م، جـ١/ ص ٢٣٢ و٢٣٧.
2 المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ٥٧.

فيصير شهرا كاملا، يضاف إلى شهور السنة القمرية، وهو ما يقوم به القلمس، فيضعه عام شهرا محرما ويضعه عام شهرا حلاً[1].

وكانت العرب تسمي الأيام بعدة أسماء منها الأيام المعروفة لدينا مثل السبت والأحد، وكانوا يبدأون الأسبوع بالأحد ويعني واحد، ثم الاثنين ويعني اثنين وهكذا حتى السبت ويعني القطع، أو اليوم الذي انقطع فيه الخلق.

وكانوا يسمون أيام الأسبوع بأسماء أخر، مثل:

الأحد: أول.

الاثنين: أهون.

الثلاثاء: جبار.

الأربعاء: دبار.

الخميس: مؤنس.

الجمعة: عروبة.

السبت: شيار.

قال الأعشى:

أؤمّل أن أعِيش وأن يَوْمِي	بأوّلَ أو بأهْوَنَ أو جُبَـــار
أو التّالِي دُبار فإنَّ فيهـــا	فمُؤْنِس أو عَرُوبة أو شِيَار[2]

وكان العرب يغيرون في التقويم باستمرار، وكان كعب بن لؤي أول من غير تسمية يوم الجمعة من عروبة إلى الجمعة، وذلك لأنه جمعهم فيه وخطب بهم. وبهذا يتبين أن هذه التسميات للأيام التي نتداولها هي ما اعتمدته قريش دون العرب[3].

وكانوا يسمون كل ثلاث أيام من الشهر القمري باسم، وفيه اختلاف بين العرب، فمنهم من يسميه باسم وآخرون باسم آخر كتالي:

---

1 المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٩٨١م، ص ٢٠١.

2 المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ٢٠٧، و اليعقوبي، تاريخ، ١٩٩٥م، جـ١/ ص ٢٢٨، وابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٤٨٥٣، والقلقشندي، صبح الأعشى، ١٩٨٧م، جـ٢/ ص ٣٩١.

3 اليعقوبي، تاريخ، ١٩٩٥م، جـ١/ ص ٢٣٦.

١- الهلال[١]، أو الغرر[٢].

٢- النفل، أو قمر، أو سمر.

٣- التسع، أو بهر، أو زهر.

٤- العشر، أو نقل، أو درر.

٥- البيض، أو قمر، أو بدر[٣].

٦- الظلم، أو درع، أو بيض.

٧- الخنس، أو ظلم.

٨- الحنادس، أو حنادس، أو حناديس.

٩- المحاق، أو دآدي، أو دواري.

١٠- ليلة السرار[٤]، أو ليلتان محاق[٥]، أو ليلة محاق، و ليلة براء[٦]، أو ليلة نحيرة[٧].

وليلة السَّوَاء ليلة ثلاثَ عشرَةَ[8].

أو تسميها كالتالي:

١- ثلاثة هلال.

٢- ثلاثة قمر.

٣- ست نقل.

٤- ثلاثة بيض[٩].

---

[١] الهلال أول ليلةٍ والثانية والثالثة، ثم هو قمر بعد ذلك إلي آخر الشهر.

[٢] جمع غُرَّة وغرة كل شيء أوّله.

[٣] ثم ليلة البدر لأربع عشرَة، وسمي بدراً لمبادرته الشمس بالطلوع كأنه يُعجلها المغيب ويقال: سمي بَدراً لتمامه وامتلائه، وكل شيء تمَّ فهو بَدْر، ومنه قيل لعشرة آلاف درهم"بَدْرة"لأنها تمام العدد ومنتهاه.

[٤] سَرَارُ الشهر وسَرَرُه آخر ليلة منه؛ لاستسرار القمر فيه، وربما استسرّ ليلة، وربما استسر ليلتين.

[٥] المُحَاقُ ثلاث ليال من آخر الشهر، سميت بذلك لإمحاق القمر فيها أو الشهر.

[٦] البَرَاء آخر ليلة من الشهر، سميت بذلك لتبرُّؤ القمر فيها من الشمس.

[٧] النَّحيرة آخر يوم من الشهر؛ لأنه يَنحر الذي يدخل فيه، أي: يصير في نحره. (اليعقوبي، تاريخ، ١٩٩٥م، جـ١/ ص ٢٢٨، والقلقشندي، صبح الأعشى، ١٩٨٧م، جـ٢/ ص ٣٩٦).

[8] ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٩٦.

[٩] لأنها تبيضُ بطلوع القمر من أولها إلى آخرها.

٥- ثلاثة درع[١]، ثلاثة بهم.

٦- ست حنادس[٢]، أو ثلاث حنادس، وثلاث ظلم[٣].

٧- ليلتان داريتان.

٨- ليلة محاق[٤].

وتسمى آخر ثلاث ليالي:"ثلاث دَآدِيٌّ"لأنها بقايا[٥].

ولهم تسميات أخرى: فليلة الطلوع هلال، وما لم يستدر فهو هلال. ثم تسميه قمراً إذا ما استدار. وإذا ما حجر وأضاء فهو قمير. قال الشاعر[٦]:

وقُميرٌ بَدا اِبنُ خَمسٍ وَعِشري ــنَ لَهُ قالَتِ الفَتاتانِ قوما

فإذا استوى لليلة ثلاثة عشر فهي ليلة السواء، ثم ليلة البدر لأربع عشرة، ويقال غلام بدر، إذا امتلاء شبابا قبل أن يحتلم. والليالي البيضاء ليلة ثلاثة عشرة، وأربع عشرة وخمس عشرة، والليالي الدرع هي التي تسودُّ صدورها وتبيض سائرها، والمحاق يكون مع طلوع الشمس، والسواد حين يستتر فيكون ضوءه مواجه للشمس وسواده مواجه للأرض. وحجر القمر: إذا استدار بخط رقيق دون غلظ، وأفتق القمر إذا خرج من بين السحاب فأبصر الناس الطريق، وكل ليلة سواد فهي حندس. والليالي البيض هي الليالي الزُّهر[٧].

وكانوا لاهتمامهم بالتقويم القمري يسمون كل يوم من أيامه باسم حسب ضياءه فقالوا على شكل أمثال وسؤال وجواب ما أنت ابن ليلة كذا:

١- رضاع سخيلة، حل أهلها برميلة.

٢- حديث أمتين، ذواتي إفك ومين.

٣- حديث فتيات، يجتمعن من شتات، قليل الثبات.

---

[١] سميت بذلك لإسوداد أوائلها، وابيضاض سائرها.

[٢] لسوادها.

[٣] لإظلامها.

[٤] لانمحاق القمر.

[5] ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٩٧.

[٦] عمر بن أبي ربيعة، ٢٣ - ٩٣ هـ/ ٦٤٣ ٧١١ م.

[7] المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ٢١٠-٢١١.

٤- غنمة رتع، غير جائع ولا مرضع.

٥- حديث وأنس.

٦- سروبت.

٧- تصفر في الشفع، ودلجة الضبع.

٨- قمر أصبحان، ورغيف أقتسمه أخوان.

٩- تلتقط في الجرع.

١٠- محق للفجر.

١١- أرى مساء وأرى بكرة.

١٢- موفق للسير في البدو والحضر.

١٣- قمر باهر، يعشي عين الناظر.

١٤- مقتبل الشباب، أضيء بين السحاب.

١٥- تم التمام ونفدت الأيام.

١٦- ناقص الخلق في الغرب والشرق.

١٧- ركب الفقير والفقر.

١٨- قليل البقاء، سريع الفناء.

١٩- بطئ الطلوع من الخشوع.

٢٠- أطلع سحرة، وأرى بكرة.

٢١- لا أطيل السرى، إلا ريثما أرى.

٢٢- مسفع خطب، وليث حرب.

٢٣- كالقبس، أطلع في الغلس.

٢٤- أطلع في قسمة، ولا أجلي ظلمة.

٢٥- أنا في تلك الليالي لا قمر ولا هلال.

٢٦- دنا الأجل، وانقطع الأمل.

٢٧- دنا ما دنا، فليس فيَّ من سنا.

٢٨- أطلع باكراً، ولا أرى ظهراً.

٢٩- أسبق شعاع الشمس، ولا أطيل الجلس.

٣٠- هلال مستقبل الأفق[1].

ويسمون الشهور بأسماء خاصة بهم، فكانت قريش تسمي محرم وصفر وهم الحمس، فكانت الأسماء تناسبهم، أما باقي العرب فكانوا يسمون الشهور بغير هذه الأسماء وهذا عرض بشهور قريش مقارنة مع غيرهم من العرب:

١- محرم: ناتق، أو مؤتمر. سمي محرما لتحريميهم إياه وخصوه بهذا الاسم وإن كانوا يحرمون غيره لأنه أول السنة.

٢- صفر: ثقيل، أو ناجر. وسمي صفر صفرا لأنه وقع بعد شهر حرام فانتشروا فيه للغارة، فصفرت بيوتهم من الرجال والخير.

٣- ربيع أول: طليق، أو خوان.

٤- ربيع ثاني: ناجر، أو وبصان. سميا بذلك لطيب وقتهما والربيع عندهم الوقت الذي تظهر الأنوار والزهر فيه.

٥- جمادى الأولى: أسلخ، أو حنين.

٦- جمادى الثانية: أميح، أو ربى. وجماديان سميا بذلك لجمود الماء فيهما لأنّ الوقت الذي وضعوا فيه التسمية كان الماء جامدا فيه.

٧- رجب: أحلك، أو الأصم. ورجب سمي بذلك لتعظيمهم إياه، ويسمى رجب الأصمّ لأنه لا يسمع فيه قعقعة سلاح، ويسمى أيضاً منصل بسبب جمع آلة الحرب وهي الحربة ونصل الأسنة.

٨- شعبان: كسع، أو العاذل. وسمي بذلك لانشعاب القبائل فيه وتفرقهم وكل قوم يلحقون بقومهم ومياههم وبلادهم، وقالوا سمي شعبان لتشعب الشجر فيه.

٩- رمضان: زاهر، أو ناتق. ورمضان سمي بذلك لأنّ أول مرة أرادوا تسمية الشهور فيه وقع في شهر شديد الحر، فأخذوه من الرمضاء.

[1] ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٩٧.

١٠- شوال: برك، أو وعل. وسمي بذلك لأنّ الإبل كانت تقل ألبانها فيه. وقيل كانت تشول فيه الإبل أي تحمل فتشول بأذنابها.

١١- ذي القعدة: حرف، أو ورنة. وسمي بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه عن الغزو والغارات لأنه من الأشهر الحرم ويتأهبون للحج.

١٢- ذي الحجة: نعس، أو برك. وسمي ذو الحجة لأنه من شهور الحج والموسم، وأشهر الحج شهران وبعض ثالث: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، فسماه الله تعالى شهرا، فقال: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ)(البقرة: من الآية١٩٧)[1].

وكانوا يسمون الفصول الأربعة بما نسميها في وقتنا الحاضر، ربيع وصيف وخريف وشتاء. فالربيع له سبع منازل، أولها طلوع مؤخر الدلو بالغداة وآخرها طلوع الهقعة. والصيف له سبع منازل، أولها الهنعة وآخرها الصرفة. والخريف له سبع منازل، أولها العواء وآخرها الشولة[2].

وأهتم المسلمون في التقويم بالسنة القمرية قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَموا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} [يونس: ٥] وقوله: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ النَّهَار مُبْصِرَةً} [الإسراء: ١٢] الآية. وقوله: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [الملك: ٥] وقوله: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} [البقرة: ١٨٩] وما أشبه ذلك. وبحساب منازل القمر، عرف العرب حساب الأيام والشهور والسنين[3].

وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة اخذوا يؤرخون لمقدمه فيقولون شهرا لمقدمه وسنة لمقدمه، وكان أول من أرخ يعلى بن أمية، أرخ بالهجرة وهو باليمن على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم[4].

---

[1] أنظر: اليعقوبي، تاريخ، ١٩٩٥م، جـ١/ ص ٢٢٨، والمسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ٢٠٧، ونشوان الحميري، الحور العين، ٢٠٠٣م، ص ٣٣٤ – ٣٣٧.

[2] المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ٢٠٧، ونشوان الحميري، الحور العين، ٢٠٠٣م، ص ٤٥.

[3] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ١/ ص ٤٧.

[4] الطبري، تاريخ الطبري، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ٣.

وأول من جعل للمسلمين تاريخا واحدا في الإسلام عمر بن الخطاب، فبعد أن دون الدواوين احتاج إلى أن يؤرخ الكتب، فطلب إليه الصحابة أن يؤرخ، فاختلفوا بالتقويم فمنهم من يفضل تاريخ الروم، ومنهم من يريد تاريخ الفرس، وان يتبع السنة الشمسية أم القمرية، لكن عمر رفض ذلك لأنَّ تاريخ الفرس ينقطع مع تاريخ كل ملك يموت، أما الروم فتاريخهم بعيد من عهد ذي القرنين، ثم اختلفوا من أي سنة يؤرخون؟ فاجتمعوا على سنة الهجرة، لأنه الوقت الذي حكم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم علنا، وكان سبب اختيار شهر المحرم ما روي عن ابن عباسٍ في تفسير قول الله عزّ وجل: {والفجر، وليالٍ عشر} [الفجر: ١و٢]، فأقسم بفجر السنة، وهو المحرم[1].

[1] المبرد، الكامل في الأدب، دار الفكر، جـ٢/ ص ١١٠.

الفصل الرابع: الهندسة والحساب والمساحة.

شارك العرب العجم في علوم الهندسة والبناء فبنوا عدة أبنية منها: غمدان، وكعبة نجران، وقصر مأرب، وقصر مارد، وقصر شعوب، والأبلق الفرد، وغيرها من المباني، في نفس الوقت الذي نقلوا فيه أخبارهم بالكتب والأشعار، كما دونوا بعض أخبارهم على مبانيهم، فتكون الكتابة نافرة أو غائرة[1]. ومن القصور والحصون المشهورة عند العرب: الخورنق، والسدير، وبارق، والقصر ذي الشرفات في سندان[2].

وتسمي العرب مبانيها حسب شكلها، فإذا كان البناء مسطحا فهو أطم وأجم، فإذا كان مسنما فهو كوخ، فإذا كان عاليا مرتفعا فهو الصرح، فإذا كان مربعا فهو الكعبة، فإذا كان مطولا فهو المشيد، أو طليت جدرانه بالشيد أو الجص أو ملاط فهو مشيد، فإذا كان بين حائطين فهو الساباط[3].

وكان العرب يتعلّمون أساليب البناء ممن حولهم ويطورون في أساليب البناء المحلية، كما استعانوا بغيرهم في تطوير نظم العمارة عندهم، وكان كسرى قد بعث مع غيلان من بنى له أطما في الطائف، وكان أول من بنى أطما هناك[4]. وبعد ذلك تعلّم العرب بناء الآطام.

وكان الأبلق مبنيا من حجارة بيضاء وحمراء ولهذا سمي الأبلق، زاره ياقوت ولم ير فيه تلك العظمة التي تحكى عنه[5].

وكان للعرب أسلوب خاص في البناء، لكنهم اعتمدوا على غيرهم أحيانا لتطوير العمارة، كما حصل عند أهل قريش، فقد هدم سيل جارف جدران الكعبة وفرق

---

[1] **الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ، المحاسن والأضداد، تحقيق عاصم عيثاني، دار أحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣.

[2] اليعقوبي، تاريخ، ١٩٩٥م، جـ١/ ص ٢٢٦، والجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ١/ ص ٧٢.

[3] المبارك، فقه اللغة، ١٩٩٤م، ص ٣١٦.

[4] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م،جـ ١٣/ ص ٢٣١.

[5] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٩٩٠م، مادة **الأبلق**.

حجارته مرة، وسرقت الكعبة مرة حتى فكر أهل مكة في إعادة أعمار الكعبة بشكل امتن وأحصن، لهذا بحثوا عن أسلوب عمارة جديد يتناسب مع هذا البناء المهم.

وكان قصي قد رفع جدار الكعبة من تسعة إلى ثماني عشرة ذراعا، وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل[1]. وحدث أثناء بناء الكعبة أن تحطمت سفينة للروم بساحل جدة، فسمعت بها قريش، فقاموا بحمل أخشابها، وصادف أن بها غلاما روميا يتقن البناء والنجارة، فأخذوه معهم ليعمرها وحملوا لها الحجارة، فعمروها[2].

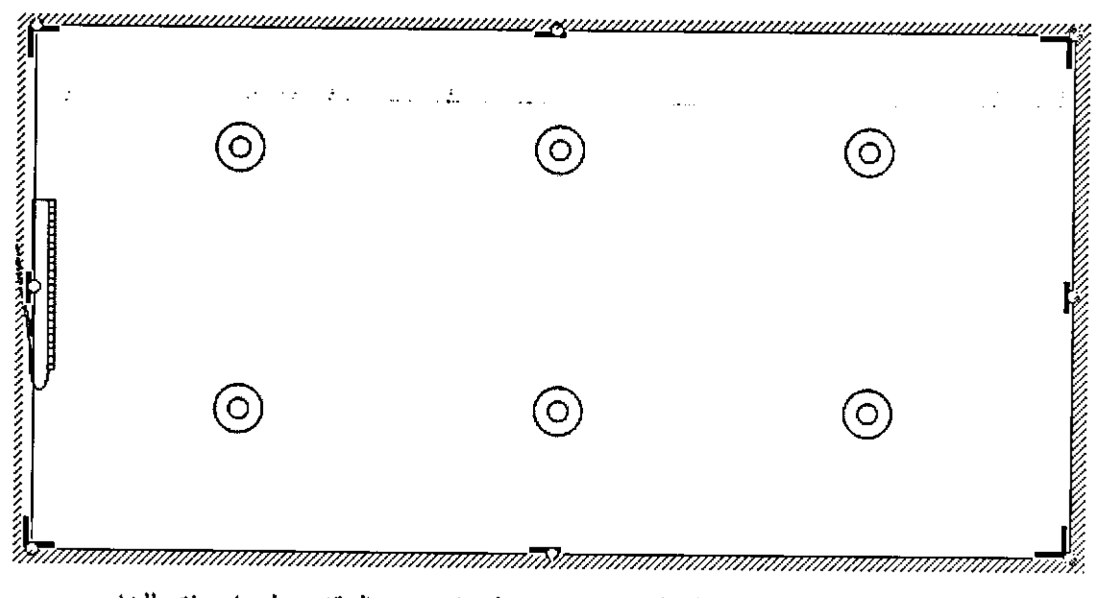
وكانت الكعبة مبنية من الردم[3] اليابس وليس من المدر[4]، أما أسلوب العمارة فقد كان بابها على مستوى الأرض، ولم يكن لها سقف، وفيها جب توضع فيه الحلية وما يهدى لها[5]. فقاموا بهدم الجدران القديمة للكعبة وبنوا أساسا جديدا، ثم رفعوا الباب وكبسوا في تلك التسوية التراب، بارتفاع أربعة اذرع وشبرا، وصار لها سلم، فلا يدخل لها إنسان إلا به، وكانت السيول لا تتجاوز الباب ولا تجرف الجدران، ثم بنوها مدماك خشب ومدماك من الحجارة ووضعوا بينها الطين.

وكان أهل مكة لما خافوا أن يجرف السيل جدر الكعبة فيختلط عليهم شكلها وموقعها، عملوا على أخذ مقاسات لها ووضعوها في خزانة الكعبة، وعندما ولي عمر بن الخطاب الحج، أخر المقام إلى ما كان عليه زمن وضع المقاييس، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر قد غيرا في بناء الكعبة، فأخرج الخيوط التي قاس بها أهل مكة الكعبة والمسافة بينها وبين المقام، وأعاد بناءها على ما كانت عليه، كما سأل الرعاة القدماء للحرم عن موقع الأنصاب، وحدد من خلال أقوالهم مكان الحرم[6].

---

[1] اليعقوبي، تاريخ، ١٩٩٥م، جـ١/ ص ٢٤٠.
[2] الأزرقي، تاريخ مكة، ١٩٨٣م، ص ١٥٧.
[3] والرَّدْمُ: ما يسقط من الجدار إذا أنهدم. وكل ما لُفِقَ بعضُه ببعض فقد رُدِمَ، (ابن منظور. لسان العرب، ٢٠٠٣م، مادة **ردم**).
[4] المَدَرُ: قِطَعُ طينٍ يابسٍ، الواحدة مَدَرَة، (الفراهيدي، العين، ٢٠٠٣، مادة **مدر**).
[5] الأزرقي، تاريخ مكة، ١٩٨٣م، ص ١٥٩.
[6] **مالك بن أنس**، أبو عبد الله الأصبحي، ت ١٧٩هـ، المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت، د، ت، جـ٢/ ص ٤٥٢.

وكان أسلوب عمارة السقف يتبع أسلوبين، أسلوب مكبس وآخر مسطح، وكانت قريش قد اختارت الأسلوب المسطح، وجعلوا للسقف ستة دعائم من الخشب في كل صف ثلاث دعائم، وجعلوا ارتفاعها من الأرض إلى السقف ثمانية عشر ذراعا، وكان الخشب خمسة عشر مدماكا والحجارة ستة عشر مدماكا، وجعلوا ميزابها يسكب باتجاه الحجر، وجعلوا درجا من خشب في بطنها يصعد به إلى ظهرها، وزوقوا جدرانها وسقفها من الداخل، وجعلوا على دعائمها صور الأنبياء، وصور الشجر، وصور الملائكة، كما جعلوا فيها تمثالا لمريم تحمل عيسى في حجرها، إلى غير ذلك من الأصنام، وجعل في جدرانها الحلق يدخل بها الناس أيديهم، وكان الشكل العام لها مستطيلاً[1].



مخطط بناء الكعبة، وهو مستطيل الشكل، وفيه ست اسطوانات تدعم السقف، وله باب يفتح للخارج.

أما مسجد رسول الله الذي بناه في المدينة فقد كان طوله مئة ذراع بمثلها، فكان مربع الشكل، وكانوا قد ضربوا له اللبن، وصنعوا له أساسا من مداميك حجارة بارتفاع ثلاثة أذرع، ثم بنوا فوقه اللبن، وكان طول الجدار بسطة[2]، ثم وضع جذوع

---

[1] الأزرقي، تاريخ مكة، ١٩٨٣م، ص ١٦٣-١٦٨.
[2] وهو طول إنسان مع مد ذراعه، (ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **بسط**).

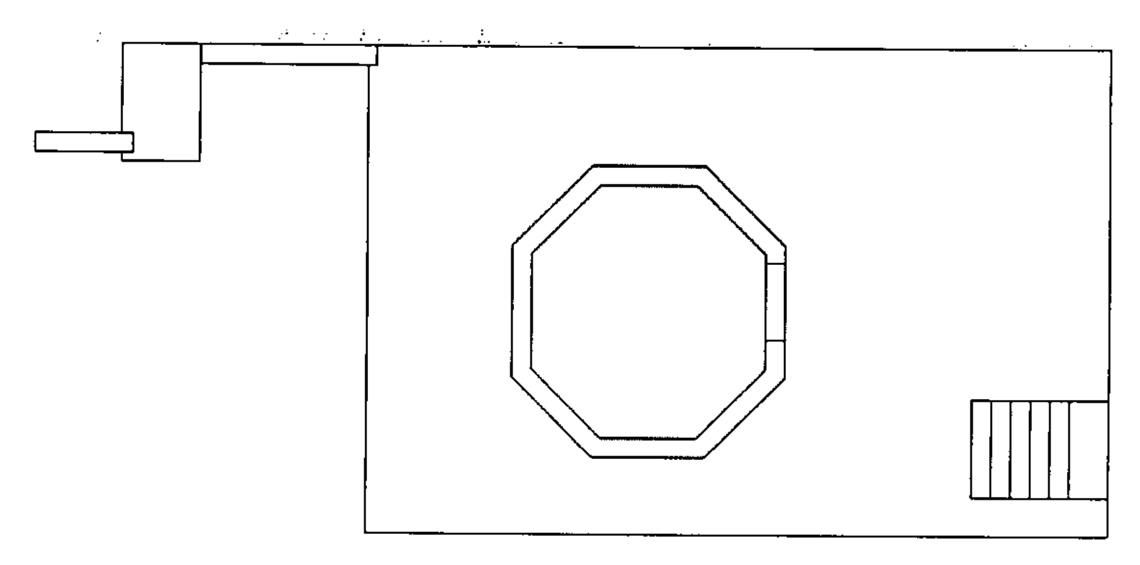
النخل أعمدة له وسقفه بشكل سريع بالجريد، وهو عسف النخل المجدول، ثم بنى إلى جانبه غرفا لزوجاته[1].

وبسبب قلة سقوط الأمطار في وسط الجزيرة وعدم انتظامه، كانت كميات المياه غير كافية للزراعة البعلية، لهذا نرى العرب يهتمون بالزراعة المروية، وكانت لهم عدة طرق في تلبية حاجاتهم من المياه أولاها حفر البرك لتجمع مياه الأمطار من مجاري السيول، والثانية حفر آبار المياه، وسنتحدث عن بعض البرك التي أنشأها العرب، ففي موقع أم الضميران قرب مكة اكتشف الباحثون عدة آثار لبرك تجميع لمياه الأمطار من خلال شبكة من القنوات التي تجمع المياه من الهضاب المجاورة، لتسقي الأرض عبر قنوات تصريف تحمل المياه منها بشادوف[2].

وفي موقع العلوية قرب مكة نجد الأمر يتكرر مع بركة كبيرة لكنها من أفضل البرك هندسة، فالبركة كبيرة مستطيلة ٣٤متر طولا وعرض ٢٨ مترا، وتقع على عدة مجاري للمياه، لكنها لا تستقبل المياه مباشرة بل يوجد عدة محطات تفتيش للمياه قبل البركة، فتجمع البرك الصغيرة الحجارة والرسوبيات فلا تستقبل البركة إلا أنقى المياه، عبر قناة مغطاة، أما جدران البركة فكانت من الحجارة المغطاة بالكلس والشيد، ويوجد بداخل البركة حوضان الواحد داخل الآخر بمسافة مترين، وقطر الداخلية عشرة أمتار، وينزل للبركة بدرجات ارتفاع الدرجة ٤٠سم، ويحيط بها جدار لمنع سقوط الأطفال أو الحيوانات فيها[3].

---

[1] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٩٤م، جـ١/ ص ١٦٢-١٦٣.
[2] **الدايل**، خالد، والحلوة، صلاح، مشروع استكشاف درب زبيدة، التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لاستكشاف درب زبيدة ١٩٧٧م، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، ع.٢، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، الرياض. ١٩٧٨م، جـ٢/ ص٦٠.
[3] المصدر نفسه، ١٩٧٨م، جـ٢/ ص٦٠.



بركة موقع العلوية: ويظهر فيها قنوات التصفية أعلى يسار الصورة ودرجات تصل إلي أسفلها، وفي وسطها حوضان ثمانيان داخل البركة لزيادة نقاء الماء.

بينما نجد في موقع مكة الزرقة على وادي كندة عدة مواقع تستخدم للري، مثل البركة وعدة آبار وسد، ومجموعة من قنوات الجمع وقنوات الري الرئيسية والفرعية، إضافة إلى غرف تفتيش لجمع الرواسب فيها بدل أن تتجمع في السد والآبار والبرك، وجدران البرك والسد مبنية من الحجارة ومطلية بالجبس الأبيض[1].

أما بعض البرك فكان لها مدخل ومخرج حسب كمية دخول المياه، فإذا كانت كميات المياه الداخلة كبيرة اضطر إلى ترك مجرى للتصريف يصب في وادي لمنع البرك من الانهيار، مثل برك وادي العقيق[2]. ونجد الصورة تتكرر على معظم مجاري السيول.

أما أهم المباني التي اهتم بها العرب فكانت القصور والقلاع، وكان الأبلق واحدا منها فكانت جدرانه مبينة على قاعدة من الحجر، وكانت أساسات السور تمتد إلى ٣,٥متر دون سطح الأرض، وكانت الجدران مبنية من مداميك مستطيلة، وهي من الحجر الرملي الملون غير العريضة ذات التشطيب الجيد، ورصت إلى جانب بعضها

---

1 المصدر السابق، جـ٢/ ص٦٦.
2 المصدر نفسه، جـ٢/ ص ٧٠.

بشكل مزدوج يتخللها كسر الحجارة لتثبيت المداميك، وكانت الأرضية مرصوفة بطبقة من الآجر المشوي لتشكل الممرات والساحات وحلبة كبيرة[1].

ونلمح سبعة مراكز استيطانية في تيماء منها المباني العامة، وعادة ما تكون مسورة، ومناطق صناعية وتجارية، وقصورا، والمنشآت الدفاعية مثل الأسوار والقلاع والأبراج، والمقابر، إضافة إلى الآبار والبرك والسدود، وإضافة إلى الحقول الزراعية المسور منها وغير المسور والمباني الملحقة بها مثل الإسطبلات وأماكن تخزين المؤن[2].

ومن المباني الهندسية المهمة عند العرب السدود، وكانت السدود منتشرة بكثرة على الأودية، ولكنها كانت صغيرة الحجم بشكل عام، لهذا سريعا ما تطمس آثارها أو تردم تحت الرسوبيات التي يحملها الوادي، وكان في وادي الغرس في منطقة خيبر سد كبير يبلغ طوله ٢٠٥ أمتار، وارتفاعه ٢٥مترا، وكان عرضه يزيد وينقص ويبلغ حوالي ٤٥مترا، وكانت قاعدة السد عريضة وتشكل هرما حتى تصل إلى قمة السد، ومبني من الحجارة الكبيرة منحوتة وغير منحوتة ومرصوصة إلى بعضها بالمونة من الطين والجبس، ومغطاة بطبقة لها لون الطمي[3].

وإضافة إلى سد قصر البنت أو القصيبية يوجد عدة سدود مثل: سد الحصيدة، وسد اليزيدية، وبعضها مبني منذ زمن لكن تم ترميمه وزيادة ارتفاعه في العصر الأموي بعد أن أمر معاوية بالاهتمام بالمنطقة، ويعود تاريخ الترميم إلى سنة ٥٨هـ، وبعض هذه السدود له بناء قديم وبعضها بناه الأمويون، لكن نمط العمارة كان واحدا ويدلل على خبرة عربي وسط الجزيرة في بناء السدود كما كان عرب الجنوب.

---

[1] بودن، التنقيبات، ١٩٨٠م، ص ٩٦.

[2] المصدر نفسه، ص ٩٩.

[3] **جيلمور**، مايكل، وإبراهيم، محمد، ومراد، عبد الجواد، برنامج المسح الأثري الشامل، تقرير مبدئي عن مسح المنطقتين الشمالية والغربية الشمالية، ١٤٠١/١٩٨١م، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، ع.٦، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، الرياض، ١٩٨٢م، ص ١٨.

ويحتوي السد على عدة منشآت مرفقة به، فقد تكون صخور لدعم بنيانه أو أنّها تكون محتوية على كتابات تؤرخ لمن صنعها، إضافة إلى درجات تصل إلى مستوى المياه، إضافة إلى بوابة تفتح على حوض لتجميع المياه، أو تزود قنوات للري[١].

وكانت الأفران تستخدم لحرق الطين لتحويله إلى آجر من جهة، أو لحرق الحجر الجيري لتحويله إلى جبس ليستخدم بدل الاسمنت[٢]. ليربط بين الحجارة الكبيرة ويستخدم لمنع تسرب المياه من بين الحجارة أو من جدران القنوات، أو لمنع ردمها وانهيارها خاصة القنوات المغلقة.

ومن ابرز الاكتشافات الأثرية التي وجدت في منطقة تيماء القنوات المائية المغلقة، وكانت تمتد بشبكة تحت الأرض، والسبب في ذلك لتقليل كمية التبخر، وقد كشف عن قناتين وكانتا على أعماق كبيرة تحت الأرض ٩-٧ أمتار، وربما يكون امتداد القناة قد لاقى جبلا أو أرضا صخرية، فنجد أن النفق قد تم حفره داخل الصخر لينفذ من الجهة الثانية، وكانت القناة بقطر متر ونصف، وهو مبني من الحجارة والملاط، وله امتدادات إلى البساتين المجاورة، إضافة إلى قنوات سطحية ونظام ري مدرج تنتقل فيه المياه من الطبقة العليا إلى السفلى[٣].

وكان العرب على معرفة بطرق نقل الماء وبناء القنوات والسدود والأحواض، فكانت خيبر من اشهر المناطق الزراعية التي قامت بهذا الإنجاز، فكانوا قد بنوا عدة قنوات لنقل الماء من الآبار والوديان، وكانت تسمى المناهر، وبلغ طول بعض القنوات ستين كيلومترا[٤].

---

[1] المصدر نفسه، ص ١٩.

[2] المصدر السابق، ص ٦٢.

[3] **ليفنجستون**، الستر، وإبراهيم، محمد، والسباعي، بشير، وكمال، محمد، والتيمائي، سليم، تيماء، مجسات حديثة ونصوص منقوشة جديدة، ١٩٨٢م، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، ع.٧، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، الرياض، ١٩٨٣م، ص ٨٢.

[4] **الجزري**، أبو السعادات المبارك بن محمد، ت ٦٠٦هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، جـ ٤/ ص ٣٦٧.

كما جعلوا على كل نبع ماء منهرا لينقلوها إلى بساتينهم[1].

ومن المباني المعروفة عند العرب القناطر التي كانت تستخدم للعبور فوق الأنهار ومجاري المياه، وتسمي العرب كل أزج قنطرة، واستخدموا الشيد والكلس مع القرميد في البناء إلى جانب الطين واللبن والحجارة، قال طرفة بن العبد:

كَقنطَرَةِ الروميِّ أقسَمَ رَبُّها لَتُكتَنَفَن حَتّى تُشادَ بقَرمَدِ

قوله"حتى تشاد" يقول: تطلى، وكل شيء طليت به البناء من جص أو جير، وهو الكلس، فهو المشيد، يقال: دار مشيدةٌ، وقصر مشيدٌ، قال الله عز وجل: (وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)(النساء: من الآية٧٨)، وقال الشماخ[2]:

لا تَحسَبَنّي وَإن كانت اِمرَءاً غَمِراً كَجَيَّةِ الماءِ بَينَ الطَيِّ وَالشيدِ

وقال عدي بن زيد العبادي[3]:

شادَهُ مَرمَراً وَجَلّلَهُ كِلْـ ساً فَلِلطَيرِ في ذُراهُ وُكورُ

والمقرمد: المطلي أيضاً، فمن ثم قال:"حتى تشاد بقرمد" في معنى حتى تطلى[4].

الحساب والمساحة:

ولم يكن العرب قبل الإسلام يمتلكون أسلوب موحد للعد، ولم يكن لهم طريقة جمع واحدة متفق عليها، ومع هذا كانت كل الوسائل تؤدي لخدمة الغرض نفسه، فقد

---

[1] مصنف عبد الرزاق، ١٤٠٩ هـ، جـ ٥/ ص ٤٠٩، ومسند أحمد، مؤسسة قرطبة، جـ ٤/ ص ٣، والتمهيد لابن عبد البر، ١٣٨٧ هـ، جـ١١/ ص ٧٤.

[2] الشماخ الذبياني، الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني. ؟ - ٢٢ هـ/؟ ٦٤٢ م، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة. كان شديد متون الشعر، ولبيد أسهل منه منطقاً، وكان أرجز الناس على البديهة. شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان. وأخباره كثيرة. قال البغدادي وآخرون: اسمه معقل بن ضرار، والشماخ لقبه.

[3] عدي بن زيد، عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العبادي التميمي. ؟ - ٣٦ ق. هـ/؟ ٥٨٧ م، شاعر من دهاة الجاهليين، كان قروياً من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجماناً بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولاً إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هنداً بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة.

[4] المبرد، الكامل في الأدب، دار الفكر، جـ١/ ص ٧١.

كانوا يعرفون العد بالأرقام، لكن لصعوبة التعامل مع الأرقام الكبيرة دون قواعد عامة لجأ العرب إلى تسمية الجموع المختلفة، فقالوا:

الذود: ما بين الثلاثة إلى العشرة.

الصرمة: القطعة التي ليست بالكثير.

الصبّة: فوق العشرين إلى الثلاثين، أو الأربعين.

العكرة: من الخمسين، إلى الستين والسبعين.

الهجمة: المئة وما داناها.

الهندبة: مئة.

العرج: الإبل إذا كثرت فبلغت مائتين قيل عرج.

البرك: إبل القوم جميعا[1].

وإذا بلغ لهم من الإبل ألف فقئوا عين الفحل.

فإذا صار لهم ألفان من الإبل أعموا الفحل.

على أن هذه الطريقة لا تدل على ضعف في الحساب بل أن للعرب القدرة على ابتكار أي قاعدة تناسب حاجاتهم، والظاهر أن بعض قبائل العرب كانت تعلّم الحساب وتعمل فيه الحيل من المعادلات التربيعية والمعادلات ذات الحدود، فقد كان عمرو بن عدي الخصفي قد لقي جيشا فسألوه عن عددهم فقال لهم: إذا كنا كذا ومثلنا ونصفنا وكذا وكذا فتاهوا بالحساب دون الطلب[2].

وكان أهل مكة إذا أرادوا الخروج في تجارة لهم جمعوا الناس، وطلبوا منهم أن يدفع كل إنسان بما لديه من مال ويوضع لهم سهم فيه في تجارتهم، فيضع الرجل السهم والسهمين وبعضهم الألف وبعضهم يشترك بالسهم، ثم تدون أسماءهم ومقدار ما دفعوا، فإذا عادت تجارتهم أخرجوا رأس المال وخلصوا إلى الربح ثم قسموه على كل دفع كلّ حسب سهمه، قال مطرود بن كعب الخزاعي:

---

1 الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ١/ ص ١٧.

2 الآمدي، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ١٩٨٢م، ص ٢١١.

الخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يعود فقيرهم كالكافي[1]

ولم يكن العرب يعرفون علّم الحساب فحسب، بل أنهم كانوا يعرفون علّم المساحة، وكانوا قد مسحوا أرض السواد أبان الفتوح وقدروا عليها الجزية والخراج، وكل ذلك حسب المساحة والسكان، وطبيعة الأرض صلحا أو عنوة، ووضعوا قوائم بكل ذلك للجباة، وأرسلت نسخة لعمر بن الخطاب فأقر ذلك. فهذا يدل على علّم واسع وإطلاع كبير، وكان الذي تولى ذلك في الكوفة عثمان بن حنيف[2]. فوجده ستة وثلاثين ألف ألف جريب، فوضع على كل جريب درهما وقفيزا[3].

ولا أدل على تطور علّم الحساب والإحصاء عند العرب من توزيع الغنائم، فقد كانوا يجعلون للفارس سهما ولفرسه سهما، وللراجل سهما، ثم يحصون الجميع ويقسمون عليهم الغنائم، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار الخمس لله وللرسول، فتكون لديهم معادلة صعبة، لكنهم يقسمونها برضا الجميع[4].

وعندما وضع الديوان تم توزيع الناس فيه في جداول وسجلات، وتم توزيع العطاء عليهم فيه، وكل ذلك تم بأسلوب علّمي يتبع مقدارا محددا لكل شخص[5]. وكان أسلوب القسمة الذي اقترحه عمر لا يتعدى ثلاث، الوزن، والكيل، والعد، وهذا يشير إلى أسلوب علّمي في التقسيم[6].

وكان العرب على دراية واسعة بالمعادلات الحسابية التربيعية والتكعيبية، وغيرها من المعادلات ذات المجاهيل من الدرجة الأولى والثانية، وحتى النساء نجدها في

---

1 ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٧.
2 ابن سلام، الأموال، ١٩٨١م، ص ٣٦.
3 البلاذري، فتوح البلدان، ١٩٨٣م، ص ٢٦٤.
4 الخراج لأبي يوسف، دار المعرفة، ص ١٩.
5 المصدر نفسه، ص ٤٤.
6 المصدر نفسه، ص ٤٥.

أقوى الأمثلة قادرة على إنشاء مثل هذه المعادلات وليس حلها فقط، واقلها نجد أن العرب يصنعونها ألغازا للتسلية، قال النابغة الذبياني على لسان زرقاء اليمامة[1]:

قالت ألا ليتَما هَذا الحَمامُ لنا   إلى حَمامَتِنا ونِصفُهُ فقـــــــدِ

يَحُفُّهُ جانِبا نيقٍ وَتُتبِعُــــــهُ   مِثلَ الزُجاجَةِ لَم تُكحَل مِنَ الرَمَـدِ

فَحَسَّبوهُ فَأَلفَوهُ كَما حَسَبَـت   تِسعاً وَتِسعينَ لَم تَنقُص وَلَـم تَزِدِ

فَكَمَّلَت مِئَةً فيها حَمامَتُـــها   وَأَسرَعَت حِسبَةً في ذَلِكَ العَـــدَدِ

ويروى عن بنت الخس، وأخذ النابغة من زرقاء اليمامة معانيها ومعادلاتها في قولها:

لَيتَ الحمامَ ليه   ونِصفهُ قَديه

إلى حمامتيـــه   تمّ الحمامُ مِيَه

وقال الأصمعي أن هذا الشعر لأبنت الخس، وكانت جالسة فمر بها سرب قطا فقالت:

يا ليت ذا القطا ليه   ومثل نصف معيه

إلى قطاة أهليـــه   إذاً لنا قطاً ميـــه

فأتبعه بعضهم فوجده ستا وستين[2].

وكانت عمليات التعداد السكاني معروفة عند العرب، ومثال على ذلك ما روي أن عدوان نزلت على ماء، فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أغرل[3]، سوى من كان مختونا لكثرة عددهم[4]. كما كانوا يحصون عدد أفراد الجيش ويسمون الجيش جرارا إذا بلغ الألف رجل، وهذا يدلل على أنهم اهتموا بعمليات التعداد لأسباب مختلفة تكاد تشابه احتياجات المجتمعات في الوقت الحالي.

---

[1] زرقاء اليمامة، الزرقاء، من بني جديس، من أهل اليمامة: ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، مضرب المثل في حدّة النظر وجودة البصر. يقال لها (زرقاء اليمامة) و(زرقاء جوّ) لزرقة عينيها. وجوّ اسم لليمامة. قال المتنبي:

وأبصر من زرقاء جوّ لأنني   إذا نظرت عيناي شاءهما علمي

قالوا: أنّها كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام. وذكروا من أخبارها أن حسان بن تبع الحميريّ لما أقبلت جموعه تريد غزو (جديس) رأتهم الزرقاء وأنذرت جديساً، فلم يصدقوها، فاجتاحهم حسان.

[2] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ١١/ ص ٣٨.

[3] وغلامٌ أَرْغَلُ بيِّن الرَغَل، أي أغرَلُ، وهو الأقلفُ. الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، مادة **رغل**.

[4] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ٣/ ص ٨٦.

الفصل الخامس: الطب البشري والبيطرة.

عاش العرب حياتهم في منطقة عرفوا خصائصها الطبيعية، وكل ما تعرفوا عليه كان من نفس البيئة من وحشها، وأمراضها وخاضوا حروبها، وتعرضوا لأنواع الأمراض الوراثية وما سببته الأطعمة والإشربة لهم من أمراض، هم وحيواناتهم على حد سواء، لهذا احتاج العربي العلاج للتخلص من هذه الأمراض وتوابعها، وكان العربي خلال ذلك يبحث عن العلاج المناسب، وإذا لم يجد نفعا لجئ إلى الجراحة والبتر للعضو المصاب، ولهذا كان العربي كثيرا ما يجرب العلاج بنفسه، ثم نراه ينقل الخبر إلى غيره، لتظهر عندنا مهنة الطب[1].

وقد ظهر عدة أطباء عند العرب عالجوا الأمراض والجراح المختلفة، منها ما كان ناتجا عن ميكروبات، ومنها ما كان ناتجا عن أورام داخلية، ومنها ما سببته الجراح في الحروب والأيام التي خاضها العرب، وبعضها كان معديا وبعضها أصاب البعض دون الآخر، ومع صعوبة الأمراض وتنوعها، إلا أن العرب استطاعوا التميز بينها، وأن كانوا قد عجزوا عن شفاء بعضها، لكنهم استخدموا الأعشاب تارة، والحمية تارة، والجراحة تارة أخرى في العلاج، وكان بعض الأطباء يضمنون عملهم[2].

فكان أسهل الأمراض ما ظهر سببه واضحا مثل حصول كسر في اليد أو القدم، لهذا عرفوا التجبير للكسور المختلفة[3]. وبعضها كان صعبا، فلم يستطع العرب تشخيص أسباب بعض الأمراض الوراثية ليميزوها عن الأمراض المعدية، فعندما كان البرص ينتشر بكثرة بسبب زواج الأقارب اعتبره العرب مرضا معديا يصيب المختلطين بالمصاب، لهذا كانوا ينبذون المصابين به، لهذا نرى العربي يحاول أن

---

[1] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ٦/ ص ٢٩.

[2] **أبو عبد الله الدمشقي**، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ت٧٥١هـ، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، جـ ٤/ ص ٣٩٥.

[3] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٣٧٢.

يخفي برصه، ويحاول علاجه بكل الطرق كما فعل بعض العرب بطعن بطنه، ومنهم من اكتوى وهو أسوء أنواع العلاج بالنسبة لهم.

فقد طعن عدة من العرب أنفسهم للشفاء من البرص، فمن الذين ماتوا مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وأما الذي وطعن بطنه فشفي باعتقادهم أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي أصابه برص فسقي بطنه، فأخرجته قريش من مكة مخافة العدوى -وكانوا يخافون عدوى الجذام والبرص والجرب والصفر والعدسة والجدري-، وكان قد بقي منبوذا في الشعاب والجبال، فإذا حميت عليه الشمس استدرى بظلال الأشجار، فلما طال بلاءه طعن نفسه ليموت، فسال من بطنه الماء المحتقن وما كان يشبه البرص في جلده ، ثم دخل مكة وقال:

(لاهم رب وائل ونهـــــد   واليعملات والخيول الجرد
ورب من يسعى بأرض نجد   أصبحت عبداً لك وابن عبد
أبرأت منى وضحاً بجلدي   من بعدما طعنت في معدي)[1]

وكان الطب منتشرا في قبائل مختلفة من العرب، فجاء رجل من بني عامر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فعرض عليه أن يفحصه ليرى إذا كان فيه مرض، وبين له أنّه من أطب العرب، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم رفض أن يفحص وأرضى الرجل بكلمات[2]. ثم نجد الحارث بن كلدة يفد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم السنة السابعة للهجرة، وتجري عدة أحداث يظهر فيها علمه، ويعالج المسلمين، ثم نراه يقدم النصائح لهم في المطعم والمشرب، بل أنّه كان يعلّم فوائد الشمس للإنسان وكيف أنّها تساعد على شفاء الأمراض، رغم أنّه لم يكن يعلّم عن دورها في تمثيل بعض الفيتامينات[3]. ومع ذلك يعلّم مضار الشمس وما تسببه من الحروق وأمراض الجلد،

1 الجاحظ، البرصان، ١٩٨٢م، ص ٧٢.
2 الطبري، تاريخ الطبري، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ٥٣٠.
3 ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، ١٩٩٢م، جـ١/ ص ٥٩٥ وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٢/ ص ٢١٤.

أساليب يسحب بها الدم من جسده وهي: الأكحل، والأبجل، والوريد[1]. وهي الأوردة والشرايين الرئيسة في جسم الإنسان والأسرع للنزف.

كما كان لهم في علاج الملدوغ أسلوب مبتكر، فكان إذا لدغ الرجل يمص رجل آخر الجرح لسحب السم، أو يجرحه ويمتص الدم، وخوفا من التسمم كانوا يعمدون إلى حجام يضع أنبوبة له على الجرح ويستخدم القطن بداخلها فإذا امتص السم وصل للقطن ولا يصل إلى فيه فيسبب له التسمم[2].

وقد قسمت العلوم الطبية عند العرب إلى عدة أقسام تظهر الإبداع عندهم في مختلف المجالات وهي:

١- تشخيص المرض:

استطاع العرب تميز عدد من الأمراض قسموها حسب مكانها وطبيعة حدوثها. وقسم العرب الأمراض إلى أنواع عدة منها: الصداع، والسعال، والزكام، والبحاح، والقحاب، والخنان، والدوار، والنحاز[3]، والصدام، والهلاس[4]، والسلال، والهيام[5]، والرداع[6]، والكباد[7]، والخمار[8]، والزحار[9]، والصفار[1]، والسلاق[2]، والكزاز،

---

1 الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٢٢/ ص ٩٥.

2 الجاحظ، الحيوان، بيروت، ٤ جـ/ ص ٢٢٠.

3 والنُحازُ: داءٌ يأخذ الإبل في رئاتها فتسعل سعالاً شديداً. الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، مادة **نحز**.

4 الهُلاسُ: السِلُّ. الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، مادة هلس.

5 الهُيام: داءٌ يصيب الإبل من ماءٍ تشربه مُستنقعاً. الازهري، تهذيب اللغة، ٢٠٠٣م، مادة **هام**.

6 ورَجُلٌ مِردَعٌ: من الردَاع والرَّدْع: وهما النُكْسُ، وقيل: الوَجَعُ في الجَسَد، الصاحب بن عباد، المحيط باللغة، ٢٠٠٣م، مادة **ردع**.

7 قال كراع: ولا يعرف داء اشتق من اسم العضو إلا "الكباد" من الكبد، ابن سيده، المحكم، ٢٠٠٣م، مادة كبد.

8 وخامَرَة الداءُ: خالط جوفه، قال:

هنيئاً مريئاً غير داء مُخامِرِ   لعزة من أعراضنا ما استحلت

الفراهيدي، العين، ٢٠٠٣م، مادة **خمر**.

9 الزَحيرُ: استِطْلاقُ البَطْن، وكذلك الزُحار. والزَحيرُ: التنفُّسُ بِشِدَّةٍ. الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣ م، مادة **زحر**.

والفواق[3]، والخناق[4]. كما قسموا حالات المريض إلى مستويات، فقالوا: عليل، ثم سقيم، ثم مريض، ثم وقيذ، ثم دنف، ثم حرض ومحرض، وهو الذي ينازع أنفاسه[5].

كما تقسم أوجاع الأعضاء إلى أقسام: فإذا كانت بالرأس فهو الصداع، وإذا كان في شق سميت الشقيقة، وإذا كانت في العين سمي عائر. فإذا كانت باللسان فهو القلاع، وفي الحلق عذرة وذبحة، وإذا كان في العنق فهو لبن وإجل، وإذا كان في الكبد فهو كباد، وكان في البطن عامة فهو قداد، وإذا كان في المفاصل فهو رثية، وإذا شمل الجسد فهو رداع، فإذا كان في الظهر فهو خزرة، وإذا كان في الأضلاع فهو شوصة، وإذا كان في المثانة فهو حصاة[6].

وتقسم أمراض الحلق إلى أقسام: أولها الحرة وهي حرارة في الحلق، ثم الحروة، ثم الثحثحة، ثم الجاز، ثم الشرق، ثم الفوق، ثم الجرض، ثم العسف[7]. وقيل: الثحثحة، ثم السعال، ثم البحاح، ثم القحاب، ثم الخناق، ثم الذبحة[8]. وسماها العرب العذرة[9]. وحمى الربع[10].

والحمرة وهي مرض يصيب الإنسان فيتورم، وكان الأطباء يعالجون منها، وروي أن جرير أصابته الحمراء، فعالجه منها الطبيب[11]. والمتتبع لأنواع الأمراض يجدها كثيرة عند العرب، وهذا أن دل على شيء فإنما يدل تطور التشخيص عند العرب. أما

---

1 ورجل مصفور، وبه صفار: داء يصفر منه. الزمخشري، أساس البلاغة، ٢٠٠٣م، مادة صفر.

2 ابن الأعرابي: أبرأ الدبر إذا برأ وابيض، قال: وأسلق الرجل إذا ابيض ظهر بعيره بعد برئه من الدبر. ابن منظور، لسان العرب، ٢٠٠٣م، مادة **سلق**.

3 الفُواق مثل ما يأخذ الإنسان عند البكاء والنشيج، كأنّه نَفسٌ يقلعُهُ من صدره. الجووهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، مادة **فوق**.

4 المبارك، فقه اللغة،١٩٩٤م، ص ١٥٩.

5 المصدر نفسه، ص ١٦٠.

6 المصدر السابق، ص ١٦٠.

7 المصدر نفسه، ص ١٦١.

8 المصدر نفسه، ص ١٦٢.

9 ابن قتيبة، المعارف، ١٩٨٧م، ص ١٥٦.

10 الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٢١/ ص ٢٢٤.

11 أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ٢/ ص ٢١٠.

البرص فقد قسم إلى أقسام: أوله مولع، ثم إذا زادت اللمع فهو ملمع، ثم أبقع، ثم أقشر[١].

وكان بعض العرب لا يشخص المرض فحسب، بل أن لهم عدة تسميات للمرض، وهذا دليل على كثرة من شخص المرض بين العرب، فكان ذات الجنب[٢] يسمى الشوثة، والشوصة، واللوى[٣].

ويقسم المرض إلى مستويات: فإذا كان جامعا لعدة أمراض ظاهرة، يقال له داء الشح، فإذا أعيا الأطباء فهو عياء، وإذا كان يزيد مع الأيام فهو عضال، وإذا كان لا دواء له فهو عقام، وإذا كان لا يبرأ بالدواء فهو ناجس ونجيس، واتى عليه زمن وصار عتيقا، سمي مزمنا، فإذا لم يعلّم منه ضرر فهو الداء الدفين[٤].

فكان الطبيب أول ما يعمله عند معاينة مريض ما أن يقوم بجس أوردته وشرايينه[٥]. ثم يجس أمعائه ويستمع إلى نفسه ونحو ذلك، قال ابن أم حزنة[٦]:

فَأعدَدتُ عَجلى لِحُسنِ الدَوا ... ءِ لَمْ يَتَلَمَّس حَشاها طَبيب[٧]

وقال عنترة بن شداد:

يَقولُ لَكَ الطَبيبُ دَواكَ عِندي ... إذا ما جَسَّ كَفَّكَ وَالذِراعــا

وَلَو عَرَفَ الطَبيبُ دَواءَ داءٍ ... يَرُدُّ المَوتَ ما قاسى النِزاعا[٨]

وقد حصل العربي معرفته الطبية وشخص المرض من خلال المتابعة الطويلة للمرضى، وكذلك من خلال مراقبة العربي الطويلة لحيواناته العليلة والتي كان

---

[1] المبارك، فقه اللغة، ١٩٩٤م، ص ١٦٦.
[2] الفالج.
[3] **المعافى بن زكريا**، المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري، ت ٣٩٠هـ، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١٨٩١.
[4] المبارك، فقه اللغة، ١٩٩٤م، ص ١٦١.
[5] المعافى بن زكريا، الجليس الصالح، ٢٠٠٣م، ص ١٨٩١.
[٦] ابن أم حزنة، ثعلبة بن عمرو العبدي، من سليمة بن عبد القيس. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟م، شاعر جاهلي يقال له ابن أم حزنة، أورد له المفضل قصيدة بائية أولها:
أسماء لم تسألي عن أبيك ... والقوم قد كان فيهم خطوب
[7] ابن الأعرابي، أسماء خيل العرب وفرسانها، ٢٠٠٣م، ص ٥٩، وديوان ابن أم حزنة، ٢٠٠٣ م، بحر المتقارب.
[8] ديوان عنترة بن شداد، ٢٠٠٣م، الوافر.

مصيرها الذبح، كان العربي يلاحظ عليها الأمراض العضوية، وكان يرى بحكم الخبرة أن الأعراض المتشابه تؤدي بالتأكيد لنفس المرض، لهذا قاس هذا الوضع على الإنسان، فكان يعرف من الأمراض مرضا سماه الغدة، يجعل رئة الحيوان حمراء متورمة، وكانت تصيب الإبل، لهذا كان المصاب بنفس الأعراض يرى أن مرض الغدة قد أصابه[1]. ولا نستغرب معرفة العرب بتشريح جسم الحيوان والإنسان بعد كثرة الحروب التي خاضوها والجراحات التي كانت تصيب الرجال، إلى غيره من التمثيل في الجثث، فلم يكن وازع ما يمنعهم من الإطلاع على تركيبة الجسم البشري.

ويقسم التماثل للشفاء إلى أقسام: فإذا وجد المريض خفة وهمَّ للانتصاب فهو متماثل، وإذا زاد صلاحه فهو مفرق، وإذا اقبل على البراء غير أن كلامه فيه ضعف فهو مطرغش، وإذا تماثل ولم يمتلك كل قوته قيل له ناقة، فإذا تكامل شفاؤه قيل مُبِلّ، فإذا رجعت له قوته فهو مرجع[2].

٢- العلاج:

واهتم العرب بالعلاج، وتنوعت أساليبهم في معالجة المرض بين الدواء الذي يؤخذ عن طرق الفم من النبات خاصة، ومن أغذية أخرى مثل العسل، وكذلك اعتمدوا على الحمية والطب الوقائي، وقدموا لهذا السبب عدة وصايا طبية وحكما وأمثالا ليتعامل بها الناس، وكذلك عمدوا إلى الجراحة فشقوا عن الأورام الداخلية واجروا عمليات قيصرية، كذلك استطاعوا إسعاف جراح الحروب على كثرتها، ولم يقتصر الأمر على الإسعاف حتى اجروا عمليات تجميلية.

أ- الدواء:

---

[1] أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ٢/ ص ٢٢٤.
[2] المبارك، فقه اللغة،١٩٩٤م، ص ١٦٩.

كان العرب يعرفون أنواع السموم، وكانوا يعرفون أن الحرارة تغير طبيعة المواد، فكانوا يغيرون السموم بالتسخين، وكان الحارث بن كلدة قد اقترح طبخ الطعام للتخلص من السموم[1]. وكانوا يستخلصون العلاج من السموم، خاصة سموم النحل والدبابير، فكانوا يأخذون سم الذراريح ويخلطونه بالعدس، فيصير دواء لمن أصابه داء الكلب[2].

وكان العرب يرحلون من بلد إلى آخر في طلب الدواء، أو لتعلّم الطب وصنعة الدواء، فكان المحل بن الأسود قد عالج عتيبة بن مرداس من داء الكلب وكان الأسود ابن أوس بن الحمرة أتى النجاشي فعلّمه دواء الكلب، فنقل ولده العلاج بينهم حتى وصل إلى ولده المحل، قال ابن فسوة حين برأ:

ولَوْلا دَوَاءُ ابن المُحِلِّ وطِبُّهُ هَرَرْتَ إذا ما الناسُ هَرَّ كَلِيبُهَا

وأخْرَجَ بَعْدَ اللهِ أولادَ زراع مُولَعَةٍ أكْتَافُها وجُنُوبُهَا[3]

كما أن الحارث بن كلدة تعلّم الطب في مدارس نيسابور، هو وابن له[4].

وكان العرب يبحثون عن الأدوية في أي مكان في الجزيرة، فبعث عامر بن الطفيل فرسا هدية للرسول ليبعث له دواء للدبيلة التي ظهرت به، فبعث له عكة عسل وأمره أن يتداوى بها[5]. وبعث عمرو بن مالك ملاعب الأسنة إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم يلتمس دواءً[6]. أما إذا أعياهم المرض فيبعثون وراء الطبيب ليحضر إلى ديارهم، ومن الأطباء زهير بن جناب، وابن حذيم[7]. ومن الذين كانوا يزورون

---

1 أبو هلال العسكري، الأوائل، ٢٠٠٣م، ص ٤٣٤.
2 ابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ٢٠٠٣م، ص ٣٢٩.
3 ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ٢/ ص ٩٣.
4 الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٠٠٣م، ص ٨٨٥٩.
5 ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٥/ ص ٣٧١.
6 المصدر نفسه، جـ٣/ ص ٧٢٠.
7 فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت، د، ت، ص ٢٧٣.

المرضى رباح بن شداد وهو عراف اليمامة، وكان ماهرا في وصف الدواء[1]. قال الشاعر[2]:

جَعَلْتُ لِعَرّافِ اليَمامةِ حُكْمَهُ وعَرّافِ حَجْرٍ أن هما شَفياني

فقالا نَعَمْ نَشفي مِنَ الدّاءِ كُلِّهِ وقاما مع العُوّادِ يَبتَـــــــدِران

فما تركا من رُقيَةٍ يَعلَمانِهـا ولا شُرْبَةٍ إلاّ وقد سَقَيانــــــي[3]

وكانت بعض الأسر تتوارث الأدوية فيما بينها وتجعله وسيلة للكسب؛ فكان الأسود بن أوس بن الحُمَّرة، أتى النَّجاشيَّ فأعطاه دواء يشفي من داء الكلب، فلما رحل احتضر فأوصى امرأته أن تتزوَّج ابنه قُدامة بنَ الأسود[4]، وأن تعلّمه دواء الكلب، ولا يخرُج ذلك منهم إلى أحد، فتزوَجته نِكاح مَقت، وعلّمته دواء الكلب، فبقي الدواء فيهم، فولَدَ الأسود قُدامة وولد قُدامة المُحِلَّ فكان المحِلُّ يُداوي من الكلب، فولد المحلّ عُقبة وعمراً، وابنُ المحلُ هو الذي داوى عُتيبةَ بن مرداس، وابن فسوة الشاعر[5]. ولكن بعد المغالاة في العلاج أمر زياد بن أبيه أن يكشف عن الدواء ويعلق على باب المسجد الأعظم، ليعرفه جميع الناس[6].

وصنف العرب الأدوية إلى أصناف منها: الوجور[7]، واللدود[8]، والسعوط، واللعوق، والسنون[9]، والبرود[1]، والسفوف، والغسول، والنطول[2]. فبعضها كان شربا،

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ٢٤/ ص ١٣٢.

[٢] عروة بن حزام، عروة بن حزام بن مهاجر الضني، من بني عذرة. ؟ - ٣٠ هـ/؟ ٦٥٠ م، شاعر، من متيّمي العرب، كان يحب ابنة عم له اسمها (عفراء) نشأ معها في بيت واحد، لأن أباه خلفه صغيراً، فكفله عمه. ولما كبر خطبها عروة، فطلبت أمها مهراً لا قدرة له عليه فرحل إلى عم له في اليمن، وعاد فإذا هي قد تزوجت بأموي من أهل البلقاء (بالشام) فلحق بها، فأكرمه زوجها. فأقام أياماً وودعها وانصرف، فضنى حباً، فمات قبل بلوغ حيّه ودفن في وادي القرى (قرب المدينة).

[3] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ٢٤/ ص ١٣٣.

[٤] أي أن يخلفه على امراءة أبيه التي ليست أمه، وهو ما سماه المسلمون (زواج المقت).

[5] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ٢/ ص ١٠.

[6] المصدر نفسه، جـ ٢/ ص ١٣.

[7] الوَجورُ: الدواء يوجَرُ في وسط الفم. الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، مادة **وجر**.

[8] اللدودُ: وهو ما يُصبُ من الأدوية في أحد شِقّي الفم. الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، مادة **لدد**.

[9] أي حنكته الدواء، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة **سنن**.

شربا، أو أكلا، أو يقطر في العين أو الأنف، أو الأذن، أو يدهن به، وربما كان حقنة بالشرج، وربما كان سعوطا عن طريق الأنف. وربما أذيب بالماء وغمس الإنسان نفسه فيه.

ب- الوصايا الطبية:

وكان العرب يركزون على الوقاية بدل العلاج، فكانوا يعرفون أن اخطر الأمراض تصيب الإنسان إذا زاد وزنه، لهذا كانوا يقدرون الفرسان القادرين على حمل السلاح لصحتهم، بينما كان المترهلون منهم غير الممارسين للرياضة، وهم من الأغنياء الذين يكثرون من الطعام، ثم إذا مرضوا بحثوا عن كل أنواع الأدوية التي يدخلونها اجوافهم بغير تعقل ولا إدراك لعواقبها.

وكان للحارث وصايا كثيرة تتعلق بهذا الأمر، فكان ينصح بعدم الإكثار من الطعام، وإذا اختاره الإنسان أن يختاره طازجا، وإذا اختار اللحم أن يختاره شابا طريا، لم يتليف ولم يكثر عليه الدهن، وينهى عن إدخال الطعام على الطعام، لأنه يسبب زيادة الوزن، إضافة إلى عسر الهضم، أو التخمة، ويدعو إلى تجنب الدواء ما استطاع الإنسان تحمل مرضه، أو يمنع وصول المرض قبل أن يحتاج للعلاج، ويطلب تجنب أكل القديد والمالح، ويطلب أكل الفاكهة في أوانها وعدم أكل المجفف منها، ويحبب شرب الماء[3].

---

[1] والبردُ تبريد العين، والبَرُودُ كُحل يُبرِّد العين والبرود من الشراب ما يُبَرِّدُ الغلة، الازهري، تهذيب اللغة، ٢٠٠٣م، مادة **برد**.

[2] المبارك، فقه اللغة، ١٩٩٤م، ص ١٥٩، ونَطَلْتُ رأسَ العليل بالنَطول، وهو أن تجعل الماء المطبوخ بالأدوية في كوز ثم يصبُّهُ على رأسِه قليلاً قليلاً، الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، مادة **نطل**.

[3] **أبو حيان التوحيدي**، علي بن محمد بن العباس، ت ٤٠٠هـ،- البصائر والذخائر، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١٣٠٦، وابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ١٩٨٥، وابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٨/ ص ١٦.

وكان لقمان لا يحب إطالة الجلوس على الخلاء لأنه يسبب الباسور[1]. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يكره أن يُكره المريض على الطعام والشراب ويقول:"لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشّراب فإن اللّه يطعمهم ويسقيهم"[2]. ولهذا تجنب العرب الكثير من الأمراض مثل النقرس ووجع المفاصل والأورام[3].

وكان العرب يعتنون بالنظافة الشخصية كثيرا لهذا تجنبوا الأمراض الجلدية والأمراض السارية، قال ابن الكلبي: (كانت في العرب خاصة عَشْرُ خِصَال لم تكن في أمَّةٍ من الأمم، خمْسٌ منها في الرأس، وخمس في الجَسَد. فأما التي في الرأس: فالفَرْق والسِّوَاك والمضْمَضة والاستِنْثار وقَصُّ الشارب. وأما التي في الجَسد: فتَقْليم الأظفار ونَتْفُ الإبط وحَلْق العانَة والخِتَان والاستِنْجاء)[4].

جـ- الجراحة:

وكان العرب يعرفون الجراحة ومنها العمليات داخل الأمعاء والبطن، فقد شق بطن عِمران بن حُصَين وأخذا منه شحما، وثقب له سرير فبَقِي عليه ثلاثين سنة[5]. ومنها العمليات الصغرى مثل الحجامة فكان أبو هند يساراً حَجَم النبيّ صلى الله عليه وسلم بقرْن وشَفْرَة، من الشكوى التي كانت تعتريه من الأكلة التي أكلها بخيبر[6]. كما كان الحجام يقوم بعمليات صغيرة مثل نزع ثؤلول وما شابه[7].

ومن العمليات؛ عمليات سريعة تتم داخل ميدان المعركة أو بعدها وتكون ناتجة عن الطعان والضراب، ويكون هم الطبيب الأول إيقاف النزف لذلك استعملوا القطن

---

[1] ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ٣/ ص ٢٩٧، **الشطي**، د. أحمد شوكت، مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية والمجتمع العربي، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦٣م، ص ٢٧.

[2] ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ٣/ ص ٢٩٥.

[3] الجاحظ، البخلاء، ٢٠٠٣م، ص ٢٠٨.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٣/ ص ٢٧٩.

[5] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٧٧٧.

[6] المصدر السابق، جـ ٤/ ص ٧١٦.

[7] المصدر نفسه، جـ ٥/ ص ١٤٨.

والضغط على الجرح لإيقاف النزف قبل الخياطة[1]. ثم تتم عملية خياطة الجراح حسب المكان وسعة الجرح، ويتم ذلك لسرعة التئام الجراح ولتبقى نظيفة[2].

ومن العمليات عمليات كبرى مثل العمليات القيصرية، فكان خارجة بن سنان قد تعسرت ولادته حتى شق بطن أمه واخرج منه لذلك سمي بقيرا، وقد اخرج وحاله سليم، بينما رجح البعض أن العملية تمت بعد وفاة والدته، واغلب أنّه شق عنه وهي حية وإلا لمات اختناقا بينما يشق عنه[3]. بينما ولد الأحنف مرتتقا حتار الأست حتى فتق وعولج[4].

وكان صخر قد أصيب بطعنة أدخلت في جوفه حلقا من درعه، فلما طال عليه البلاءُ وقد نَتأت قِطّعة من جَنبه مثلُ اليد في موضع الطعنة، احضروا له الأطباء فقالوا جميعا له: لو قطعْتها لرجونا أن تَبرأ. فقال: شَأنكم. فقطعوها لكنه مات لخطورة العملية وسوء حاله الصحية[5].

وكان هاشم وعبد شمس ولدوا توأمين، وكانوا ملتصقين ببعضهما من ناحية العقب، ففصلا بعملية جراحية[6]. وولد الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي مشوهاً لا دبر له، فشق عنه الطبيب حتى نقب عن دبره[7].

وعرف العرب الجراحة التجميلية إلى جانب أساليب تضفي على أصحاب الإعاقات منظرا حسنا، فكان طَرَفَةُ بن عَرْفَجَة قد أصيب أنفه يوم الكُلاَب فجذم، فاتخذ أنفاً من وَرق، فأنتن، فأذن له النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يَتَّخِذَ أنفاً من ذَهَب[8]؛ وجاء ابن رمثة إلى الرسول، وكان طبيبا من بيت كلهم أطباء توارثوا الطب

---

[1] المصدر نفسه، جـ ٦/ ص ٣٧٤.
[2] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٩٤م، جـ١/ ص ١٠٠.
[3] الجاحظ، البرصان، ١٩٨٢م، ١٤٦، وابن قتيبة، المعارف، ١٩٨٧م، ص ٥٠.
[4] الجاحظ، البرصان، ١٩٨٢م، ص ٣٢٥.
[5] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٥/ ص ٣١، والأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢ م، ١٥/ ص ٧٤.
[6] اليعقوبي، تاريخ، ١٩٩٥م، جـ١/ ص ٢٤٢.
[7] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٠٠٣م، ص ٧٤٦.
[8] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٢/ ص ٤٦٤ وجـ ٣/ ص ٥١٧.

ابن عن أب، فلما رأى الخاتم في ظهر النبي جسه وسئل الرسول أن أراد أن يستأصله له بعملية تجميل، فمنعه الرسول[١].

وكان عثمان بن عفان يُصَفِّر لحيته بورس، ويَشُدُّ أسنانه بالذهب[٢]. وكان أيمن بن خريم مصاب بالبرص في يديه وأصابعه وشفتيه ووجهه، فكان يدلك هذه المواضع بالحص، والحص هو الورس، ليخفي بياض البرص، فقال الأقيشر[٣] يهجوه بذلك:

يعالج بالحص البياض فلم يصب ... دواءً وما داواك عيسى بن مريما[٤]

على أن العرب كانت تستخدم الكي لعدة أغراض علاجية، فكانوا يعالجون من اللقوة بكي شفر العين بمخيط، وهو ليس علاج بقدر ما يترك اثر نفسي عند المريض، وفد مخوس بن معد يكرب بن وليعة الكندي على النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد أصيب باللقوة، أو أعراضها فأمر من يكويه فشفي[٥]. لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن الكي ويقول: «أكره الحمم»[٦].

كما كانوا يعالجون من السقي في البطن بالكي[٧]. ويعالجون من الدبيلة بالكوي، وكان الحارث بن كلدة يعالج بها[٨].

---

[1] النويري، نهاية الأرب، ٢٠٠٣م، ص ١٠٨٠٠.
[2] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٤٩٠.
[٣] الأقيشِر الأسَدِيّ، المغيرة بن عبد الله بن مُعرض، الأسدي، أبو معرض. ؟ - ٨٠ هـ/؟ ٦٩٩ م، شاعر هجاء، عالي الطبقة من أهل بادية الكوفة، كان يتردد إلى الحيرة. ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام وعاش وعمّر طويلاً وكان (عثمانياً) من رجال عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وأدرك دولة عبد الملك بن مروان وقتل بظاهر الكوفة خنقاً بالدخان. لقب بالأقيشر لأنه كان أحمر الوجه أقشر وكان يغضب إذا دُعي به، قال المرزباني: هو أحد مُجّان الكوفة وشعرائهم، هجا عبد الملك ورثى مصعب بن الزبير.
[4] الجاحظ، البرصان، ١٩٨٢م، ص ٧٨.
[5] المصدر نفسه، ص ٤٥٣.
[6] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٢/ ص ٢٢١.
[7] ابن حبيب، المنمق، ١٩٨٥م، ص ٣٦٩.
[8] الكلبي، جمهرة النسب، ١٩٨٦م، ص ٥٦٣.

د- طب الجراح وإصابات الحروب:

وكان العرب بسبب الغزو والحروب القبلية وأنواع الأسلحة المستخدمة، كثيرا ما يصابون بجراح بالغة، مثل الطعان والقطوع والكسور، وغيرها من الإصابات التي تنتج عن الحروب، ولهذا ظهر بينهم أطباء اختصوا بهذا العمل، فمنهم من كان يعالجهم، ومنهم من كان يقيم الجراح لغايات الفداء والديات ونحوها.

وكان مقيم الجراح يسمى العاصي وكان الطفيل بن عمرو بن عبد الله الدوسي واحدا منهم، وكان يطلق على ولده: بنو العاصي[1]. ومن الأطباء العرب المشهورين ابن أبي جويرة التميمي، وكان نطاسيا طبيبا، وكان يُقيِّم الجراح في الحروب، فمن كانت جراحه من الأسرى قابلة للشفاء، غالوا في فدائه، وإلا أطلقوه لأهله بأقل الفداء قبل أن يهلك في أيديهم[2].

ولا أدل على وجود أطباء للجروح من قول ابن الرعلاء[3]:

رُبَّما ضَربَةٍ بسيفٍ صقِيلٍ   دُونَ بُصرَى وَطَعْنَةٍ نَجلاء
وغَمُوسٍ تَضِلُّ فيها يَدُ الآ   سِي ويَعيَى طبيبُها بالدَواء[4]

وعندما طعن عمر بن الخطاب جاءه الأطباء ففحصوا جراحه، فلما كان قد تلقى عدة طعنات منها ما وصل إلى أحشاءه، قاموا بسقيه اللبن ثم النبيذ، فلما خرج من جراحه علموا أن الطعنات قد قطعت أمعاءه، فطلبوا منه أن يوصي[5].

وقال المبرد في الشجاج: "الشّجاج مختلفة الأحكام، فإذا كانت الشّجّة شقيقا يدمى فهي الدامية، وإذا أخذت من اللحم شيئاً فهي الباضعة، وإذا أمضت في اللحم فهي

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ١٣/ ص ٢٤٣.
[2] أبو عبيدة التيمي، أيام العرب، ١٩٨٧م، ص ٥٤٥.
[3] ابن الرعلاء، عدي بن الرعلاء الغساني. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر جاهلي اشتهر بنسبه إلى أمه، وضاع اسم أبيه. وهو صاحب القصيدة التي مطلعها:
ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء
وفات ابن حبيب ذكره في كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء.
[4] ديوان ابن الرعلاء، ٢٠٠٣، بحر الخفيف.
[5] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٦٧١.

المتلاحمة، فإذا هشمت العظم فهي الهاشمة، وإذا كان بينها وبين العظم جليدةٌ رقيقة فهي السماحق، من أجل تلك الجليدة يقال ما على ترب الشاة من الشّحم إلا سماحيق، أي طرائق، فإذا خرجت منها عظام صغار فهي المنقلة، وإن ذما أخذ ذلك من النقل وهي الحجارة الصغار، فإذا أوضحت عن العظم فهي الموضحة، فإذا خرقت العظم وبلغت أمّ الدّماغ - وهي جليدةٌ قد ألبست الدماغ - فهي (الآمّة)، وبعض العرب يسميها أمّ المأمومة، واشتقاق ذلك إفضاؤها إلى أم الدماغ ولا غاية بعدها"[1].

وكان العرب يعرفون القسطرة، ولهم فيها أساليب، وهم يتفاوتون في ذلك، فكان أثير بن عمرو السكوني من احدقهم، وعندما طعن ابن ملجم علي بن أبي طالب عرضوا عليه ابن أثير مع العشرات غيره فقدموه، فذبح شاة وتتبع عرقا في رئتها، فاستخرجه وأدخله في الجرح، ثم نفخ في العرق واستخرجه، فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أم رأسه، فطلب منه أن يوصي[2].

والمسبار: هو المقياس الذي تقاس به الشجة وهو الململول والمحراف والسبار، وهو الميل الذي يقاس به الجرح فينظر ما غوره[3]. قال أعشى باهلة[4]:

إذا نزعوا عنها السبار تمطقت　　　تمطق أم السكن ضلت صعودها

وقال القطامي التغلبي[5] بذلك:

إذا الطبيبُ بمحرافيه حاولها　　　زادَت على النَقر أو تحريكُها ضَجَما[6]

---

[1] المبرد، الكامل في الأدب، دار الفكر، جـ٢/ ص٦٥.
[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٩٩٠م، مادة أثير.
[3] أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ٢/ ص ٢٢٠.
[4] أعشى باهلة، أبو قحفان عامر بن الحَرث بن رياح بن أبي خالد بن ربيعة بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، ومعن بن أعصر أبو باهلة وهي امرأة من همدان نسب إليها أولاد معن. شاعر جاهلي مجيد، أشهر شعره رائية له في رثاء أخيه لأمه (المنتشر بن وهب) أوردها البغدادي برمتها.
[5] القطامي التغلبي، عُمير بن شُييم بن عمرو بن عبّاد، من بني جُشَم بن بكر، أبو سعيد، التغلبي الملقب بالقطامي. ؟ - ١٣٠ هـ/؟ ٧٤٧ م، شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم. وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين، وقال: الأخطل أبعد منه ذكراً وأمتن شعراً.
[6] أبو تمام، نقائض جرير والأخطل، ١٩٢٢م، ص ١٣٨.

وتقاس الضربات وتصنف لعدة أصناف، ويحددها الطبيب، وهو يمثل الطبيب الشرعي في وقتنا الحالي، ويقوم بقياس الضربة بالمسبار، وهي فتيلة عليها دواء، قال البعيث[1]:

إذا قاسها الآسِي النِّطاسيُّ أُرعِشَتْ أناملُ آسيها وجاشَتْ هُزُومها[2]

أما الجراح فلها أقسام: فإذا جعل الجرح يندى فهو صهر، وإذا سال منه شيء فهو فص وفز، وإذا سال بما فيه قيل نج، فإذا ظهر فيه قيح قيل أمد وأغث، فإذا جمد فيه الدم قيل قرتَ، فإذا انتقض ونكس قيل غفر وزرف، فإذا سكن ورمه قيل حمصَ، وإذا صلح وتماثل، قيل أرِكَ، واندمل، فإذا علته جلدة للبراء قيل جلب، وانتشرت الجلدة عنه قيل تقشقش[3].

وكان العرب بشكل عام يمارسون الطب فتكون الحمية أولا، ثم العلاج، ثم الجراحة، فإذا أعياهم المرض يلجئون إلى آخر العلاج وهو الكي، فكان كثيرا ما يسبب له حروقا فاحشة، إضافة إلى آثار الحروق، والذي كان العرب يكرهونه لأنه يشبه البرص في الجلد، لهذا ابتعدوا عنه قدر الإمكان[4].

وكانت العرب تكوي الجراح وقت الحرب لقطع الدم، وعندما أصيب سعد بن معاذ في يوم الأحزاب قطع أكحله فكواه الرسول صلى الله عليه وسلم، فانقطع الدم عن السيلان للخارج لكنه نزف تحت جلده حتى إنتفخ جلده، فكواه مرة ثانية لكن ذلك لم يقطع نزيفه، فمكث أياما ثم توفي بسبب نزفه[5].

وقطعت في الحرب رجل حاتم بن عتاب بن قيس بن الأعور بن قشير، وهو الذي كان ينشد رجله وهو يقاتل، فسمي ناشد رجله، وهو الذي كان يحجل يوم

---

[1] البعيث المجاشعي، خداش بن بشر بن خالد، أبو زيد التميمي. ؟ - ١٣٤ هـ/؟ ٧٥١ م، خطيب، شاعر، من أهل البصرة. قال فيه الجاحظ: أخطب بني تميم إذا أخذ القناة. وكانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت نحو أربعين سنة، ولم يتهاج شاعران في العرب في جاهلية ولا إسلام بمثل ما تهاجيا به. توفي بالبصرة.

[2] أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ١/ ص ٨٤.

[3] المبارك، فقه اللغة،١٩٩٤م، ص ١٦٨.

[4] الجاحظ، البرصان، ١٩٨٢م، ص ٧٦.

[5] ابن سلام، الأموال، ١٩٨١م، ص ٦٣.

اليرموك على الأخرى ويقاتل الروم، وذهب إلى قدر زيت تغلي فأدخل رجله فيها لتكويها ويقطع عنها النزف[1].

٣- النظافة والتعقيم:

وكان مفهوم الطهارة والتعقيم معروفا عند العرب، ورغم أن الوسائل كانت بسيطة لكنها كانت ناجحة في الأغلب، فكان العرب يستخدمون التراب والماء للغسيل، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين أن يغسلوا الإناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات، أولها وآخرها في التراب، وإذا ولغت فيه الهرة أن يغسل مرة[2]. وهو الأسلوب الذي استخدمه العرب، ففي قصة داحس والغبراء نرى أن الرجل الذي أراد إخراج ماء حصانه من الفرس يدخل يده في ماء وتراب عدة مرات للتعقيم[3].

وكان العرب يعرفون التعقيم فعندما طعن صخر أخو الخنساء، اندمل جرحه على حلق من درعه، فما زال يعاني حتى مر به طبيب، فقال له اشق عنك فتفيق، وحذره أهله لسوء حاله، لكنه قبل المخاطرة على البقاء طريحا، فأخرج الطبيب أشفارا معه وأحماها على النار، ثم شق جرحه ونظفه له لكنه مات أثناء العملية لسوء وضعه الصحي[4].

٤- الختان والإنجاب:

وكانت العرب تقوم بختان أولادها من الذكور والإناث، ولهم في ذلك حجة النظافة وقلة الأمراض، وبسبب خطورة العملية كان من يقوم بها مختصا بالختان، ولكنه بقي

---

1 الجاحظ، البرصان، ١٩٨٢م، ص ٣٨٥.
2 سنن الترمذي، بيروت، جـ١/ ص ١٥١، وسنن البيهقي، ١٩٩٤م، جـ١/ ص ٢٤٠.
3 أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ١/ ص٦٦.
4 أبو عبيدة التيمي، أيام العرب، ١٩٨٧م، ص ٣٣٥.

عملاً وضيعاً لأنه يتعلق فقط بأعضاء التناسل. وكانت أم سباع الخزاعي ختانة للنساء بمكة، ولهذا قال له حمزة قبل قتله: "هلم يا ابن مقطعة البظور"[1].

وللعرب حالان في الحمل، فمنهم من رغب في عدم الإنجاب، ومنهم من رغب فيه، أما من رغب بعدم الإنجاب فكان الحارث بن كلدة يقول: (من أحب أن لا يولد له فليدهن حشفته عند الجماع بدهن)[2]، وعندما غزا المسلمون غزوة المُرَيْسِيع وغزوة بني المصطلق أصابوا سبايا، فتراجعوا في العزل فمنهم من يريد أن يستمتع ويبيع، ومنهم من يريدهن أهلا، فسألوا النبيّ صلى الله عليه وسلم عن العَزْلِ فقال: «اعزلوا أن شئتم، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة»[3].

أما إذا أرادوا الإنجاب فلهم بذلك أحوال، قال الحارث بن كلدة: (إذا أردت أن تحبل منك المرأة فمشها في عرصة الدار عشرة أشواط، فإن رحمها ينزل ولا تكاد تخلف)[4]، وكان الرجال إذا أرادوا زيادة الجماع لجئوا إلى الاطلاء، ويستخدم به النورة[5]. وجاءت امرأة للرسول تشكي كثرة جماع زوجها فسأله عن الاطلاء فأخبره أنّه يستكثر منه، فأمره أن يقلل من الاطلاء[6].

وكانت القبالة معروفة عن العرب، فكانت وضيفة القابلة الرئيسية مساعدة الطفل على الخروج قبل الولادة، وتحويل رأسه للأمام حتى لا يختنق أثناء الولادة[7]. ولهن طرق في إخراج الطفل بسرعة من رحم أمه قبل أن يختنق بماء الرحم، لذلك إذا فشلت القابلة في أخراج رأس الطفل قيل: غرقته القوابل، قال الشاعر:

فليت سعيراً كان حيضاً برجلها   وليت حجيراً غرقته القوابل[8]

وكانوا يعرفون المدة التي يجب أن يقضيها الطفل في رحم أمه، أن كان الشك

---

1 ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص٦٠٥ وجـ٤/ ص٦٣٩.
2 أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢٠٠٣م، ص ٣٥٨.
3 ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٤/ ص ٢٦٩وجـ ٥/ ص ١٧٤.
4 أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢٠٠٣م، ص ٤٢١.
5 تفسير القرطبي، ١٣٧٢هـ، جـ٢/ ص ١٠١.
6 ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٧/ ص ٣١١.
7 المبرد، الكامل في الأدب، دار الفكر، جـ١/ ص ٢٥٨.
8 أبو عبيدة التيمي، أيام العرب، ١٩٨٧م، ص ٣٦٠ و٤٩٩.

في عدد اشهر الحمل التي يمكن أن يولد فيها الطفل حيا متفاوتا بينهم، وذكر أن عمر أتي بامرأة ولدت لستة أشهر فهم بها؛ فقال له عليّ: قد يكون هذا، قال الله عز وجل: (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا)(الاحقاف: من الآية١٥)، وقال: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ)(البقرة: من الآية٢٣٣)[1]، فالسنتان فيهما أربعة وعشرون شهرا، وستة اشهر للحمل، فعفا عنها عمر.

كما كانت النساء لهن عناية شاملة بالأطفال منذ الولادة، فكن لا يرضعن أبناءهن من الثدي حتى يتأكدوا من نظافته ويحلبوه قبل ذلك، ولا يرضعن أولادهن من الحليب إذا حاضت المرأة ونحو ذلك إذا مرضت خوفا عليه من الحليب أن يكون به شيء يضر الطفل، ويراقبن بكاء الطفل إذا كان من جوع ونحوه، فيطعمنه ولا تعمد الفطِنة منهن إلى هزه حتى يصاب بالدوار وينام[2].

(سئلت فاطمة عن بنيها أيهم أفضل؟ فقالت: الربيع، لا بل عمارة، لا بل أنس، لا بل قيس، وعيشي ما أدري، أما والله ما حملت واحداً منهم تضعاً، ولا ولدته يتناً، ولا أرضعته غيلاً، ولا منعته قيلاً، ولا أبته على ماقة. قال أبو اليقظان: أما قولها ما حملت واحداً منهم تضعاً، فتقول: لم أحمله في دبر الطهر وقبل الحيض. وقولها: ولا ولدته يتناً، وهو أن تخرج رجلاه قبل رأسه. ولا أرضعته غيلاً، أي ما أرضعته قبل أن أحلب ثديي. ولا منعته قيلاً، أي لم أمنعه اللبن عند القائلة. ولا أبته على ماقة، أي أنمته وهو يبكي)[3].

ولما وقع الطاعون بالشام خطب عمرو بن العاص الناسَ، فقال: أن هذا الطاعون رجْس، فتفرقوا عنه في هذه الشعاب، وفي هذه الأودية[4].

ولقد كان العرب يعرفون اثر دخول الحبشة إلى مكة، فقد نقلوا معهم الأمراض المختلفة، فنقلوا الجدري والحصبة، لهذا كان أهل مكة يرسلون أبناءهم إلى البادية

---

[1] ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ٢/ ص ٨٣.

[2] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ ١/ص ٢٨٦، والمبرد، الكامل في الأدب، دار الفكر، جـ١/ ص ٢٥٨.

[3] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ١٧/ ص ١٨٥، والجاحظ، البرصان، ١٩٨٢م، ص ٩٠.

[4] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٢/ ص ٣٧٨.

ليتجنبوا الأوبئة، كذلك ظهر في الجزيرة العربية أشجار المرار مثل: الحرمل والحنظل والعشر[1].

وكانت العرب تخاف من عدوى بعض الأمراض، منها: الجذام والبرص والجرب والصفر والعدسة والجدري[2]. ويظهر مفهوم العدوى واضحا عند الإنسان والحيوان، والأمراض التي تنتقل بينهم، قال ذؤيب بن كعب[3]:

جانيكَ مَن يَجني عَلَيكَ وَقَد   تُعدي الصِحاحَ مَبارِكَ الجُربُ[4]

لكن ذلك لم يكن يعني نهاية الأمر بالحجر الصحي أو النفي للمرضى، لكن كان الأطباء يعالجون بعض هذه الأمراض فقد أصيب مُعَيقيبُ بن أبي فاطمة الدَّوسي بالجذام، فأحضر له عمر رضي الله عنه الأطباء، فعالجوه، حتى وقف المرض[5].

٥- علّم الوراثة:

وكان العرب يعرفون من علّم الوراثة ما يجعلهم يتفوقون على غيرهم من الأمم حولهم، فكانوا يستطيعون أن ينسبوا الرجل لامه وأبيه، فكان العرب لديهم قافة يستطيعون أن ينسبوا الرجل القصير للرجل الطويل والأبيض للأسود، وذلك بالنظر فقط للقدم[6]. قال ابن عبد ربه: (وكانت في العرب خاصة القِيَافة، لم يكُن في جميع الأمم أحدٌ ينظُر إلى رجُلين أحدُهما قصِير والآخر طويل، أو أحدهما أسْود والآخر

---

1 ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩٢، جـ١/ ص ٤٦، والأزرقي، تاريخ مكة، ١٩٨٣م، ص ١٤٨.

2 الجاحظ، البرصان، ١٩٨٢م، ص ٥٣ و٧٢.

3 ذؤيب بن كعب، ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، من الشعراء الأوائل، قرنه الأصمعي بالمهلهل وضمرة الكناني، وهو من أقرباء الشاعر العنبر بن عمرو بن تميم (هو ابن أخيه كعب بن عمرو). شارك في يوم تياس (وهو موضع إلتقت فيه قبائل من بني سعد بن زيد مناة وقبائل من بني عمرو بن تميم) ونظم قصيدته (الوحيدة المعروفة عنه) في ذلك اليوم. وكان أبوه (كعب بن عمرو) رئيس بني عمرو وكان ذؤيب حامل لواءهم. كان حكماً في سوق عكاظ بعد سعد بن زيد مناة وحنظلة بن مالك بن زيد. وقال عنه العيني: وهو أول من أطال الشِعر بعد مُهلهل.

4 الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ١٣/ ص ٢٥١.

5 ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٤/ ص ٤٤٧.

6 أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ١/ ص ٧٤.

أبيَض، فيقول: هذا القصير ابن هذا الطويل، وهذا الأسود ابن هذا الأبيض، إلا في العَرب)[1].

وكان بعض القافة لهم إلمام ببعض الصفات المتوارثة من الآباء للأبناء، وكان بنو أسد من امهر واشهر العرب في القيافة، فكانوا يقولون: (لا يخطئ الرجل من أبيه خلة من ثلاث: رأسه أو صوته أو مشيته)[2]، وهذا ما توصل إليه العلّم الحديث من نقل الصفات الوراثية أو بعضها من جيل إلى جيل. ليس هذا فحسب بل أن الأقرباء يشتركون ببعض الصفات السلوكية والخلقية، قال امرؤ القيس:

وتَعرفُ فيهِ مِن أبيهِ شَمائِلاً وَمِن خالِهِ أو مِن يَزيدَ وَمِن حُجَر[3]

وكان بعض العرب يعرفون صحة النسب بوراثة بعض الصفات السائدة في قبيلة أو عائلة ما، مثل البرص، أو العمى، أو الطرم، ونحو ذلك، وحتى من الشكل أو الصوت، فكان بنو عوف إذا كبروا يصابون بالعمى، فكان أرطاة[4] يعير شبيب بن البرصاء أنّه كبر ولم يعمى كغيره من بني قومه فقال:

إلا مبلغ فتيان مرّةَ أنّه هجانا ابن برصاء اليدين سبيب

وفي آل عوف من يهود قبيلة تشابةَ منها ناشئون وشيب

فما ذنبنا أن أم حمزة جاورت بيثرب أتياساً لهن نبيب

إن رجالاً بين سلع وواقم لأير أبيهم في أبيك نصيب

فلو كانت عوفياً عميت وأسهلت كداك ولكن المريب مريب

1 ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ٣/ ص ٢٧٩.

2 ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ ٤/ ص ١١٩.

3 ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١٩٩٤م، ص ٦٠.

4 أرطأة بن سهيّة، أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك الغطفاني المري، أبو الوليد ابن سهية (وهي أمه) بنت زامل. ؟ - ٦٥ هـ/؟ ٦٨٥ م، وقيل: كانت أمة لضرار بن الأزور وصارت إلى زفر وهي حامل فجاءت بأرطاة، شاعر من فرسان الجاهلية، معمر عاش قريباً من نصف عمره في الإسلام وأدرك خلافة عبد الملك بن مروان ودخل عليه وعمره ١٣٠ سنة، وأنشده من شعره، وعمي قبل وفاته.

ثم مات أرطاة وعمي شبيب، فكان يقول بعد ذلك: ليت أرطاة عاش حتى يراني أعمى فيعلم أنني عوفي[1].

وتزوج رجل من الأعراب امرأة من قومه، وكان يطمع أن تلد له ولد، فولدت له فتاة فهجرها، فكان أن مر بجانب خبائها فسمعها تقول:

ما لأبي حَمزَةَ لا يَأتينــا   يَظلُّ في البيتِ الذي يَلِينا

غَضبَانَ أن لا نلِدَ البَنِينا   تَاللّهِ ما ذلكَ في أيْدِينـــا

وإنَّما نأخُذُ ما أعْطِينا[2]

فعلم أنه ظلمها، وكأنه يعرف أن السبب في جنس الذكر أو الأنثى هو الرجل نفسه،

وكان العرب يعلمون من علم الوراثة ما يجعلونهم يفسرون اختلاف الإشكال والألوان، فعندما جاء رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يبلغه أن زوجته ولدت له غلام اسود، علم الرسول صلى الله عليه وسلم أن الغلام من نسب قديم، فقال أن كان له ابل، فأنعم، فسأله أن كان بها أسود وأبيض وأورق، فأنعم، فقال له فمن أين أتت، إنما هو عرق فيها، ولعل ما ولدت زوجك من عرق نزع. ففسر ذلك بعلم الوراثة[3].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال لأصحابه، ليس للأب والأم نصيب من ابنهما إلا شيء نادر وبسيط، فاستغرب رجل وبين إنما ينجب الرجل ولده أو بنته، وليس يتجاوزا الشبه بأمهم أو أبيهم، فقال له: «لا تقل كذلك؛ أن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينهما وبين آدم، أما قرأت هذه الآية: {فِي أيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} (الانفطار:٨) »[4]. فبين أن الوراثة لها امتداد على التاريخ وان لكل الجنس البشري نصيب في الوراثة وليس الأب والأم فقط.

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، ١٣/ ص ٣٧، وديوان أرطاة بن سهية، ٢٠٠٣م، البحر الطويل.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٦٨م، جـ١/ ص ١٠٨ وجـ١/ ص ٥٨١.

[3] المسعودي، مروج الذهب، ١٩٨٨م، جـ٢/ ص ١٧٠.

[4] الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٤٠٧هـ،جـ ٧/ ص ١٣٤، والطبراني، المعجم الكبير، ١٩٨٣م، جـ ٥/ ص ٧٤، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٢/ ص ٥٢.

وسئل عمر بن الخطاب قائفين عن طفل اختصم فيه رجلان فاختلط عليهم، فقالوا إنما اشتركا فيه، فضربهما عمر حتى اضطجعا، ثم قال:"ما كانت أرى أن مثل هذا يكون! وقد علمت أن الكلبة يسفدها الكلاب فتؤدي إلى كل فحل نجله"، فهذا إنما يدل على علم كبير بالوراثة وأصولها[1].

وكان الإسلام قد أمر بتغريب النكاح، فقد كان العرب يعرفون خطورة زواج الأقارب وما ينتج عنها من أمراض متشابهة مثل البرص والكساح والطرم وضعف الجسم، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"غربوا النكاح". وكان عمر بن الخطاب قد شاهد الضعف والمرض قد دب في بني السائب، فقال:"يا بني السائب إنكم قد أضويتم فانكحوا في الغرائب"[2].

ليس هذا فحسب بل نرى العرب يعرفون التميز الفريد في علم الوراثة حيث لا يتكرر التشابه بالبصمة بين إنسان وآخر، (روى يحيى بن وهب بن عبد الملك صاحب دُومة الجَنْدَل، عن أبيه، عن جده: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كتب إلى أبي كتاباً، ولم يكن معه خاتم، فختمه بظفره)[3].

٦- الطب البيطري:

أهتم العرب اهتماما كبيرا بحيواناتهم، فقد كان عدد كبير منهم يملك حيوانات يعتمد عليها في سد حاجاته، وبعضهم اعتمد عليها كليا، وقد كانت عندهم بمكانة الأبناء، فاهتموا بها وحرصوا عليها اشد الحرص من الضياع أو المرض أو الموت، وقد كان للعرب تجربة طويلة في تربية الحيوانات، وقد عرفوا أنواع الأمراض التي تصيبها، كما نقلوا معارفهم فيما بينهم، كما نقلوا عن غيرهم، وكان العرب كما يعرفون الطب البشري يعرفون طرق علاج الحيوانات، وكانوا في أمس الحاجة

---

1 ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ٢/ ص ٨٣.

2 **الشطي**، د. أحمد شوكت، مجموعة أبحاث عن تاريخ العلوم عند العرب في الحضارة العربية الإسلامية والمجتمع العربي، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦٤م، ص ٨٦.

3 ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٤٠٤.

لذلك، فكانوا يمتلكون قطعانا من الماشية من ضأن وابل وأبقار، إلى جانب الخيول، وكانت هي ثروتهم ورأس مال أكثرهم، فظهر بينهم المختصون بعلاج الحيوانات فكان العاص بن وائل بيطاراً يعالج الخيل، وكان الحكم بن العاص خصاء يخصي الغنم، وكذلك حريث بن عمرو بن حريث، وكذلك قيس الفهري أبو الضحاك بن قيس، وكذلك سيرين أبو محمد بن سيرين[1].

وكان العرب يعرفون بالخيل وعلاجها وتصرفاتها ونسبها الشيء الكثير، سئل رجل من بني أسد: أتعرف الفرس الكريم؟ قال: (أعرف الجواد المبرّ من المبطيء المقرف. أما الجواد المبر فالذي لهز لهز العير وأنف تأنيف السّير، الذي إذا عدا اسلهبّ وإذا قيّد اجعلب وإذا انتصب اتلاب. وأما المبطيء المقرف فالمدلوك الحجبة الضخم الأرنبة الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذي أن أرسلته قال: أمسكني وإن أمسكته قال: أرسلني. وأنشد الرياشيّ:

كمهْر سَوءٍ إذا رقّعت سَيْرَتَه   رامَ الجماح وإن خَفّضته حَرَنَا)

وكان سلمان بن ربيعة الباهلي، وهو سلمان الخيل، (أبصر الناس بعنق دابة، وأبصرهم بإقراف وهجنة، وأعلمهم بخارجي وعريقٍ وبهم وبعير، ويعرف السابق من المصلى، قالوا: وكان ابن أقيصر على مثاله يحتذي وإياه يحكى)[2].

وكان أبو داود الإيادي، وطفيل الغنوي، والنابغة الجعدي، أعلم العرب بالخيل وأوصفهم لها لا يقاربهم أحد، فأما أبو دواد فلأنه كان يتولى أمر خيل المنذر بن النعمان بن المنذر فكان له معرفة واسعة بحكم عمله. وأما طفيل فإنه كان يركبها منذ كان طفلا إلى أن كبر. وأما الجعدي فلكثرة ما سمع ذكرها في أشعار الشعراء، فأخذ عنهم[3]. فكان علم العرب بالخيل والحيوان ناتج من ثلاثة أمور الممارسة، والتجريب، والنقل عن الغير، وكلها أساليب علمية في تحصيل المعرفة بعلم الحيوان، فليس غريب أن يكون للعرب معرفة بأنساب الخيل وأحوالها وقد عايشوها مثل أبناءهم.

---

[1] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢٠٠٣م، ص ١٢٩٤.
[2] الجاحظ، البرصان، ١٩٨٢م، ص ٣٣١.
[3] الأصفهاني، الأغاني، ١٩٩٢م، جـ ١٥/ ص ٢٣٨، وجـ ١٦/ ص ٤٠٥.

وإذا خافوا أن تأكل الإبل فوق طاقتها فتهلك خاطوا مشافرها كي لا ترتع في ذلك المكان أو نقلوها إلى مكان آخر ليس فيه زرع[1]. ومن البياطرة الذين اشتهروا بالإبل الحارث بن كَلَدة، ومالك بن زيد مناة، وحُنَيْف الْحَنَاتم[2].

وكانوا إذا باعوا الحوار أو مات وخافوا انقطاع لبن أمه أو ألقت ما في بطنها مبكرا، قاموا بعملية صعبة، وتدل على ذكاء وتقدم في معرفة سلوك الحيوان الذي كانوا سباقين فيه على العالم، فكانوا يحضرون جلد شاة ويحشونه تبنا، ويضعون المشيمة فيه، ثم يغلقون انف الناقة، ويحشون حياءها بخرق، لمدة يوم أو نحوه، ثم يخرجون الخرق منها ويضعون الجلد تحتها ويفتحون انفها فتشمه، فتضن أنّه ولدها وتدر عليه[3].

وكان العرب إذا مرض لهم بعير فأعجزهم مرضه عن أن يرد الماء والكلأ، ادخلوه بين بعيرين يرد بوردهما وينهل بمنهلهما[4]. وتعالج الإبل المدبورة من خلال شده بحبل يربطون يديه مع قدميه، فيقع لجنبه ولا يستطيع الحراك، ثم تداوى دبرته فلا يمتنع[5]. وتطلى الإبل الجرب بالقار والقطران لقتل الجرب[6]. ورماد الرمث، وهو مادة يطلى بها البعير لعلاج الجرب، ويطلى أيضا بخضخاض ردي القت[7].

ويداوى الجمل الذي أصابه الخوار بالحرمل[8]. وتحمى أنوف الإبل من الذباب وغيرها من الحشرات بواسطة الكمامة، وتوضع على أنفها، وتكون من الصوف وتلف بخيوط حول رقابها[9]، وتعالج الإبل التي أصابها القرع أو الجدري، بأن يربط

---

[1] الجاحظ، البرصان، ١٩٨٢م، ص ٢٨٩.
[2] النيسابوري، مجمع الأمثال، دار المعرفة، جـ١/ ص ٧٨.
[3] المبرد، الكامل في الأدب، دار الفكر، جـ١/ ص ٧٥، وأبو تمام، نقائض جرير والأخطل، ١٩٢٢م، ص ١٠٩.
[4] أبو عبيدة التيمي، أيام العرب، ١٩٨٧م، ص ٣٨٧.
[5] أبو عبيدة التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ١٩٩٨م، جـ١/ ص ٣٠.
[6] المصدر نفسه، جـ١/ ص ١٨٧.
[7] المصدر نفسه، جـ١/ ص ٢٣٩.
[8] المصدر نفسه، جـ٢/ ص ١١٧.
[9] المكان نفسه، و جـ ٢/ ص١٥٠)

وقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يَجُبّون أسنمة الإبل، ويقطعون أليَات الغنم، فقال: «ما يقطع من البهيمة وهي حَيَّة فهو ميتة»[1]. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يستخدم أي حيوان في استخلاص العلاجات، وسأله طبيب عن ضفدع يجعلها في دواء فنهاه[2].

وجرى نقاش بين عمر بن الخطاب وسلمان بن ربيعة الباهلي في معرفة عراب الخيل، فأمر سلمان بطست فيه ماء فوضع في الأرض ثم طلب أن تقدّم الخيل إليه فرساً فرساً، فكل التي ثنت سنبكه وهو يشرب هجّنه، وما شرب ولم يثن سنبكه عرّبه. وذلك لأنَّ أعناق الهجن قصيرة فلا تصل إلىَ الماءَ إلا بهذا الشكل[3].

أتى أعرابيّ عبد الله بن الزبير يسأله، فشكا إليه نقب ناقته واستحمله على ناقة أخرى؛ فقال له ابن الزبير: (أرقعها بسبتٍ واخصفها بهلب وافعل .؛ فقال الأعرابيّ: إني أتيتك مستوصلاً ولم آتك مستوصفاً، فلا حملت ناقة حملتني إليك! فقال: أن وصاحبها)[4]، فكانوا يعالجون نقب خف الناقة بقطعة جلد سميكة ويخيطونها بخفها حتى تشفى.

الطب بعد الإسلام:

ولم تنته معارف العرب في الطب قبل الإسلام عنها بعد الإسلام، بل استمرت وشجع الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على التداوي وطلب العلاج، وقبل المعرفة الطبية من الناس جميعا، ولذلك استمر الأطباء يؤدون دورهم بعد ظهور الإسلام من غير حرج ولا مضادة، واخذ المسلمون بمعارف الأمم المجاورة واستفادوا من علومهم الطبية دون حرج، ولهذا ظهر أطباء غير مسلمين، وظهر

---

[1] سنن الترمذي، دار أحياء التراث العربي، جـ ٤/ ص ٧٤، ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٥/ ص ٣٢٨.

[2] أبو عبد الله الدمشقي، إعلام الموقعين، بيروت، جـ ٤/ ص ٣٩٥.

[3] ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ١/ ص ٢٤٤، وابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ١/ ص ١٣٦.

[4] ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ٣/ ص ١٥٨.

أطباء غير عرب وهذا دليل على قبول المعارف الطبية الدنيوية ولم يشترط بها أن تكون من كتاب أو سنة، فالقرآن لم يكن كتابا في الطب وعنده تنتهي كل غاية.

وقد طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من المسلمين أن يتعالجوا، واعتبره من القضاء والقدر فسأله بعض الصحابة عن مشروعية الدواء فقال أنّها من قدر الله[1]. وتنبه المسلمون أن الدواء ربما كان خطيرا على الإنسان بسبب ما يتركه من أعراض جانبية فكان من استقل بدائه لا يتعالج خوفا من أن يورث الدواء الداء[2]. كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لكل داءٍ دواءٍ عرفه الإنسان أم جهله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما انزل الله من داء إلا أنزل له دواء، علّمه من علّمه وجهله من جهله"[3].

ولم تكن كل الأدوية توصف بطريقة علّمية، فكان البعض يخلط بينها وبين بعض الطقوس الروحية، ورغم أن الأمر مفيد في طمأنة المريض، لكنه لم يكن من أصل العلاج، لكن العلّم الحديث يضيف العامل النفسي للعلاج مستقلا، أو مع العلاج نفسه، ونرى العرب قد برعوا في الرقية، فعندما لدغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أغمي عليه فرقاه من حوله فلما أفاق قال لهم: «إن الله عزّ وجلّ شفاني وليس برقيتكم»[4].

لكن نلاحظ أن رقية النملة، والنملة مرض جلدي ليست عبارة عن طلاسم، بل أنّها علاج فعال للمرض، وذلك بأن يحضر عود كركم، ويدلك على حجر بخل خمر من خمر ثقيف، ويطلى على النملة، ولهذا طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من الشفاء بنت عبد الله أن تعلّم الرقية لحفصة، إلى جانب ما تعرفه من رقى[5].

---

[1] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٤٤٩ وجـ ١/ ص ٥٤٤ وجـ ٤/ ص ٧٢٣.

[2] ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ٣/ ص ٢٩٦.

[3] سنن البيهقي، ١٩٩٤م، ٩/ ص ٣٤٣، و**القضاعي**، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله، ت ٤٥٤هـ، مسند الشهاب، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، جـ٢/ ص ١٧، وابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلّمية، جـ ٧/ ص ٣٠٠.

[4] القضاعي، مجمع الزوائد، ١٩٨٦م، جـ ٥/ ص ١٠٩، والطبراني، المعجم الكبير، ١٩٨٣م، جـ ٢/ ص ٢٨٧، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٣٦٤.

[5] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٦/ ص ١٦٦.

ومن أنواع العلاجات التي استخدمها العرب ماء الكمأة وهي دواء للعيون عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: (الْكَمْأةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ)[1]، ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن البقر دواء للحلق، (ألبانها شفاءٌ، وسمنها دواءٌ)[2].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عطوفا على أولاد المسلمين، فعندما كانت نساء العرب تقوم بالضغط على حلق الصبية لفقء الأورام الناتجة عن التهاب اللوزتين، نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم باستخدام العلاج، فقال: (عَنْ أمِّ قَيْسٍ قَالَتْ دَخَلْتُ بِابْنٍ لِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أعْلَقْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْعُذْرَةِ فَقَالَ عَلَى مَا تَدْغَرْنَ أوْلادَكُنَّ بِهَذَا الْعِلاقِ عَلَيْكُنَّ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ[3] فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أشْفِيَةٍ مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ يُسْعَطُ مِنَ الْعُذْرَةِ وَيُلَدُّ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ)[4].

كذلك أحضر المسلمون للرسول دواء من الحبشة عندما مرض مرض موته، وكانوا يعتقدون أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أصابه ذات الجنب[5]. وكانوا يستخدمون السفرجل لعلاج الصدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أكل السفرجل يذهب بطخاء القلب"[6]. بينما كانوا يستخدمون السنا والشبرم للإستمشاء، وهو تحريك الأمعاء ويعمل لتنظيفها من الأمراض[7].

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، ١٩٩٥م، حديث رقم ٤١١٨، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ١/ ص ٥٤٤.

[2] **ابن الجعد**، علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي، ت ٢٣٠هـ، مسند ابن الجعد، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ١٩٩٠م، جـ١/ ص ٣٩٣، والطبراني، المعجم الكبير، ١٩٨٣م، جـ ٢٥/ ص ٤٢، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٦/ ص ٢٧٣.

[3] وهو الكُسْتُ، بالضمّ، قال الصّاغانيّ: هو الذي يُتَبَخَّرُ به، لغَةٌ في الكُسْطِ"القُسْط"، كلّ ذلك: عن كُراع، وفي حديثِ غُسْلِ الحَيْض"نُبْذَةٌ من كُسْتِ أظْفَار"هو القُسْطُ الهنديّ: عُقَّارٌ معروفٌ، (الزبيدي، تاج العروس، مادة **كست**).

[4] البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧م، جـ ٥/ ص ٢١٥٩، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٦/ ص ٣٩٤.

[5] ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩٢، جـ ٤/ ص ٢٥٥.

[6] الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٤٠٧هـ، جـ ٥/ ص ٤٥، والقالي، الأمالي، بيروت، جـ٢/ ص ٢٧٠.

[7] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٧/ ص ٣٠٠.

واستخدم العرب الكمأة للشفاء من السّم. وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة بأكل الزبيب وقال:"كلوا فنعم الطعام الزبيب، يذهب النصب، ويشد العصب، ويطفئ الغضب، ويصفي اللون، ويطيب النكهة، ويرضي الرب"[1].

وقال:"عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية يسعط به من العذرة، ويلد به من ذات الجنب"[2]. يريد القسط الهندي، وهو الذي تسميه العامة الكست، بينما كانوا يعتبرون الحبة السوداء دواء لكل الأمراض عدى الموت، وتسمى الشونيز، وكانوا يكتحلون بالاثمد ويعتقدون أنّه يحد البصر وينبت الشعر[3].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة بزيت الزيتون للشفاء من الباسور إذا استخدم دهونا، قال تعالى: (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ) (المؤمنون:٢٠)[4]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"خير ما تداويتم به الحجامة والقسط العربي، ولا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة[5]"[6].

وكانت العرب تستخدم السعوط لفتح النفس، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعط، ويستخدم التلبينة لعلاج بعض الأمراض، رغم كراهية طعمها للمريض وهي حساء يعمل من دقيق ونخالة للمريض؛ (عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النبيّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّها كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَتْ كُلْنَ مِنْهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ)[7].

---

[1] أبو الفضل العسقلاني، لسان الميزان، ١٩٨٦م، جـ ٤/ ص ٤٢٥.

[2] مسلم، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، جـ ٤/ ص ١٧٣٤، والبخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧م، جـ ٥/ ص ٢١٥٩.

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٧/ ص ٣٠٠-٣٠١.

[4] المصدر السابق، جـ ٧/ ص ٣٠٢.

[5] يعني التهاب الحلق، حيث كانت النساء تضغط على الحلق لتفقئ اللوزتين.

[6] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ١٩٩٠م، جـ ٤/ ص ٢٣٣، وسنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، جـ ٤/ ص ٣٨٨، وابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٧/ ص ٣٠٤.

[7] البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧م، جـ ٥/ ص ٢٠٦٧.

وكانت حَمْنَة بنت جَحش تُسْتَحيضُ حَيضاً كثيرا، فأتت النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «أنعَتُ لك الكُرسُفَ، فإنه يذهب الدم». قالت: هو أكثر من ذلك. قال: «فَتَلجَّمِي». قالت: هو أكثر من ذلك: قال «فاتخذي ثوباً». قالت: هو أكثر من ذلك، إنما أثُجُّ ثجًّا: فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «سآمرك أمرين أيَّهما صنعتِ أجزأ عنك»... وذكر الحديث[1]. فكان الدواء على ذلك أول العلاج وليس آخره، ويأتي بعده العمل الجراحي.

والختان قديم عند العرب للرجال والنساء على حد سواء[2]. وبسبب الختان قد تنقص الشهوة عند النساء والرجال على حد سواء، وقد كان العرب يقصدون بختان نسائهم العفاف، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم نبه إلى خطورة الأمر كون علاقة الرجال والنساء تقل إلى العدم مع الأيام، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن المغالاة في ختان النساء ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وسلم للخاتنة:"إذا ختنت فلا تنهكي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل"[3]. قال الجاحظ: (كأنه أراد صلى الله عليه وسلم أن ينقص من شهوتها بقدر ما يردّها إلى الاعتدال؛ فإن شهوتها إذا قلّتْ ذهبَ التمتُّع، ونقصَ حُبُّ الأزواج، وحبُّ الزّوج قيْدٌ دون الفجور، والمرأة لا تكونُ في حالٍ من حالات الجماع أشدَّ شهوةً منها للكَوْم الذي لقحتْ منه)[4].

وكان العرب يعرفون أعراض الأمراض وما يرافقها من ارتفاع في الحرارة[5]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما مثل العبدِ المؤمن حين يصيبه الوَعْك - أو: الحُمَّى - كمثل الحديدة المُحْمَاة تدخل النار، فيذهب خَبَثُها ويبقى طِيبُها»[6]. ومع هذا ينبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خطورة ارتفاع الحرارة الشديدة على الإنسان

---

[1] سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، جـ١/ ص ٢٢٢، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٦/ ص ٧٣.

[2] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ ٧/ ص ٢٧.

[3] سنن البيهقي الكبرى، ١٩٩٤م، جـ ٨/ ص ٣٢٤.

[4] الجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ ٧/ ص ٢٨.

[5] يقوم الجهاز المناعي برفع الحرارة لينشط وتزداد فاعليته، بينما يصبح جسم الإنسان بيئة صعبة للميكروبات.

[6] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ١٩٩٠م، جـ١/ ص ١٤٥، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٣٢٠.

خاصة الدماغ، لهذا كان يوصي الصحابة بتبريد الحمى بالماء فقال: «الحمى من فور جنهم فأبردوها عنكم بالماء»[١].

وكانوا يعرفون الطبيعة العامة للأمراض، (قال عثمان بن عفان:"سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء الجنون والجذام والبرص")[٢].

وقد أباح الإسلام للنساء العمل في الطب والتمريض، ولهن دوران: الأول في الحرب، والثاني في السلم، وكانت كل الجيوش إذا خرجت أخرجت معها النساء[٣]. وكانت أم سلمة تمرض المسلمين في المدينة[٤].

وكانت رفيدة تعالج المرضى في خيمة نصبت لها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعالجت بها سعد بن معاذ[٥]. وكانت أم عطية وهي امرأة من أهل يثرب تطبب في المدينة[٦]. وكانت زينب طبيبة بني أود خبيرة في مداواة العيون والجراحات حتى بلغت شهرتها العرب[٧].

وقد ذكرت لنا بعض مصادر التاريخ أن النساء لم تكن تقاتل في الحرب، لكن النساء اللواتي ذكرن قمن بتمريض الجنود، وتقوم بسقاية الجرحى وتضميد جروحهم، ونقلهم حتى المدينة، منهن حمنة بنت جحْش كانت من المهاجرات وشهدت أحداً فكانت تسقي العطشى، وتحمل الجرحى وتداويهم[٨]. ومعاذة الغفارية[٩]. وأم زيَاد

---

1 البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧م، جـ٣/ ص ١١٩٠، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٣/ ص ٣٨٧.

2 مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، جـ٣/ ص ٢١٧، وابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٧/ ص ٣٠٠-٣٠١.

3 ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٢٠١.

4 المصدر نفسه، جـ٢/ ص ٣٩٥.

5 ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩٢م، جـ٣/ ص ١٨٨.

6 فروخ، تاريخ العلوم، دار العلم للملايين، ص ٢٧٣.

7 **السعدي**، أحمد بن القاسم بن خليفة **ابن يونس**، ت ٦٦٨هـ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، جـ١/ ص ١٨١، **ومعروف**، د. ناجي، أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٢٠.

8 ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ ٦/ ص ٧٢.

9 المصدر نفسه، جـ ٦/ ص ٢٧١.

الأشْجَعِيَّة، جدة حَشْرَج بن زياد الأشجعي[1]. وأم كبشة - امرأة من عُذْرَة قضاعة[2] - ورُبَيِّعَ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ[3].

وكان العرب يعرفون خطورة الأمراض السارية، والتي كانت تفتك بالآلاف دفعة واحدة، وأوصى النبيّ صلى الله عليه وسلم المسلمين بتجنب العدوى فقال:"فر من المجذوم فرارك من الأسد، وأتاه رجل مجذوم ليبايعه بيعة الإسلام، فأرسل إليه من بايعه مخافة أعدائه"[4]. وقال:"إذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه، وإذ وقع بأرض ولستم بها فلا تدخلوها"[5].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن دخول أرض بها الطاعون أو الخروج منها خوفا من انتقال العدوى واعتبره من أشد العذاب الجماعي: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ)[6].

ورغم أن العرب لم يذكروا الميكروبات بشكل علني لكنهم نبهوا إلى خطرها، فكانوا يعرفون أنّها تنتقل عبر الهواء والماء إلى الطعام، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين بتغطية الأوعية والقداح بخمار أو غطاء، (عن أبي حميد الساعدي: أنّه أتى النبيّ بقدح لبن من النّقِيع ليس بمُخَمَّر، فقال النبيّ: «ألا خَمَّرْته ولو أن تَعْرُضَ عليه عُوداً»)[7]. كما نهى عن الشرب في الأوعية غير المغطاة[8].

---

[1] المصدر نفسه، جـ ٦/ ص ٣٤٣.
[2] المصدر نفسه، جـ ٦/ ص ٣٩٦.
[3] البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧م، جـ٣/ ص ١٠٥٦.
[4] مسلم، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، جـ ٤/ ص ١٧٥٢، وابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ ٤/ ص٦٩، والحميري، الحور العين، ٢٠٠٣م، ص ٤٠٨.
[5] أحمد، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، جـ١/ ص ١٧٧، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص٦٥٨.
[6] البخاري، صحيح البخاري، ١٩٩٥م، حديث رقم ٣٢١٤.
[7] أحمد، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، جـ٣/ ص ٣٧٠، وابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٣٤٩.
[8] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٣٢٦.

كما نهى عن الشرب في النقِير والمُزَقّت والدُبَّاء والحنتم لخطورة هذه الأوعية وعدم قدرتها على حفظ الأطعمة والإشربة، بينما أمرهم أن يشربوا في الجلد المُوكأ عليه، فإن ظهر فيه شيء فأمرهم أن يهريقوه[1]. وقال: (... وأوْكُوا أسقِيتكم وخَمِّروا آنيتكم، وأطفئوا سُرُجكم، فإن الشيطان لا يفتحُ غلقاً، ولا يُحلُّ وكاءً، ولا يكشفُ غِطاءً، ..)[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: (غطوا الإناء وأوكئوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء)[3].

وكانوا يعرفون خطورة زواج الأقارب؛ لهذا كانوا يفضلون الزواج من الأغراب رغم شدة الممانعة بين القبائل أن تتزوج بناتهم من خارج القبائل، وفي أقوال أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين بتغريب النكاح[4]. وكان عمر بن الخطاب يقول لبني السائب وهم كثيرا ما يتزوجون من نفس القبيلة: (يا بني السائب، إنكم قد أضويتم فانكحوا في النزائع)[5].

وكان علم الطب عند العرب واسعا، فكان يشمل مختلف المجالات، ومنه ظهر الاهتمام بالفم والأسنان، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة باستخدام السواك لنظافة الأسنان، وهو الحل الأمثل لتجنب كل مشاكل الفم والأسنان، فقال: «ما لي أراكم تأتوني قُلحاً استاكوا، لولا أن أشقّ على أمتي لفَرَضْت عليهم السِّوَاك كما فرضت عليهم الوضوء"[6].

---

[1] المصدر نفسه، جـ ٤/ ص ١٤٣.
[2] **الطبراني**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت ٣٦٠هـ، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسين، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، جـ ٢/ ص ٢٦٩، والجاحظ، الحيوان، بيروت، جـ ٥/ ص ١٢١.
[3] مسلم، صحيح مسلم، بيروت، جـ٣/ ص ١٥٩٦.
[4] **ابن حجر العسقلاني**، أحمد بن علي بن حجر، ت ٨٥٢ هـ، تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٩٦٤م، جـ٣/ ص ١٤٦.
[5] ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، جـ ٤/ ص ٤.
[6] سنن البيهقي الكبرى، ١٩٩٤م، جـ١/ ص ٣٦، ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ١/ ص ٢٩٢.

وكانت عائشة رضي الله عنها تنصح بالسواك وما تفتأ تذكر إيجابياته فقالت: (السواك مطهرة للفم،..... وينزع البلغم، ويجلو البصر، ويذهب بالحفر، ويشد اللثة، ويفصح اللسان)[1]، ومن فوائد السواك (يُبيّض الأسنان، ويُصقي الأذهان، ويُطيّب النكهة، ويطفئ المِرّة، ويُنشّف البلغم، ويَشُدّ اللثة، ويُقوّي العُمور، ويجلو البصر، ويُحدّ النظر، ويفتح السُّدَدَ، ويُشهّي الطعام)[2]. فكانت فوائده تزيد على نظافة الفم إلى باقي الجسد.

ومن المساويك التي استعملها العرب أنواع كثيرة، الأراك، وقصب السكر، وأصول السوس، وعود المَحلب، وعُروق الإذخِر، وعُقَد العاقِرْقَرحا[3]. والبَشَام، والضَّرْو، والعَتَم، والعُرجون، والجريد، والإسحِل[4].

وأشهر المساويك الأراك يؤخذ العود من فروعه وعروقه وصرعه، والصرع الجذر الهوائي، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستاك بالصرع، ومن الشجر الطيب الذي يؤخذ منه المساويك البشام، الواحدة بشامة، قال جرير:

أتنسَى إذْ تودّعُنَا سليمَى   بفرع بشامةٍ سقيَ البشامُ

ومن شجر المساويك الأسحل، وهو أشدها استواء عيدان وألطفها، ومنها الرند، وهو طيب الرائحة، ومنها الضرّ، وهو طيب الريح والطعم، أفضل المساويك لنظافة الفم وتبييضا للأسنان الستور، وفيه شيء من مرارة مع لين[5].

كما كان تخليل الأسنان واحدا من طرق الحفاظ على الأسنان، وكان يرتبط عادة مع السواك، فكان العربي أول ما يبدأ به يومه السواك، وأول ما ينهي طعامه يعمد إلى تخليل أسنانه بعود، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تخللوا فإنه نظافة،

---

[1] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢٠٠٣م، ص ٥٢٢.
[2] الوشاء، محمد بن أحمد بن إسحاق، ت ٣٢٥هـ، الموشى، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ٣٥٨.
[3] المصدر نفسه، ص ٣٥٨.
[4] الجاحظ، البيان والتبيين، ٢٠٠٣، ص ١١٤٧.
[5] القزويني، التدوين في أخبار قزوين، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨٨.

والنظافة من الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة)[١]، وكان عمر يقول: عليكم بالخشبتين، يعني السواك والخلال[٢].

إضافة إلى ذلك عرف العرب طرقا للحفاظ على الأسنان التي أصابها التسوس، أو تعرضت للتخلخل والسقوط، فكان عثمان بن عفان يشد أسنانه بالذهب[٣].

كما أهتم الإسلام اهتماما كبيرا بالطهارة والنظافة بل أن كل عبادة تحتاج إلى الطهارة بشكل أو بآخر، ليس هذا فحسب بل أهتم الإسلام بنظافة الماء وأعطى له شروطا يكون بها بلا طعم أو لون أو رائحة، ونهى الإسلام عن الأكل قبل الغسول، ونهى عن النفخ في الإناء، كما نهى عن الاغتسال في الماء الراكد حتى لا يلوثه، ومنع التبول أو التبرز قرب مصادر الماء العذب[٤].

---

[1] الطبراني، المعجم الاوسط، ١٤١٥هـ، جـ٧/ ص ٢١٥.
[2] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٠٠٣م، ص ٥٨٥٨.
[3] ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩٣م، جـ٣/ ص ٤٩٠، واليعقوبي، تاريخ، ١٩٩٥م، جـ٢/ ص ١٧٦
[4] نسيمي، د. محمود ناظم، إبداع الرسول العربي في فن الصحة والطب الوقائي، الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مطبعة جامعة حلب، حلب، ١٩٧٧م، ص ٨٢٨-٨٢٩.

الفصل السادس: النقود والموازيين والمكاييل.

الموازيين:

تعدُّ الموازيين والمكاييل والنقود من الوسائل التي تساعد في تنظيم الحركة الاقتصادية وتشجيعها، ويمكن قياسه وضبطه، لهذا ظهرت الموازيين والمكاييل لتكون مقاييس للتبادل يتم التحاكم إليها وقت الحاجة، ولم تكن الموازيين ناتجة عن ابتكار لفرد معين بذاته، بل كانت الموازيين العربية ترتبط بالمكاييل والنقود ارتباطا كبيرا، وهي في الحقيقة مشتقة من بعضها[١]. أو بمعنى أدق مضاعفات وكسور لبعضها، لهذا نرى أن الموازيين تظهر في المكاييل والعملة والعكس، وقد صنعت جدولاً يبين النقود والموازين والمكاييل يوضح كيف اخذت من بعضها والحقته في آخر الكتاب.

ومن أنواع الموازيين العربية الأوقية والرطل، وكان الرطل اثنتا عشرة أوقية، والأوقية أستار وثلثا أستار، والاستار أربعة مثاقيل، ورُوىَ عن ابن عبّاس: المِثقالُ عشرُون قِيرَاطاً. والمثقال درهم وثلاثة أسباع الدرهم، والدرهم ستة دوانق، والدانق قيراطان، والقيراط طسوجان، والطسوج حبتان، والحبة سدس ثمن درهم، وهو جزء من ثمانية وأربعين جزء من درهم[٢].

والمثقال أصل متفق عليه في الجاهلية والإسلام بخلاف الدرهم[٣]. وكان المثقال الذهبي، يساوي المثقال الهرقلي منذ ما قبل الإسلام[٤]، وزنة المثقال درهم وثلاثة أسباع الدرهم[٥]، الأوقية سبعة مثاقيل[١].

---

[1] المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ، كتاب النقود القديمة الإسلامية، تحقيق الكرملي، الأب أنستاس ماري، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م، ص ٣٨.
[2] المناوي، محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين، ت ١٠٣١هـ، النقود والمكاييل والموازين، تحقيق السامرائي، رجاء محمود ، دار الرشيد، العراق، ١٩٨١م، ص ٣٦.
[3] المكان نفسه.
[4] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٩٤م، جـ١/ ص ٥٠.
[5] المناوي، النقود والمكاييل، ١٩٨١م، ص ٤٠.

والرطل نصف من، والمن مائتان وسبعة وخمسون درهما وسبع درهم، وبالمثاقيل مئة وثمانون مثقالا، وبالأواقي أربعة وعشرون أوقية[٢].

وكان العرب قبل الإسلام في مكة يضبطون الموازيين والمثاقيل والمقاييس، وكانوا قد اتخذوا لذلك وسائل، فكان في الكعبة قوالب من حديد تحدد مثقال الذهب وأوزان الفضة ومكاييل، ولزيادة التأكيد كانوا يكتبون الأوزان ويوثقونها وتحفظ في الكعبة[٣]. كما كانوا يعايرون الدنانير والدراهم بالشاقول، وهو ميزان للعيار[٤]. وكان للعباس عم الرسول صاع من الفضة في الجاهلية على قياس الفرس، وكان يستخدم للمواد السائلة، وسمي بالمكوك الفارسي[٥].

وكان الإسلام قد أحكم العمل بالموازيين بشكل كبير بسبب لزوم الوزن والكيل الشرعي في الزكاة والصدقات بحيث تتساوى بالبلدان وخلال الأزمان، كما كان ضرورة في أحكام العبادات مثل كفارة اليمين وفدية النسك، لهذا لا نزال نرى الخلفاء يحفظون الوزن ويعدلونه، ورغم اختلاف تسميته من بلد إلى آخر لكنه كان فرع من أصل يسعى به المسلمون إلى تحري موازيين الرسول[٦].

النقود:

لم تظهر عملة محددة قبل الإسلام بسبب تنوع مصادرها، وكون العرب على اغلب الظن لم يمتلكوا دورا لضرب العملة، ما عدا أطراف الجزيرة في اليمن والبحرين، وفي بلاد الشام والعراق، لهذا كان العرب يتعاملون بعمل مختلفة من الفرس والبيزنطيين وحمير، وكانت النقود لها أوزان مختلفة، ورغم معرفة العرب

---

[1] المصدر نفسه، ص ٣٧.
[2] المصدر السابق، ص ٤١.
[3] ابن النديم، الفهرست، ١٩٧٨م، ص ٧.
[4] علي، المفصل، ١٩٧١م، جـ ٧/ ص٦٢٨.
[5] المصدر نفسه، جـ ٧/ ص٦٣٢.
[6] **بطاينة**، د. محمد ضيف الله، تاريخ الخلفاء الأمويين، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٩م، ص ٣٣٥.

بالمثقال ومشتقاته لكنهم لم يعتمدوا عملة من العمل لتكون أساس التعامل، بل كانت العملة تقارن بالمثقال، ويتعاملون بها مقارنة به وزنا[1].

يعد استخدام النقود من الوسائل التي سهلت حياة الناس، فقد كانوا يستخدمون قبل ذلك أسلوب المبادلة أو المقايضة، فكانوا يتبادلون قمحا بتمر، أو تمرا بشعير، أو أنهم كانوا يتبادلون قمحا بقمح. كذلك استخدموا الوزن بالسلعة، فكانوا يستخدمون مثقال الذهب ووزن الفضة بالسلع العينية، فكانوا يتبادلون القمح بوزن الذهب وبوزن الفضة. واستخدموا النقود لشراء البضائع، وقد كانت الطرق الثلاثة موجودة عند العرب قبل الإسلام فكانت النقود قد سهلت حياة الناس بعد أن انتشرت بينهم[2].

وقد استخدم أهل نجد والحجاز الدينار الذهبي الذي أخذوه من الروم، والدرهم الفضي الساساني، وتعاملوا بالدوانق إضافة الى العملة التي جلبوها من اليمن[3]. وتظهر الدنانير والدراهم في ألفاظهم وفي عدة مناطق، قال المحرز بن المكعبر الضبي[4]:

كأنَّ دَنانِيراً على قَسماتِهِم   وَإن كانَ قَد شَفَّ الوُجُوهَ لِقاءُ[5]

وقال احيحة بن الحلاج[6]:

---

[1] بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ١٩٩٩م، ص ٣٣٠.

[2] علي، المفصل، ١٩٧١م، جـ ٧/ ص ٤٨٨-٤٨٩.

[3] المصدر نفسه، جـ ٧/ ص ٤٩٥.

[4] مُحرز بن المُكَعبر الضَبّي. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر جاهلي من بني ربيعة بن كعب من ضبة من شعره:

فدى لقومي ما جمعت من نشب   إذ ساقت الحرب أقواماً لأقوام.

وله في معجم الشعراء للمرزباني، أبيات يرد بها على عبد الله بن غنمة في رثائه لبسطام بن قيس الشيباني. وفي الحماسة لأبي تمام، قصيدة لابن المكعبر، يخاطب بها بني عدي بن جندب، وكان جاراً لهم، ونهبت إبله فلم ينجده.

[5] دفتر، ناهض عبد الرزاق، المسكوكات، مطابع دار السياسة، الكويت، ١٩٨٠م، ص ٢٧.

[6] أحَيحَةِ بن الجَلّاح، أحَيحَة بن الجُلاح بن الحَريش الأوسي أبو عمرو. ؟ - ١٢٩ ق. هـ/؟ ٤٩٧ م، شاعر جاهلي، من دهاة العرب وشجعانهم. قال الميداني: كان سيد يثرب، وكان له حصن فيها سماه المُستَظلّ، وحصن في ظاهرها سماه الضحيان، ومزارع وبساتين ومال وفير. وقال البغدادي: كان سيد الأوس في الجاهلية وكان مرابياً كثير المال. أما شعره فالباقي منه قليل جداً. وفي الأغاني أن سلمى بنت عمرو العدوية كانت زوجة لأحيحة وأخذها بعده هاشم بن عبد مناف فولدت له عبد المطلب وبهذا تكون وفاة أحيحة قبل وفاة هاشم المتوفى نحو عام ١٠٢ قبل الهجرة.

فَما هَبرَزِيٌّ مِن دَنانيرِ أيلَةٍ　　بأيدي الوُشاةِ ناصِعٌ يَتَأكَّلُ[1]

وقال المرقش الأكبر:

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجُوهُ دَنا　　نِيرُ وأَطْرافُ البَنانِ عَنَمْ[2]

ونجد لفظة الدرهم تتكرر في أشعار بعض الشعراء قال الأعشى الأكبر:

دَراهِمُنا كُلُّها جَيِّدٌ　　فَلا تَحبِسَنّا بِتَنقادِها[3]

وقال جابر بن حُني التغلبي[4]:

وَفي كُلِّ أسواقِ العِراقِ إتاوَةٌ　　وَفي كُلِّ ما باعَ أمرُؤٌ مَكسُ دِرهِمِ[5]

وليس هذا فحسب بل كان العرب يعرفون من الدراهم والدنانير ما هو جيد أو مبهرج أو زيوف، قال تميم بن أبي مقبل العامري[6]:

فكان ما جاد لي عن سعة　　دراهم زائفات ضربجيات[7]

وكانت النقود قبل الإسلام نوعان: السود والوافية، والطبرية العتق، ولهم دراهم تسمى الجوراقية، وكانت النقود من الذهب والفضة فقط، الذهبية من الروم، والفضية من الفرس، وزعم المقريزي أن وزن الدنانير في الجاهلية مثله في الإسلام مرتين، ويسمى وزن محدد من الفضة درهما، ومثقال الذهب دينار[8]. وكان أهل مكة يعتمدونها كمثاقيل من الذهب والفضة، ويستعملون غيرها من الأوزان اصطلحوا عليها، منها الرطل وهو أثنتا عشر أوقية، والأوقية أربعون درهما، فيكون الرطل

---

1 دفتر، المسكوكات، ١٩٨٠م، ص ٢٧.

2 ديوان المرقش، ٢٠٠٣م، بحر السريع، قافية الميم.

3 دفتر، المسكوكات، ١٩٨٠م، ص ٢٧.

٤ جابر بن حُني التغلبي، جابر بن حني بن حارثة بن عمرو، من بني تغلب. ؟ - ٦٠ ق. هـ/؟ ٥٦٤م، كان شاعراً نصرانياً مقدماً وقد تفاخر بدينه في شعره ومنها قوله:

وقد زعمت بهراءُ أن رماحنا　　رماح نصارى لا تخوض إلى دم

وهو من أهل اليمن، طاف أنحاء نجد وبادية العراق، وأشار في بعض شعره إلى منازلها. وصحب امرأ القيس حين خرج إلى القسطنطينية مستنجداً بقيصر.

5 ديوان جابر بن حني، ٢٠٠٣م، البحر الطويل، قافية الميم.

٦ تميم بن أبي، تميم بن أبيّ بن مقبل من بني العجلان من عامر بن صعصعة أبو كعب. ٧٠ ق. هـ ٣٧ هـ/ ٥٥٤ - ٦٥٧ م، شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم.

7 دفتر، المسكوكات، ١٩٨٠م، ص ٢٧.

8 المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق زيادة، محمد مصطفى، الشيال، جمال الدين محمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠م، ص ٤٨.

ثمانين وأربعمائة درهم، والنش: نصف الأوقية، وهو نص الأوقية حولت صاده شينا، وهو عشرون درهما، والنواة خمسة دراهم، والدرهم الطبري ثمانية دوانق، والدرهم البغلي أربعة دوانق، والدرهم الجوراقي: أربعة دوانيق ونصف الدانق، والدانق: ثماني حبات وخمسا حبة من الشعير المتوسط التي لم تقشر وقد قطع من طرفيها ما دق وطال[1].

كانت الدنانير في الجاهلية والإسلام بالشام وعند عرب الحجاز، كما يلي: وزن الدينار، وهو المثقال، وهو درهم ودانقان ونصف وخمسة أسباع الحبة[2]. وكان الدينار يسمى في الجاهلية دينارا نسبة إلى أسمه وإنما هو مثقال الدينار من التبر، وكذلك الدرهم يسمى لوزنه وإنما هو وزن الدرهم من الفضة، وكان الدرهم يزن ستين حبة أو مثقالا اتفقوا عليه باسم الشعيرة، وهو وزن مئة حبة خردل[3].

وكان وزن كل عشر دراهم سبع مثاقيل، والمثقال وزنه عشرون قيراطا، ويساوي ذلك وزن اثنان وسبعين حبة شعير، والمثقال لم يختلف عليه بين الجاهلية والإسلام، وكان أول ما بدء به المثقال وزن الحبة، وكان زنة مئة حبة من الخردل البري المعتدل ضرب على شكل صنجة، ثم جمع الخردل والصنجة معا وضربا صنجة جديدة، ثم جمعا معا مع الصنجة الجديدة وضرب بوزنهما صنجة أكبر حتى وصلوا إلى مثقال الذهب، فصار وزن المثقال ستة آلاف حبة[4].

وكان العرب يتعاملون بالدنانير الهرقلية والدراهم الفارسية التي وصلتهم عبر التجارة، ولكنهم لم يتعاملوا بها إلا على أساس أنّها تبرا، وكانوا بذلك يعتمدون على المثقال الذي كان وحدة القياس عندهم، وكان المسئول عن المثقال في مكة قبل الإسلام أبي وداعة بن ضبيرة السهمي، وكانوا يقارنون به الأوزان في السوق،

---

1 المناوي، النقود والمكاييل، ١٩٨١م، ص ٤٧، والمقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ١٩٤٠م، ص ٥٠.

2 المناوي، النقود والمكاييل، ١٩٨١م، ص ٤١.

3 البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى، ت ٢٧٩هـ، كتاب النقود، تحقيق الكرملي، الأب أنستاس ماري، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م، ص ١١.

4 المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ١٩٤٠م، ص ٥٠، والمناوي، النقود والمكاييل، ١٩٨١م، ص ٤٨.

وكانت لهم أوزان معروفة أقرها الإسلام، وكانت قريش تزن بالفضة وتسميه الدرهم، وتزن بالذهب وتسميه الدينار، وكل عشرة دراهم تعادل سبعة دنانير، وكان لهم وزن الشعيرة ويعادل واحد إلى أربعين من وزن الدرهم، بينما كانت الأوقية أربعين درهما، وعندهم النش وزن عشرين درهما، وعندهم النواة وتزن خمسة دراهم، وكانوا يتبايعون على هذه الأوزان، وكانت العملة بعد ذلك كلها تضرب على هذه المقاييس، وذلك لأسباب شرعية تتعلق بمقدار الزكاة والكفارات والصدقات[1].

وكان العرب قبل الإسلام يراعون الدقة في وزن الدراهم ويجودوه ويخلصوه ليتم التعامل به والناس مطمئنين، وذلك لأهمية التجارة عندهم، فلما جاء الإسلام فرض عمر بن الخطاب الرقابة على العملة، وكان أراد أن يجعلها بالقيمة وان يجعلها من جلود الإبل بقيمة أسمية، لكن من حوله رفضوا الفكرة فأوقف العمل بها، ثم استمرت الرقابة على العملة، فكان العمال والولاة يقطعون المزيفين ويكشفون حيلهم في غش العملة[2].

وسبب اتخاذ حبة الخردل أدنى وحدة لأنَّ حجمه ووزنه متشابه في العالم، فكانوا يقيسون عليه، ثم اتخذ الشعير لأنه الأشهر في التعامل، فكان وزن كل مئة حبة خردل وزن حبة شعير، أما سبب اتخاذ النسبة بين الذهب والفضة فيعود ذلك إلى الكثافة والحجم، فإذا ما أحضرنا حجمين متساويين من الذهب والفضة وسكا ثم قيس الوزن خرجت النسبة عشرة إلى سبعة[3].

وكان العرب قبل الإسلام يتعاملون بالأنواع المختلفة من الدراهم وزنا، لكن الإسلام عندما أراد فرض الزكاة اختلط على الناس من أيها تكون، فكان أن جمع الدراهم وهي ثلاثة أنواع منها ما يزن عشرين قيراطا ومنها أثنتا عشرة قيراطا، ومنها عشرة قراريط، فجمع ذلك فكان اثنان وأربعون وقسم على ثلاث فكان وزن

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ١٩٨٣م، ص ٤٤٨-٤٤٩.
[2] المصدر نفسه، ص ٤٥٢.
[3] مجهول، تحرير الدرهم والمثقال، ١٩٣٩م، ص ٧٦.

الدرهم الإسلامي أربعة عشر قيراطا، مقارنة مع الدينار الذهبي الذي كان عشرين قيراطا[1].

ومن الدراهم التي انتقلت من فترة قبل الإسلام: الدراهم البغلية نسبة لملك كان يقال له رأس البغل وهو أربعة دوانق، والطبرية زنتها ثمان دوانق وقيل أربعة، والخوارزمي زنة أربعة دوانق ونصف، وكان المشهور استخدام الطبري والبغلي في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تجب في مائتين منها الزكاة، ولإبعاد الخلاف بينهما جمع درهمان منهما وقسم وزنهما فخرج ست دوانق فصار العيار للدرهم، وذلك لأنَّ الدانق لم يختلف في الجاهلية والإسلام مثل المثقال[2]. واستقر وزن الدرهم في الإسلام ست دوانق، والدانق من حبات الشعير ثمان حبات وخمسا الحبة، وكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل[3].

وعندما فرضت الزكاة كانت تأخذ من كل خمسة أواقي فضة خالصة خمسة دراهم وهي تساوي النواة، فرض في كل عشرين دينارا نصف دينار[4]. وقد صنعت الصنج من الزجاج عند البدء في استخراج الأوزان، وذلك لكونها دقيقة في القياس يصعب تزيفها، ولكون العد في حبات الشعير والخردل كان صعبا خاصة إذا تمت مضاعفته إلى باقي الأوزان الكبيرة، فكانت كل الصنج قد سكت من نفس الحبات في البداية حتى وصلوا إلى القياس المناسب، ثم انتقلوا إلى المثقال وتم الاشتقاق عنه وهكذا[5].

وكانت كل خمس أواقي مائتي درهم بدراهم الإسلام، وكل عشرة دراهم من دراهم الإسلام وزن سبعة مثاقيل ذهبا بمثقال الإسلام[6]. والدرهم الشرعي يتكون من

---

1 البلاذري، كتاب النقود، ١٩٣٩م، ص ٩.
2 المناوي، النقود والمكاييل، ١٩٨١م، ص ٥٩.
3 المصدر نفسه، ص ٦١.
4 المصدر نفسه، ص ٤٩.
5 المصدر نفسه، ص ٥١.
6 المكان نفسه، ص ٥١.

خمسين حبة وخمسا حبة، وسمي الكيل لأنَّ الرطل الشرعي يركب منه، ويركب من الرطل المد ومن المد الصاع ومنه الاردب[1].

وكانت أول العمل التي سكها المسلمون بعد ازدياد حاجة المسلمون لها، فكان وفد من البصرة قد قدم على عمر وشكوا له اختلاف العملة، فأمر بأن تسك عملة على نقش الكسروية وذلك سنة عشرين للهجرة[2]. وكان خالد قد أمر دور الضرب في الشام أن تضرب النقود باسمه بعد فتح المدن الشامية[3]. وكانت تحمل نقوش إسلامية، وعندما بويع عثمان بن عفان سك دراهما نقش عليها:"الله أكبر"[4]. ولم نعرف ضرب العملة بالشكل الصحيح ألا بعد خلافة معاوية[5]. ثم سك بعده مصعب بن الزبير الدنانير، أما شهرة عبد الملك بن مروان فيعود إلى جمعه كل الدراهم والدنانير وإبطال التعامل بها وإحلال العملة الإسلامية مكانها.

ويبلغ وزن الدينار الشرعي ٤,٢٦٥ غرام، بينما يبلغ الدرهم الطبري ٢,١٣٢ غرام، وهو على النصف من الدينار، أما الدرهم الشرعي الذي اعتمده الإسلام فكان قد عدل ليكون سبعة من عشرة من الدينار، فصار وزنه ٢,٩٨٦ غرام[6].

المكاييل:

اعتمد العرب قبل الإسلام على عدة مكاييل تراوحت في حجومها، فكان بعضها صغير الحجم، وكان غيره كبيرا جدا، وكان أهل المدينة يستخدمون المكاييل بشكل كبير، بينما كان أهل مكة يستخدمون الموازين، ويعود ذلك إلى كثرة الزراعة في المدينة التي تحتاج إلى مكاييل كبيرة، بينما كان أهل مكة تجار ولا يتعاملون نفس

---

1 المصدر نفسه، ص ٥٢.
2 **النقشبندي**، ناصر السيد محمود، الدرهم الإسلامي، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦٩م، ص ٢.
3 **الذهبي**، مصطفى الشافعي، تحرير الدرهم والرطل والمكيال، وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر، تحقيق الكرملي، الأب أنستاس ماري البغدادي، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م، ص ٩١.
4 المقريزي، كتاب النقود القديمة الإسلامية، ١٩٣٩م، ص ٣٣.
5 بطاينة، تاريخ الخلفاء الأمويين، ١٩٩٩م، ص ٣٣٢.
6 النقشبندي، الدرهم الإسلامي، ١٩٦٩م، ص ٣-٤.

الكميات من الأغذية، وكانوا يحتاجون إلى العملة بشكل كبير لعمليات التبادل مما سهل عليهم تجزئة عملية الشراء واستخدام الموازين.

ومن المكاييل: الصاع، والمد، والفرق، والقسط، والمدي، والمختوم، والقفيز، والمكوك، والوسق وهو ستون صاعا[1]. والوسق ستون مختوما، وإنما سمي مختوما لأنَّ الخلفاء جعلوا عليه خاتما مطبوعا لكي لا يزاد فيه. وكان صاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية أرطال، ومده رطلان. والصاع يزيد على الحجاجي مكيالا، والقفيز مكيالا كان الحجاج اتخذه على صاع عمر[2]. وكان المُد رطل وثلث عند أهل الحجاز[3].

والصاع عند أهل الحجاز خمسة أرطال وثلث[4]. والصاع ثلث الفرق، والفرق ثلاثة أصع[5]. والصاع أربعة أمداد[6]. والمكوك عشرة أمداد[7]. والمد ربع الصاع، وهو رطل، والرطل مئة درهم وثمانية وعشرون درهما[8]. والدرهم الوافي، ثماني دوانق وهي السود الوافية، والطبرية أربعة دوانق[9]. وكان علي قد تزوج فاطمة على أربعمائة وثمانون درهما وزن ستة دوانيق[10].

ومن المكاييل الوسق ويبلغ ستون صاعا، وقيل ستون بالصاع الحجاجي، وقيل ستون قفيزا[11]. والصاع ثمانية أرطال، والقفيز الحجاجي صاعا[1].

---

1 ابن سلام، الأموال، ١٩٨١م، ص ٢٠٦.
2 ابن سلام، الأموال، ١٩٨١م، ص ٢٠٧.
3 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، جـ ٣/ ص ٤٠٠.
4 ابن سلام، الأموال، ١٩٨١م، ص ٢٠٨.
5 المكان نفسه، ص ٢٠٨.
6 المصدر نفسه، ص ٢٠٩.
7 المكان نفسه، ص ٢٠٩.
8 المصدر نفسه، ص ٢١٠.
9 المكان نفسه، ص ٢١٠.
10 المصدر نفسه، ص ٢١٠، ويحيى بن آدم، الخراج، دار المعرفة، ص ١١٤، **وابن الرفعة**، أبي العباس نجم الدين الأنصاري، ت ٧١٠هـ، كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة الكيل والميزان، تحقيق د. الخاروف، محمد أحمد إسماعيل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م، وأنظر **هنتس**، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تحقيق د. العسلي، كامل، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.
11 الخراج ليحيى بن آدم، دار المعرفة، ص ١٣٩.

وقيل الصاع مثل القفيز الحجاجي، وفيه أقوال أن الصاع يزيد على الحجاجي بمكيال، وقيل بربع مكيال[2]. والقفيز وربع بالهاشمي يساوي اثنين وثلاثين رطلا[3].

وكان القفيز والدرهم للعراق، والمد والدينار لأهل الشام، والاردب والدينار لأهل مصر، على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان العرب يعرفون هذه الوحدات في القياس ويستعملونها[4].

والفرق: ستة عشر رطلاً، وللعرب أربعة مكاييل مشهورة: فأصغرها المد، وهو رطل وثلث في قول الحجازيين، ورطلان في قول العراقيين. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد. والصاع: أربعة أمداد، خمسة أرطال وثلث، في قول الحجازيين، وثمانية أرطال في قول العراقيين. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع. والقسط وهو رطلان وثلثان، في قول الناس جميعاً. والفرق، وهو ستة عشر رطلاً، ستة أقساط في قول الناس جميعاً[5].

وكانت بعض الموازين تقام على قياس المكاييل والعكس، فكان الرطل يوزن به ويكال في آن[6]. وكانت وحدات القياس معروفة عند العرب ومنها الصاع، وكان وحدة قياس له معيار محدد عند كل العرب، قال نهيكة بن الحارث الفزاري[7]:

لقد جزتكم بنو ذبيان ضاحية   بما فعلتم ككيل الصاع بالصاع[8]

---

[1] المصدر نفسه، ص ١٤١.
[2] المصدر نفسه، ص ١٤٢.
[3] المصدر نفسه، ص ١٤٣.
[4] **ابن رجب الحنبلي**، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، ت ٧٩٥هـ، الاستخراج لأحكام الخراج، تحقيق السيد عبد الله الصديق، دار المعرفة، بيروت، د، تحقيق ص ٥.
[5] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، جـ ٨/ ص ٧٠.
[6] المبرد، الكامل في الأدب، جـ١/ ص ٧٠.
[7] نهيكة الفزاري، نهيكة بن الحارث الفزاري. ؟ - ؟ هـ/؟ - ؟ م، شاعر جاهلي من ذبيان، خاطب عامر بن الطفيل، ووصف في شعره أكثر أيام العرب ومنها يوم شعواء. وسبب نشوب الحرب في ذلك اليوم أن بني ذبيان غزوا بني عامر وفيهم بنو عبس فأسر طلحة بن سنان (قرواش بن هنى) دون أن يعرفه فكنى عن نفسه فقال: أنا ثور بن عاصم البكائي. غير أن امرأة من أشجع أمها عبسية عرفته، فلما علموا نسبه منها دفعوه إلى حصن بن حذيفة فقتله ثأراً بدم أبيه حذيفة الذي قتله قرواش في جفر الهباءة. فأنشد نهيكة في ذلك قوله:

صبراً بغيض بن ريث أنّها رحم   حبتم بها فأناختكم بجعجاج

[8] أبو عبيدة التيمي، أيام العرب، ١٩٨٧م، ص ٢٧٣.

و(كَانَ أَصْحَابُ النبيّ صَلّى اللّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَهْدِ النبيّ صَلّى اللّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْلِفُونَ فِي الْحِنْطَةِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ كُنَّا نُسْلِفُ نَبِيطَ أَهْلِ الشَّأمِ فِي الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالزَّيْتِ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ)[١]، وضبط المكيال يسمى عيار المكاييل[٢].
وعرف ضبط الموازيين قبل الإسلام، وكانت له قواعده، لذلك عندما ذكر أهل مدين وهم أصحاب الأيكة ذكر أنهم كانوا يتلاعبون بالمكاييل والموازين[٣].

وكان أول من جمع الدراهم على وزن ثابت وهو ست دوانق عمر بن الخطاب[٤].
كذلك أضاف المسلمون للعملة التي سكت بطريقة صحيحة ومراقبة كلمة جايز، لتكون دليلا على صحة الوزن والعيار[٥].

وبسبب اهتمام الإسلام بمراقبة الموازين على أسلوب علّمي استحدثوا منصب عامل السوق، وكان من واجبه مراقبة الأسواق، والتأكد من عيار الموازيين والمكاييل. فذكر تعالى المطففين، وإخسار الميزان، والقسطاس المستقيم، وإيفاء الكيل، وهي من واجب المحتسب في مراقبة الأسواق، وكل ذلك يمكن الاستدلال عليه بالعيار وبالقياس[٦].

وكان عمر بن الخطاب عندما قدر الصاع قدره بمشهد من الصحابة، وهو ثمانية أرطال إلا أن سعيد بن العاصي رده إلى خمسة وثلث ألا ترى إلى قول الراجز: (وجاءنا مجوعا سعيد ينقص في الصاع ولا يزيد) وأرطالهم بمكة هو المن المعروف في جميع بلاد الإسلام غير أنهم يسمونه رطلا ورطل يثرب إلى قرح مائتا درهم[٧].

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، ١٩٨٧م، جـ٢/ ص ٧٨٢.
[2] الجوهري، الصحاح، ٢٠٠٣م، جـ١/ ص ١٩٣.
[3] الطبري، تاريخ الطبري، ١٩٨٨م، جـ١/ ص ١٩٧.
[4] **حلاق**، د. حسان حلاق، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٧.
[5] نفس المصدر، ص ٢٦.
[6] **القلقشندي**، أحمد بن عبد الله، ت ٨٢١هـ، مآثر الآنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٥م، جـ٣/ ص ١١٩.
[7] **المقدسي**، محمد بن أحمد، ت ٣٩٠هـ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م، جـ١/ ص ١١٠.

واختلف العرب في لفظة القنطار وظل الاعتقاد أنّها صيغة مبالغة، وأنها لا تعني أي وزن كان، لكن بعد استخلاص النتائج من الروايات التي ذكرت في تاج العروس تبين لنا أنّها اكبر وحدة قياس عند العرب وهي اكبر من الوسق بالضعف، وبذلك تكون الوحدات من النقود إلى الموازيين إلى المكاييل كلها مشتقات من بعضها، وان الذي وضع أصولها كان أدق في قياسها ممن جاء بعده، لأنه لم يعرف كيف تم قياسها على الدقة، وروى أبو هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنّها اثنا عشرة ألف أوقية وهي أدق الروايات[1].

وقد عملت جدولا تظهر فيه النقود والموازيين والمكاييل العربية مرتبة من أصغرها حجما إلى أكبرها، وتبين لي أنّها مشتقات من بعضها، وكان الكثير من المؤرخين العرب قد وقعوا بأخطاء في حساب مقاديرها، ويعود ذلك إلى ضعف إمكانيات الجمع والقسمة عندهم، وكذلك عدم دقة المعلومات عن مقادير العملة، واختلاف مقاديرها حسب الزمان والمكان والحكام، كذلك تعرض بعض أنواع العملة للغش، مما جعل القياس عليها يوقع المؤرخ بفوارق تتراوح من واحد إلى آخر، وكان الأقرب أن تكون منطقية الطابع وأنها مضاعفات بعضها كما ترى بالجدول، وهي مرتبة على النحو التالي، الحبة ثم العملة ثم الموازيين وأخيرا المكاييل حتى نصل إلى اكبر المكاييل وهو القنطار.

[1] الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٠٣م، مادة **قنطر**.

الخاتمة

كان العرب في نجد والحجاز كغيرهم من العرب أهل معرفة وعمران، كما كان العرب كغيرهم من الشعوب المحيطة على إطلاع واتصال بالعلوم العالمية، وقد طور العرب لغتهم العربية لتواكب العصر، فأضافوا إليها الكثير من المفردات، وأن بقي العرب يتفاوتون في لهجاتهم المحلية حسب البعد والقرب من الشعوب المجاورة، ولكن العرب وضعوا قواعد للهجاتهم المحلية وساروا عليها، وقد أعترف بها الإسلام، وقرئ القرآن على عدة لهجات، توافق أهم سبع لهجات عربية.

كذلك أشترك العرب فيما بينهم بلغة مفهومة عند الجميع سميت العربية الفصحى، وكانت لغة قريش من أهم هذه اللغات كونها لغة القرآن، لهذا صرح عنها القرآن بأنها لسان عربي مبين، وتسير اللغة بعد ذلك نحو التوحد بعد جمع القرآن على لسان قريش لمنع الخلاف، وتتكون لغة عربية تشترك بها كل القبائل وتتنافس فيها، وتظهر الإبداعات العربية في الفصاحة بعد جمع القرآن بمدى قرب الألفاظ من القرآن، ثم لا يلبث العرب أن يجمعوا قواعد العربية الفصحى ويدونوها لتكون لغة القرآن التي يتعبد بها.

وأظهر العرب القدرة على الكتابة والحفظ والتسجيل بعد أن وضعوا الهجاء العربي، ووضعوا قواعد الكتابة العربية وتعلموا الكتابة، ثم مالوا إلى الحفظ والتسجيل في مختلف الموضوعات الاقتصادية منها أو الدينية، وحتى المجال الأدبي، واستخدموا الخاتم ليوقعوا كتبهم، واستخدموا الختم لمنع فض الكتب، خاصة كتب الملوك، كما أن العرب لاهتمامهم بالحفظ والتسجيل، كتبوا على كل ما وجدوه حولهم صالحا للكتابة من خشب أو جلد أو رق أو حجر.

كما أن العرب اهتموا بالدراسة والتدريس، فكان كثير من العرب قد رحل في طلب العلم، فمنهم من طلب العلوم الدينية، ومنهم من بحث عن التاريخ وسير الملوك، ومنهم من بحث عن الطب، منهم من بحث عن علم الفلك، وحتى أنهم تعلموا العقائد غير العربية مثل الزندقة، كما تظهر عندهم الكتاتيب والاندية والمحافل والسقائف، وأن كانت الكتاتيب لتعليم العربية، فقد كانت الصوامع والبيع والصلاوات والمحافل لتعليم العلوم الدينية على أغلب ما وصلنا، لكن كان للعرب مجالس وأندية يتدارسون بها الشعر وأيامهم، ويتناولون بها أنسابهم وطرفا من تاريخ العرب البائدة، كما يبرز عند العرب عدة معلمين نقلوا العلوم لقبائلهم.

كما استطاع الشعراء العرب أن يدللوا على مقدرتهم في نقل الفكر والعلم العربي، وكانوا قد أبدعوا في مجالات الحياة المختلفة، وكانوا يسيرون في شعرهم على قواعد وأصول، وامتحنوا الشعراء ومايزوا بينهم، وقدموا من سار منهم على القواعد البلاغية، وقدم الحكمة، ومن خاطب الوعي العربي كله في لغته وفكره،

وأشتمل الشعر عندهم على عدة أغراض من فخر ومدح وحتى قصائد للغناء والطرب، ولم تخل قبيلة من وجود شاعر فيها وأكثر أحيانا.

وظهر عند عرب نجد والحجاز الخطباء الذين تحلوا بصفات متميزة مثل: البلاغة، ومعرفة بالمحسنات البديعية، والقدرة على إيصال الحكمة والعبرة، والوعي بمشاكل الناس وطموحاتهم. كما ظهر عند عرب نجد والحجاز علم أختص بالتاريخ والحكمة والأمثال والقصص، وكانت هذه القصص متنوعة تشمل تاريخ العرب البائدة وأيام العرب قبيل الإسلام، إلى جانب تاريخ الشعوب المجاورة.

كما برز عند العرب علم النسب، وهو علم وصل من الدقة ما وصلت إليه الدواوين المكتوبة في توثيق نسب القبيلة ونسب أفرادها، وتخصص بعض العرب به ودرَّسه لمن حوله أو لولده، ومنهم من كان يعرف نسب قومه فقط، ومنهم من عرف نسب أغلب العرب، وهذا العلم هو الذي سيظهر لاحقا مدونا في دواوين الدولة، بعد أن وضع عمر بن الخطاب الدواوين.

وكان للعرب عناية بجغرافية الأرض، فعرفوا سهولها وجبالها، وساروا في مجاهلها، وساروا حسب آبار المياه يقودهم رجال حفظوا تضاريس الأرض واهتدوا إلى مسالكها، كما عرفوا النباتات التي تعيش في بيئتهم، وعرفوا خصائصها كما عرفوا حيوانات الأرض وضواريها، كما عرفوا أحوال الطقس وميزوا بين الغيوم المحملة بالأمطار وسواها، وعرفوا الرياح واتجاهاتها وصنفوها حسب شدتها وتأثيرها عليهم.

كما استخدم العرب ثروات بلادهم، فاستخرجوا الحديد والنحاس والذهب وغيرها من المعادن، وصهروها بأفران خاصة، وحولوها إلى أسلحة وأدوات للعمل وأواني للطهي، كما عرفوا أسلوب الحفر وطرقه، وحفروا الآبار العميقة للوصول إلى المياه الجوفية، وصنعوا البكرات لاستخراج المياه بطريقة سهلة، كما استخدموا الحيوانات في سحب المياه خاصة من الآبار العميقة.

واستخدم العرب علمهم بالنجوم والأنواء لعدة أغراض، فحددوا الاتجاهات من خلالها، واهتدوا بها في مجاهل الصحراء، وعرفوا مواعيد سقوط الأمطار وهبوب الرياح ومواسم الحر، وأيام نضوج الثمار، ووضعوا لهم تقويما يعتمد على حركة القمر والشمس في فلك السماء، وظهر المختصون بهذا العلم، وتوارثوا علمهم جيلا بعد جيل، كما ميزوا بين أجرام السماء من كواكب، ونجوم، وشهب.

كما اعتنى العرب بعلم الهندسة، وبنوا بيوتهم بعدة طرق هندسية، وبنوا السدود والقنوات والقناطر والحصون والآطام، واستخدموا الآجر، وهو من الطين المحروق في بناء منازلهم حتى يقاوم عوامل الطقس، كما برع العرب في الحساب،

وكانوا يستخدمونه في تجارتهم وفي حياتهم اليومية، وعرفوا الإحصاء للناس، ومسحوا الأرض ومساحتها.

وكان للعرب من المعرفة في علم الطب ما أهلهم لتشخيص الأمراض، وإعطاء العلاجات، وعرفوا النباتات وفوائدها الطبية، واستخدموا الجراحة في علاج بعض الأمراض والأورام، كما استخدموا علمهم في علاج الجراح الناتجة عن المعارك، وعرفوا تجبير العظام، وعرفوا من الطب ما أهلهم لعلاج التشوهات الخلقية الناتجة عن المعارك، وبعض الأمراض، كما عرفوا العدوى، وعرفوا أثر الوراثة على الإنسان، وعالجوا حيواناتهم من عدة أمراض، وقدموا عدة وصايا طبية لتجنيب الناس الأمراض.

كما استخدم العرب الموازيين والمكاييل منذ ما قبل الإسلام، وتعاملوا بها بأسلوب علمي، فعملوا عدة موازيين ومكاييل مكنتهم من تحديد وزن السلع، وتحديد أثمانها، كما برعوا في ضبط العملة وراقبوها، وعرفوا البهرجة منها والزويف.

لقد كان العرب كغيرهم من شعوب المنطقة قد تعلموا وبرعوا في فنون عدة، وتعلموا من الدول حولهم، ونقلوا معارفهم واستخدموها بشكل ناجح، كما امتازوا بعلوم أخرى عن باقي العالم، مثل الشعر العربي، ومثل علم الأنساب، ومثل علم القيافة، وعلوم اللغة العربية.

المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم.

ابن الأثير، علي بن محمد الجزري، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، ت ٢٤١هـ/٨٥٥م، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، مؤسسة قرطبة، مصر، د، ت.

الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله، ت ٢٤٤هـ/٨٥٨م، *تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار*، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩م.

الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهر، ت ٣٧٠هـ/٩٨١م، *تهذيب اللغة*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر، ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، *تحرير التحبير في صناعة الشعر*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد، ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م، *الأغاني*، تحقيق عبد علي مهنا، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٢م.

الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي، ت ٢١٦هـ/٨٣١م، *الأصمعيات*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

ابن الأعرابي، محمد بن زياد، أبو عبد الله، ت ٢٣١هـ/٨٤٥م، *أسماء خيل العرب وفرسانها، المجمع الثقافي*، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، ت ٣٠٧هـ/٩٨٠م، *المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م. وطبعة المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ/٨٦٨م:

- *صحيح البخاري*، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧ م.
- *الكنى*، تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، د، ت.

البغدادي، عبد القادر بن عمر، ت ٤٨٥هـ/١٠٩٣م، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المجمع الثقافي*، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، ت ٤٨٧هـ/١٠٩٥م، *اللآلي في شرح أمالي القالي*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى، ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م:

- *فتوح البلدان*، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣م.
- *كتاب النقود*، تحقيق الأب أنستاس ماري الكرملي، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م.

بهاء الدين العاملي، محمد بن الحسين، ت ١٠٣١هـ/١٦٢٢م، *الكشكول*، المجمع الثقافي، ابو ظبي، ٢٠٠٣م.
البيهقي، إبراهيم بن محمد، ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م، *المحاسن والمساوئ*، تحقيق محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٥م.
البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، ت ٤٥٨هـ/١٠٥٥م، *شعب الإيمان*، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.
التلمساني، محمد بن أبي بكر بن عبد الله، ت ٦٨٠هـ/، *الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة*، تحقيق د، محمد التوتنجي، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ١٩٨٣م.
أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ت ٢٣١هـ/٨٤٥م، *نقائض جرير والأخطل*، تحقيق أنطوان صالحاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٢٢م.
الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م:
- *البيان والتبيين*، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٦٨م.
- *المحاسن والأضداد*، تحقيق عاصم عيثاني، دار أحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٦م.
- *رسائل الجاحظ*، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.
- *كتاب البخلاء*، تحقيق محمد علي الزعبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١م.
- *كتاب البرصان والعرجان والعميان و الحولان*، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.
- *كتاب الحيوان*، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩م.

الجراحي، اسماعيل بن محمد العجلوني، ت ١١٦٢هـ/١٧٤٩م، *كشف الخفاء*، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م، *أسرار البلاغة في علم البيان*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الجرجاني، عبد الله بن عدي، ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م، *الكامل في ضعفاء الرجال*، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م،
الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي، ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م، *مسند ابن الجعد*، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ١٩٩٠م.
الجمحي، محمد بن سلام، ت ٢٣١هـ/٨٤٥م، *طبقات فحول الشعراء*، دار المدني، جدة، د، ت.

ابن الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد، ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م، *شرح أدب الكاتب*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م، *أخبار النساء*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الجوهري، إسماعيل بن حماد، ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م، الصحاح، *المجمع الثقافي*، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي، ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م:
- *كتاب المنمق في أخبار قريش*، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥ م.
- *كتاب المحبر*، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د، ت.
ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م:
- *الإصابة في تمييز الصحابة*، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢ م.
- *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- *تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير*، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٩٦٤م.
ابن حسنون، عبد الله بن الحسين، أبو أحمد، ت ٣٨٦هـ/٩٩٥م، *كتاب اللغات في القرآن*، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨م.
الخالديان، سعيد ومحمد ابنا هشام بن وعلة، توفيا ٣٨٠هـ، ٣٩٠هـ/٩٨٩م، ٩٩٩م، *الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، *مقدمة ابن خلدون*، دار القلم، بيروت، ١٩٨٦م .
ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، ت ٦٨١ هـ/١٢٨٦م، *وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان*، دار صادر، بيروت، د، ت. والمجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، ت ١٠٦٧م/١٦٥٦م، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد، ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م، *التذكرة الحمدونية*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الحميري، نشوان بن سعيد، ت ٥٧٣هـ/١١٧٨م، *الحور العين*، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، ت ٤٠٠هـ/١٠١٠م:
- *الإمتاع والمؤانسة*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
- *البصائر والذخائر*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف ت ٣٨٧ هـ/٩٩٦م، *مفاتيح العلوم*، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.

ابن خياط، خليفة بن خياط أبو عمر الليثي العصفري، ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م، *الطبقات*، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٢م.
الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، أبو محمد، ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م، *سنن الدارمي*، تحقيق فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
ابن دريد، محمد بن الحسن، ت ٣٢١هـ/٩٣٣م:
- *الاشتقاق*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
- *جمهرة اللغة*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ديوان ابن الرعلاء، ؟ - ؟ هـ / ؟ - ؟ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ديوان ابن أم حزنة، ؟ - ؟ هـ / ؟ - ؟ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ديوان ابن عليق الطائي، ؟ - ؟ هـ / ؟ - ؟ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ديوان أبي ذؤيب الهذلي، ؟ - ٢٧ هـ / ؟ - ٦٤٨ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ديوان أبي طالب، ٨٥ - ٣ ق. هـ / ٥٤٠ - ٦١٩ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ديوان أرطأة بن سهية، ؟ - ٦٥ هـ / ؟ - ٦٨٥ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣ م.
ديوان الحارث بن حلزة، ؟ - ٥٤ ق. هـ / ؟ - ٥٧٠ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ديوان المتلمس الضبعي، ؟ - ٤٣ ق. هـ / ؟ - ٥٨٠ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ديوان المرقش، ؟ - ٧٢ ق. هـ / ؟ - ٥٥٢ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ديوان بشر بن أبي خازم، ؟ - ٢٢ ق. هـ / ؟ - ٦٠١ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ديوان جابر بن حني، ؟ - ٦٠ ق. هـ / ؟ - ٥٦٤ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣ م.
ديوان الخرنق بنت بدر، ؟ - ٥٠ ق. هـ / ؟ - ٥٧٤ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ديوان عنترة بن شداد، ؟ - ٢٢ ق. هـ / ؟ - ٦٠١ م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الذهبي، محمد بن أحمد بن قايماز، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، *سير اعلام النبلاء*، تحقيق شعيب الأرناوؤط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ
الذهبي، مصطفى الشافعي، ت ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، *تحرير الدرهم والرطل والمكيال، وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر*، تحقيق الأب أنستاس ماري البغدادي الكرملي، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م.
الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد، ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م، *محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، ت ٧٩٥هـ/١٣٩٢م، *الاستخراج لأحكام الخراج*، تحقيق السيد عبد الله الصديق، دار المعرفة، بيروت، د، ت.
ابن رشيق القيرواني، الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي، ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ابن الرفعة، أبي العباس نجم الدين الأنصاري، ت ٧١٠هـ/١٣١٠م، *كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة الكيل والميزان*، تحقيق د. محمد أحمد إسماعيل الخاروف، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م.
الزبيدي، محمد بن محمد بن محمد، ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، *تاج العروس من جواهر القاموس*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
الزمخشري، محمد بن عمر بن محمد، ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م:
- *المستقصى في أمثال العرب*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
- *أساس البلاغة*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
- *ربيع الأبرار ونصوص الأخبار*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب، ت ١٧٠هـ/٧٨٦م، *جمهرة أشعار العرب*، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٥م. وطبعة المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الزيلعي، عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي، ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م، *نصب الراية لأحاديث الهداية*، تحقيق محمد يوسف البنوري، دار الحديث، مصر، ١٣٥٧هـ.
ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله، ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م، *الطبقات الكبرى*، دار صادر، بيروت، د، ت. و طبعة تحقيق سهيل كيالي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤ م.
السعدي، أحمد بن القاسم بن خليفة **ابن يونس**، ت ٦٦٨هـ/١٢٨٨م، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.
ابن السكيت، يعقوب بن اسحاق، أبو يوسف، ت ٢٤٤هـ/٨٥٨م، *اصلاح المنطق*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م
ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت ٢٢٤هـ/٨٣٧م:
- *كتاب الأموال*، تحقيق محمد خليل هراس، دار أحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٩٨٧م.
- *لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم*، تحقيق عبد الحميد السيد طلب، جامعة الكويت، ١٩٨٤م.

ابن سنان الخفاجي، عبد الله بن محمد بن سعيد، ت ٤٦٦هـ/١٠٧٣م، *سر الفصاحة*، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م، *المحكم والمحيط الأعظم*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس ، ت ٢٠٤ هـ/٨٣٥م، *الأم*، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م.
الصاحب بن عباد، إسماعيل بن العباس، ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م، *المحيط في اللغة*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الصاغاني، الحسن بن محمد بن الحسن، ت ٦٥٠هـ/١٢٥٢م، *العباب الزاخر واللباب الفاخر*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الصفدي، خليل بن إيبك بن عبد الله، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م، *الوافي بالوفيات*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الصولي، محمد بن يحيى بن عبد الله، ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م، أدب الكاتب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت ٣٦٠هـ/٩٦٠م:
- *المعجم الأوسط*، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسين، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- *الروض الداني (المعجم الصغير)*، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ١٩٨٥م.
- *المعجم الكبير*، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ/٩٢٢م، *تاريخ الأمم والملوك*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود، ت ٢٠٤هـ/٨١٩م، *مسند أبي داود الطيالسي*، دار المعرفة، بيروت، د، ت.
أبو عبد الله الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ت٧٥١هـ/١٣٤٩م، *إعلام الموقعين عن رب العالمين*، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، ت ٤٦٣ هـ/١٠٧١م:
- *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.
- *جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت ٣٢٨ هـ/٩٣٩م، *العقد الفريد*، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ت. وطبعة المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ابن عبد المنعم الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله، ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
أبو عبيد بن سلام، القاسم ين سلام، ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م، *الأمثال*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري، ت ٤٨٧هـ/١٠٩٣م، *معجم ما استعجم*، تحقيق محمد السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.
أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، ت ٢٠٩هـ/٨٢٣م:
- *نقائض جرير والفرزدق*، تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- *كتاب أيام العرب قبل الإسلام*، تحقيق د. عادل جاسم البياتي، عالم الكتب، مكتبة النهضة، بيروت، ١٩٨٧م.
أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان، ت ٤٤٩هـ/١٠٥٧م:
- *الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣ م.
- *رسالة الصاهل والشاحج*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الغزي، محمد بن محمد بن محمد، ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م، *إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن*، تحقيق خليل محمد العربي، الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤١٥هـ.
ابن فارس، أحمد بن زكريا بن فارس، ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، *الصحابي في فقه اللغة*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ت ١٧٠هـ/٧٨٦م، *العين*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م، *كتاب الأمالي*، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ت. وطبعة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م:
- *المعارف*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- *عيون الأخبار*، تحقيق د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- *الشعر والشعراء*، تحقيق حسن غنيم، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٤م.
- *أدب الكاتب*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
قدامة، قدامة بن جعفر بن قدامة، ت ٣٣٧هـ/٩٣٩م، *نقد الشعر*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، ت ٦٧١هـ/١٢٧١، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
القزويني، عبد الكريم بن محمد الرافعي ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، *التدوين في أخبار قزوين*، تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله، ت ٤٥٤هـ/١٠٦١م، *مسند الشهاب*، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.
القلقشندي، أحمد بن عبد الله، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م:
- *مآثر الأنافة في معالم الخلافة*، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٥م.

- *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، تحقيق د. يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م.
الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد، ت ٢٠٤هـ/٨١٩م:
- *جمهرة النسب*، تحقيق د. ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.
- *كتاب الأصنام*، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠م.
مالك بن أنس، أبو عبد الله الأصبحي، ت ١٧٩هـ/٧٩٥م، *المدونة الكبرى*، دار صادر، بيروت، د، ت.
الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*، تحقيق د. خالد رشيد الجميلي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩ م.
المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد النحوي، ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م:
- *الفاضل في اللغة والأدب*، المجمع الثقافي، ابو ظبي، ٢٠٠٣م
- *الكامل في الأدب*، تحقيق إبراهيم بن محمد الدلجموني الأزهري، دار الفكر، بيروت، د ، ت. وطبعة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران، ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م، *معجم الشعراء*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م، *الأزمنة والأمكنة*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م:
- *كتاب التنبيه والأشراف*، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ت. وطبعة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م.
- *مروج الذهب و معادن الجوهر*، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ١٩٨٨م.
مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت ٢٦١هـ/٨٧٤م، *صحيح مسلم*، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د، ت.
المظفر العلوي، المظفر بن الفضل العلوي، ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، *نضرة الاغريض في نصرة القريض*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
المعافى بن زكريا، المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري، ت ٣٩٠هـ/١٠٠٠م، *الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
المقدسي، محمد بن أحمد، ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م.
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م:
- *إغاثة الأمة بكشف الغمة*، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الشيال، جمال الدين محمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠م.

-*كتاب النقود القديمة الإسلامية*، تحقيق الأب أنستاس ماري الكرملي، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م.
ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ/١٣١١م، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، د، ت.
الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري، ت ٥١٨هـ/١١٢٤م ،*مجمع الأمثال*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م. وطبعة تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د، ت.
ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج، ت ٣٨٥هـ/٩٩٤م، *الفهرست*، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.
النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، ت ٣٠٣هـ/٩١٥م:
- *المجتبى من السنن*، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م.
-*فضائل القرآن*، تحقيق د. فاروق حمادة، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٢م.
النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، *صحيح مسلم بشرح النووي*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، ت ٤٠٥هـ/١٠١٣م، *المستدرك على الصحيحين*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠ م.
ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري، ت ٢١٨هـ/٨٣٣م، *السيرة النبوية*، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الخير، ١٩٩٢م. وطبعة المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سعد، ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، *الأوائل*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد، ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م، *كتاب صفة جزيرة العرب*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الهيثمي، علي بن أبي بكر، ت ٨٠٧ هـ/١٤٠٦م، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة ، بيروت، ١٤٠٧هـ.
الوزير المغربي، الحسين بن علي بن الحسين، ت ٤١٨هـ/١٠٢٧م، *أدب الخواص*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
الوشاء، محمد بن أحمد بن إسحاق، ت ٣٢٥هـ/٩٣٧م، *الموشى*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، *معجم البلدان*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م، *تاريخ اليعقوبي*، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

أبو يعلى التنوخي، عبد الباقي بن عبد الله المحسن، ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م، *القوافي*، تحقيق عوني عبد الرؤوف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، ت ١٨٢هـ/٧٩٧م، *كتاب الخراج*، دار المعرفة، بيروت، د، ت.
اليوسي، الحسن ين مسعود بن محمد، ت ١١٠٢هـ/١٦٩١م، *زهر الاكم في الامثال والحكم*، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

المراجع

الأسد، ناصر الدين، *مصادر الشعر الجاهلي*، دار المعارف، مصر، د، ت.

أنيس، إبراهيم، *في اللهجات العربية*، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٦م.

الباقوري، أحمد حسن، *أثر القرآن الكريم في اللغة العربية*، دار المعارف، مصر. د، ت.

بطاينة، د. محمد ضيف الله، *تاريخ الخلفاء الأمويين*، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٩م.

حلاق، د. حسان حلاق، *تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م

الجنابي، أحمد نصيف. *ملامح من تاريخ اللغة العربية*، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.

الجندي، أنور. *الفصحى لغة القرآن*، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م.

الجندي، د، محمد علم الدين الجندي، *اللهجات العربية في التراث*، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.

درادكة، د، صالح موسى، *بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام*، دار شيرين للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٨م.

دروزة، محمد عزة، *تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار*، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦١م.

دفتر، ناهض عبد الرزاق، *المسكوكات*، مطابع دار السياسة، الكويت، ١٩٨٠م.

الرافعي، د، مصطفى، *حضارة العرب*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م.

الزرقاني، محمد عبد العظيم، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

أبو زهرة، محمد، *الخطابة، أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب*، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٨٠م.

سنكري، محمد نذير، *مبادئ التراث العربي في البيئة النباتية والصحراوية وتقسيم النباتات الرعوية*، الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مطبعة جامعة حلب، حلب، ١٩٧٧م.

الشطي، د. أحمد شوكت:

- *مجموعة أبحاث عن تاريخ العلوم عند العرب في الحضارة العربية الإسلامية والمجتمع العربي*، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦٤م.
- *مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية والمجتمع العربي*، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦٣م.
- *حول علم النبات عند العرب وعالمية الشفرة والصوري*، أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مطبعة جامعة حلب، حلب، ١٩٧٧م.

شوقي، جلال، *العلوم العقلية في المنظومة العربية*، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٩٠م.

عبد الرحيم، عبد الجليل، *لغة القرآن الكريم*، مكتبة الرسالة، عمان، ١٩٨١م.

علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة بغداد، ١٩٧١م.
العلي، د. صالح أحمد، *العلوم عند العرب دراسة في كتبها ومكانتها في الحركة الفكرية في الإسلام*، مؤسسة الرسالة، د، ت.
العمري، محمد. *في بلاغة الخطاب الاقناعي*، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
غالب، علي ناصر، *لهجة قبيلة أسد*، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م.
فروخ، عمر، *تاريخ العلوم عند العرب*، دار العلم للملايين، بيروت، د، ت.
فهمي، د. سامح عبد الرحمن، *المكاييل في صدر الإسلام*، المكتبة الفيصيلية، مكة المكرمة، د، ت.
القنوجي، صديق بن حسن، ت ١٣٠٧هـ، *أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم*، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.
القوال، أنطوان، *فن الخطابة*، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٦م.
كرد علي، محمد، *الإسلام والحضارة العربية*، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.
المبارك، عبد الحسين، *فقه اللغة*، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٦م.
أبو المحاسن، يوسف بن موسى الحنفي، *المعتصر من المختصر من مشكل الآثار*، عالم الكتب، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة، د، ت.
محمود، علي عبد الحليم، *القصة العربية في العصر الجاهلي*، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م.
معروف، د. ناجي، *أصالة الحضارة العربية*، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥م.
المناوي، محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين، ت ١٠٣١هـ:
- *النقود والمكاييل والموازين*. تحقيق السامرائي، د، رجاء محمود، دار الرشيد، العراق، ١٩٨١م.
- *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦.
الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م
مؤنس، د، حسين، *تاريخ قريش، دراسة في تاريخ أصغر قبيلة عربية جعلها الإسلام أعظم قبيلة في تاريخ البشر*، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٨م.
نسيمي، د. محمود ناظم، *إبداع الرسول العربي في فن الصحة والطب الوقائي*، الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مطبعة جامعة حلب، حلب، ١٩٧٧ م.
النقشبندي، ناصر السيد محمود، *الدرهم الإسلامي*، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦٩ م.
هنتس، فالتر، *المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري*، تحقيق د، العسلي، كامل، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.
ولفنسون، أ، أبو ذؤيب، *تاريخ اللغات السامية*، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م.
ولويل، مصطفى سعيد، *الموجز في تطور اللغة العربية*، د، م، ٢٠٠٠م.

الدايل، خالد، والحلوة، صلاح، *مشروع استكشاف درب زبيدة، التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لاستكشاف درب زبيدة ١٩٧٧م*، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، ع.٢، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، الرياض. ١٩٧٨ م.

بودن، جارت، وميللر، روبرت، وايدنز، كريستوفر، *التنقيبات الأولية في تيماء*، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، ع. ٤، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، الرياض، ١٩٨٠م.

ديجيسوس، د، برنتس، وكسناوي، أحمد، والريحاني، بسيم، والصقيران، السعدي، وتوبلين، مايكل، وأنكاجنولي، جوزيف، *تقرير مبدئي عن مسح مناطق التعدين*، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، ع.٢، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، الرياض، ١٩٧٨م.

جيلمور، مايكل، وإبراهيم، محمد، ومراد، عبد الجواد، *برنامج المسح الأثري الشامل، تقرير مبدئي عن مسح المنطقتين الشمالية والغربية الشمالية*، ١٩٨١/١٤٠١ م، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، ع.٦، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، الرياض، ١٩٨٢م.

كنساوي، أحمد، وديجيسوس، برينتس، وريحاني، بسيم، تقرير مبدئي عن مسح *مناطق التعدين القديمة شمال غرب الحجاز*، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، ع.٧، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، الرياض، ١٩٨٢م.

ليفنجستون، الستر، وإبراهيم، محمد، والسباعي، بشير، وكمال، محمد، والتيمائي، سليم، *تيماء، مجسات حديثة ونصوص منقوشة جديدة*، ١٩٨٢م، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، ع.٧، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، الرياض، ١٩٨٣م.

الملاحق:

١- جدول الموازين.

٢- جدول البروج.

٣- جدول الفصول.

الحبة أو الشعير	طسوج	قيراط	دانق	درهم	مثقال دينار	النواة	استار	نش	أوقية	رطل	مد أو مُن	صاع	فرق	وسق	قنطار
طسوج	حبتان	طسوجان	١٠حبات	٦٠حبة	٧٢ حبة	٥ دراهم	٤ مثاقيل	٢٠ درهم	٤٠ درهم	١٢ أوقية	رطلان	٨ أرطال	٣ اصع	٦٠ صاع	١٢٠٠٠ أوقية
قيراط	طسوجان	٤ حبات	قيراطان												
دانق	١٠ حبات		قيراطان وطسوج	٦ دوانق											
درهم	٢٨/١ درهم	١٤/١ درهم	٦/١ درهم	=	٧/١٠ درهم	٥ دراهم	١ + ١٣ /٣ درهم	٢٠ درهم	٤٠ درهم	٤٨٠ درهم	٩٦٠ درهم	٣٨٤٠ درهم	١١٥٢٠ درهم	٢٣٠٤٠٠ درهم	٤٨٠٠٠٠ درهم
مثقال أو دينار	١+٣/٧ درهم	٢٠/١ دينار			=		٤ مثقال أو دنانير								
النواة	٥ دراهم					=		٤ من زنة النواة							
استار	٤ مثقال						=		٦/١+١ استار						
نش	٢٠ درهم							=							
أوقية	١+ ٦/١ استار								=	١٢ أوقية	٢٤ أوقية	٩٦ أوقية	٢٨٨ أوقية	٥٧٦٠ أوقية	١٢٠٠٠ أوقية
رطل	١٢ أوقية									=	رطلان	٨ أرطال	٢٤ رطل	٤٨٠ رطل	
مد	رطلان										=	٤ امدد	١٢ مد	٢٤٠ مد	
صاع	٨ أرطال											=	٣ اصع	٦٠ صاع	
فرق	٣ اصع												=	٢٠ فرق	
وسق	٦٠ صاع													=	٢/١

جدول بالنقود والموازين والمكاييل حسب ما كانت عليه زمن الرسول.

وكان العرب يعرفون حركات عدة كواكب ميزوها عن النجوم، والكواكب المتحركة سبعة كواكب، هي: الشمس، والقمر، وزحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد، وتقع هذه الكواكب في خمسة وأربعين صورة، منها اثنا عشرة منزلا في وسط السماء، وهذه المنازل هي البروج الاثنى عشر.

الرقم		١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢							
وسط السماء ١٢ منزل	الاسم	الحمل	الثور	الجوزاء	السرطان	الأسد	السنبلة	الميزان	العقرب	القوس	الجدي	الدلو	الحوت							
	الاسم القديم	الكبس		التوأمين		الليث	العذراء				التيس		السمكة							
الصور الشمالية ١٩ منزل	الاسم	الدب الأصغر	التنين	الدب الأكبر	قيضاوس	بورطيس الحارس	الإكليل الشامي	الجاثي على ركبتيه	الحواء وحيته	اللورا	العقاب والسهم	الدلفين أو الصليب	الدجاجة	الفرس الأول	الفرس الثاني	المرأة ذات الكرسي	المرأة التي لم ترى بعلا	المثلث	حامل رأس الغول	أنيخس
	تسميه العرب	بنات نعش	العوا ذ	بنات نعش	الأثافي	العواء	الفكة	التماثيل		النسر الواقع	النسر الطائر		الفوارس				الناقة	الأشرط		حامل العناق
الصورة الجنوبية ١٤ منزل	الاسم	قيطس	النهر	الجبار	الأرنب	كلب الجبار	الكلب الأصغر	السفينة	الشجاع	الغراب	الكأس	قنطورس	المجمرة	الإكليل الجنوبي	الحوت الجنوبي					
	الاسم القديم	النعامات				الشعرى اليمانية	الشعرى الشامية	المجذاف	الحية			حامل السبع أو الظليم	النافطة							

ملخص من كتاب الأزمنة والأمكنة للزرقاني.

الفصول	البروج		أنجم الفصول (لكل فصل سبعة أنجم)
الربيع	الحمل الثور الجوزاء	شامية	السعود، الأخبية، المقدم، المؤخر، الرشاء، الشرطيين، البطين.
الصيف	السرطان الأسد السنبلة	شامية	الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف.
الخريف	الميزان العقرب القوس	يمانية	الجنبهة، الزبرة، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبانا.
الشتاء	الجدي الدلو الحوت	يمانية	الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع.

جدول الفصول الأربعة وبروجها عند العرب قبل الإسلام، (شوقي، العلوم العقلية، ١٩٩٠م، ٣٦٠).

ABSTRACT

THE SCIENIC IN NAJD AND HIJAZ UNTEL AL-RASHIDEEN CALIPHATE.

PREPARED BY: YAHYA ABDELSALAM MITEB HRAHSHEHA.
SUPERVISED BY: DR. MOHAMMAD DAIFALLAH AL-BATAINEH.

THE AIM OF THIS PAPER IS TO STUDY THE ARABS OF ALHIJAZ AND NAJD IN REGARDS OF THEIR SCINTICTIFIC KNOWLEDGE AND THE SCIENCES THEY TRANSFERRED FROM OTHER CIVILIZATIONS. ٦١٣٩٦٩

THIS STUDY WILL SHOW THE WAYS AND MEANS THE ARABS HAVE USED IN AQUIRING KNOWLEDGE AND HOW THEY USED THIS KNOWLEDGE TO IMPROVE THEIR LIVE WAY OF LIVING.

THIS STUDY IS COMPRISED OF TWO PARTS THAT INCLUDE ELEVEN CHAPTERS. THE FIRST PART INCLUDE: TRANSFERABLE SCINCES, ARAB LINGUISTICS, PREISLAMIC LANGUAGES, GRAMMATICAL ARAB LANGUEGE, AND THE EFFECT OF QURAN IN ITS DEVELOPMENT, ARABS ART OF WRITING, STUDIES AND TEACHINGS WHERE BY THE AUTHAR HAS DESCRIBED SCHOOLS AND SCHOOLARS, POETRY, NOVEL, ORATORY, AND FAMILY TREE.

THE SECOND PART INCLUDES STUDIES IN GEOGRAPHY, WATER WELLS, STUDY OF PLANET EARTH, SURFACE INDUSTRY, ASTROLOGY, METROLOGE, ENGINEERING, MATHMATICS, MEDICINE AND PETMEDICINE, COINS AND MAESURMENTS AND SCALES, ALL OF WITICH SCIENCE ARABS HAVE USED TO IMPROVE THEIR KNOWLEDGE OF WEATHERS, AND EARTH TREASURES, THEY ALSO USED THIS KNOWLEDGE TO BUILD THEIR HOUSES AND CASTLES.